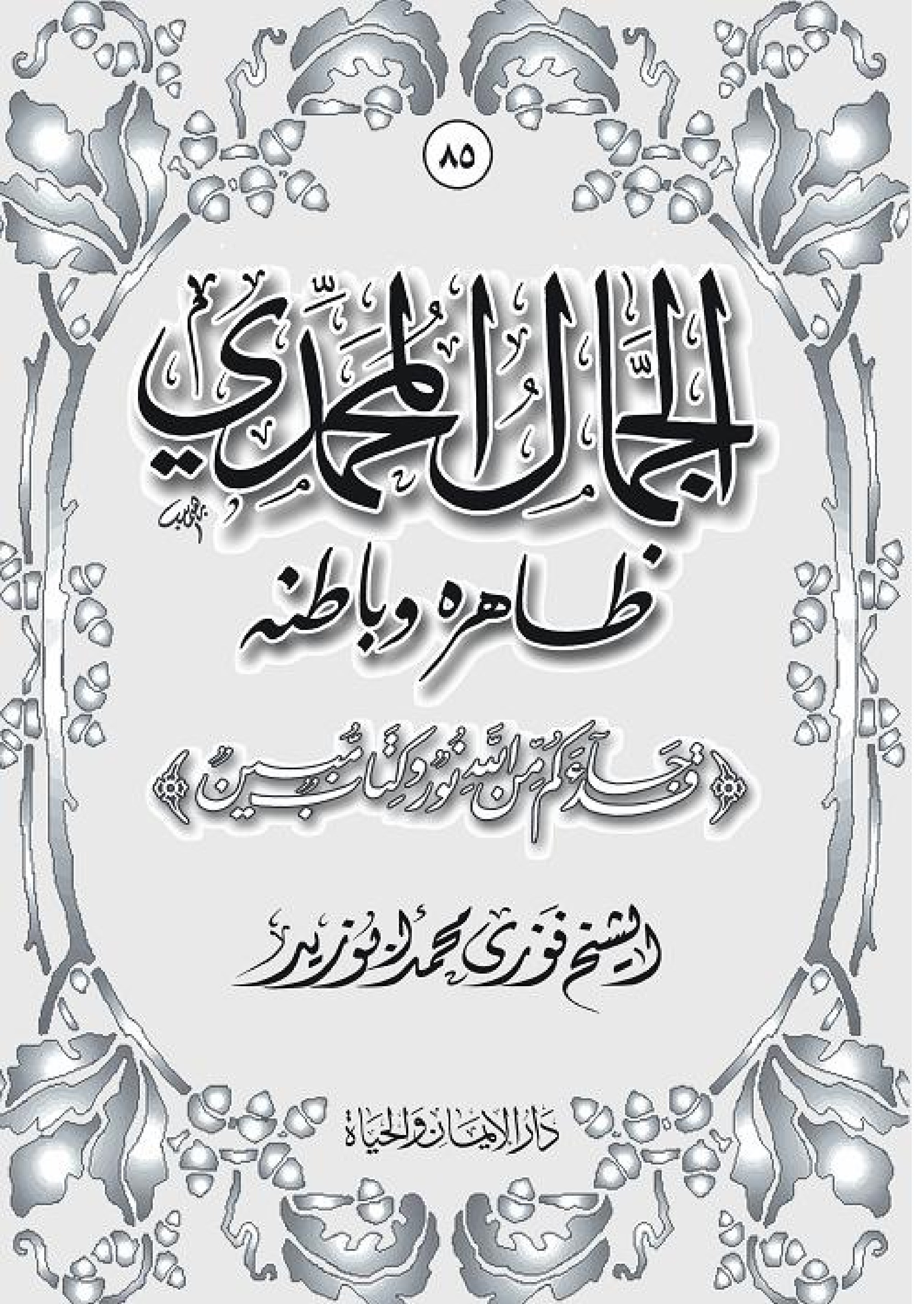

٨٥
الجمال المحمدي
ظاهره وباطنه
﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾
الشيخ فوزي محمد أبوزيد
دار الإيمان والحياة



الكتاب	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٥ ربيع أول ١٤٣٦هـ/٢٧ ديسمبر ٢٠١٤ م
رقم الكتاب	الخامس والثمانون من الكتب المطبوعة
سلسلة	الحقيقة المحمدية
الداخلى	٣٥٢ صفحة *٨٠جم * ١٧ سم * ٢٤ سم* ٢
الغلاف	كوشيه مط ٢٥٠ جم ، ٤ لون، سلوفان مط ، مجلد
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، حدائق المعادى، القاهرة، ج م ع ، تليفون : ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، فاكس: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
رقم الإيداع المحلى	٢٠١٤/٢٥٣١٢
الترقيم الدولى	978-977-90-2431-8
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

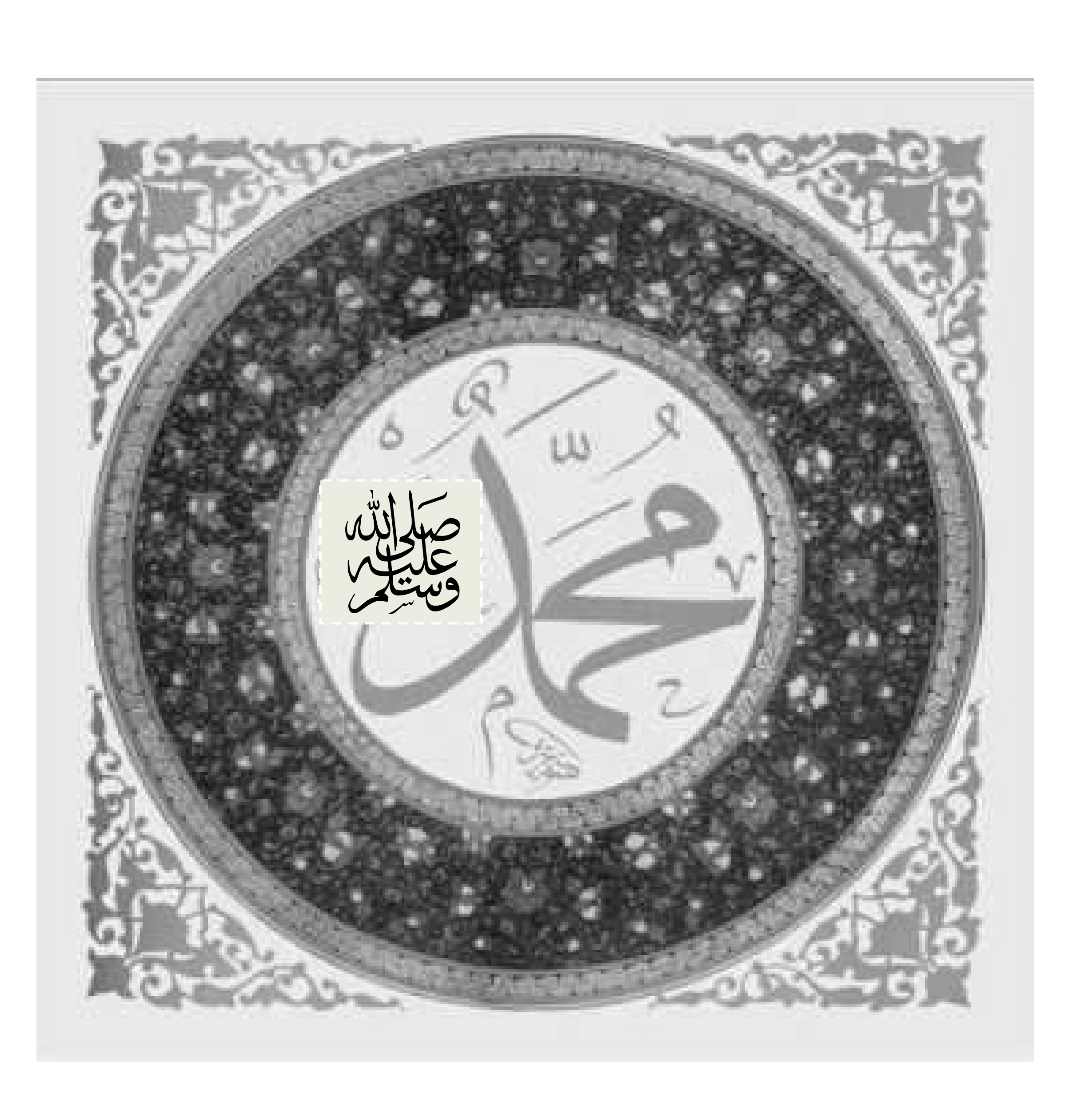
يارب صلِّ على محمد　　　أحمد حبيبي باهي الجمال
أتيت شوقاً والحال حالي　　　وأي أرض بها وصالي
أنا الغريب قد ذبت شوقاً　　　والكل عندي مثل الخيال
أنا المتيم في هواكم　　　عطفاً فإني سقيم حال
ملابس الذل في هواكم　　　عزاً وشرفاً في كل حال

وقال أحد الصالحين:

إن فاتكم أن تروه بالعيون فما　　　يفوتكم وصفه هذي شمائله
مكمَّل الذات في خَلْق وفي خُلُق　　　وفي صفات فلا تُحصى فضائله

وقال حكيم

أخلاي إن شط الحبيب وداره　　　وعزَّ تلاقيه وناءت منازله
وفاتكم أن تُبصروه بعينكم　　　فما فاتكم منه فهذي شمائله


محمد
صلى الله عليه وسلم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي لأقوم سبيل والكاشف لخير طريق يسلكه أهل الجد والإجتهاد ويسير عليه أهل التحقيق والرشاد، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعله الله للناس في الدنيا قدوة وأسوة وإماماً، وفي الآخرة شفيعاً لجميع الخلائق يوم العرض على الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام وأصحابه ذوي الأخلاق الطيبة والشمائل الكريمة ومن تبعهم على ذلك إلى يوم الدين، وألحقنا بهم على خير أجمعين آمينيا رب العالمين، وبعد …

قد بدا لنا مع مطلع شهر ربيع الأول ١٤٣٥هـ شدة حاجة الأحباب بل والمسلمين أجمعين إلى معرفة أوصاف النبي ﷺ الخلقية والخُلقية، والإحاطة ببعض خصائصه ﷺ الظاهرة والباطنة.

وهذا الجانب هو ما عني به جامعوا أحاديث الشمائل المحمدية وأولهم وأشهرهم الإمام الترمذي ﷺ المتوفي سنة ٢٧٩هـ في كتابه "الشمائل المحمدية"، وما بعده كان شرحاً وتفسيراً لهذا الكتاب.

وقد رأينا أن نجمع هذه الأوصاف والشمائل المحمدية الظاهرة والباطنة من مظانها ونبسطها بأسلوب سهل قريب التناول للمعاصرين حيث أنها:

١. عن طريقها يتأسس الإيمان وعظمة النبي ﷺ وعلو مكانته، وعصمته ووضاءته وصدق لهجته وأمانته وشجاعته وعدله ووفورة عقله وصدق بلاغه عن الله تعالى ورحمته ورأفته وعفوه وصفحه وحسن سياسته وحسن سمته واقتصاده وحرصه على



أمته وعلى الخلق جميعاً، وتحصيل ذلك لازم إيماناً واعتقاداً.

٢. قد ثبت واستقر أن متابعة النبي ﷺ شرط في العبادة، وذلك أن الاجماع منعقد على شرط الاتباع له فيما فرضه سنه رب العزة سبحانه وافترضه على المسلمين من عبادات وأعمال، وقد تجملت أحاديث الشمائل الأحاديث المتعلقة بتقواه وعبادته، وكذلك اعتنت بالأحاديث التى تتحدث عن أحوال معاشه اليومية، وفيها الكثير من سلوكه مع ربه مما هو عبادة وسلوكه مع الناس مما هو معاملات يلزم لمن أتى شيئاً منها أن يكون متبعاً لما جاء به ﷺ وإلتزمه إذ هو المعلم وهو الصورة المثلى للعبد حالة تقواه.

٣. جمعت كتب شمائل النبي ﷺ عدداً كبيرا من الأحاديث الكاشفة عن أخلاقه السامية، وقد كان المثال الكامل التام من البشر، وقد اعتبره الله ﷻ قدوة وأسوة ونموذجا حياً ومنهجاً متحركاً لمن ينشد المثال الأخلاقي في أتم صورة بحكم الذكر الحكيم:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَاخِرَ ﴾ (٢١ الأحزاب)

٤. تتعرض أحاديث الشمائل لأحوال معاشه ﷺ وهي ما يطلق عليه اليوم "برامج التربية وإدارة الأسرة" لأنها تتحدث عن شأنه في بيته وخدمة أهله وملاطفته للأولاد وتقديره لأزواجه وغيرهم مما يلزم المسلم المعاصر الأخذ به وترجمته إلى واقع عملي.

٥. ورد فيها كثير من النصوص تعالج معاملته لأصحابه وللصغار من البنين والبنات والأرامل وذوي الإعاقة وأصحاب الحاجات، وينبغي استثمار هذه الشمائل في قضايا العمل الإجتماعي المعاصر مثل: أ- تنظيم المجتمع ب- الخدمة الإجتماعية ج- رعاية ذوي الإعاقة د- أخلاق الرعاية.

٦. تغطي أحاديث الشمائل في عدد من الأبواب مساحات كبيرة من مفهوم التحضر والعمران مثل: أ- متاع البيت وأساسه ب- الأطعمة والأغذية ج- الطب

والدواء والعلاج د- العطور والرياضة هـ -الملابس والثياب و- البيئة (النبات والحيوان وغيرها) ز-الفنون والجماليات ح-الآداب كآداب الأكل والكلام والمجالس والتواصل وغيرها.

٧. خير دليل يحتاجه السالك في طريق الله وأفضل دستور يلزم للواصل والمتمكن وطالب المزيد من فتح الله وفضل الله هو العمل بما ورد عن رسول الله ﷺ في هذه الشمائل والتخلق بأخلاقه المباركة ونشدان الصفاء القلبي الذي كان عليه فذلك هو الباب الوحيد للتعرض لنفحات الله وإكرامات الله وعطاءات الله ﷻ.

وقد سقنا هذه الأحاديث على هيئة محاضرات تربوية للثلة المباركة من السالكين الذين يرجون وجه الله والدار الآخرة، واستمرت هذه المحاضرات لمدة عام وقد رأينا بعد طلب الأحباب أن نجمعها في هذا الكتاب تيسيراً للراغبين وتسهيلاً لمن يريد الإطلاع على بعض جمالات سيد المرسلين ونرجوا من الله ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجازي كل من أعاننا على إعداده أو إبلاغه أو طباعته بخير وفتح ونصر على النفس الأمارة وإعزاز وتمكين، وصلى الله على سيدنا محمد إمام الذاكرين وسيد الشاكرين والرحمة العظمى للخلق أجمعين في الدنيا ويوم الدين وآله وصحبه أجمعين.





البريد : الجميزة ــ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكتروني: fawzy@Fawzyabuzeid.com ، fawzyabuzeid@hotmail.com,
fwzyabuzeid48@gmail.com, ، fawzyabuzeid@yahoo.com

تمهيد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على النعمة العظمى التي أكرمنا بها الله؛ نعمة حبيبه ومصطفاه، والصلاة والسلام على سر كل الجمال، ومصدر كل الكمال؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من والاه.

كل مؤمن يهفو بالإيمان قلبه يتوق إلى صاحب الأوصاف سيدنا محمد ﷺ، ويتمنى أن يُسعفه الله ﷻ برؤيته، وأن يحظى منه بنظراته، ومناه وكل ما يتمناه أن يسمع بضع كلمات من عظيم كلماته، حبَّذا لو كان له موجِّهاً وناصحاً ومرشداً، فهذا غاية الغايات، ومنى كلِّ أهل السعادات.

ولما كان يتعذَّر على كثير من أصحاب النبي ﷺ وصفه، ولم يصفه منهم إلا القليل، وكان أكمل هذه الأوصاف ما وصفه به الإمام علي، وهند بن أبي هالة ابن السيدة خديجة، وسيدنا أنس بن مالك، وجُلَّة من الصحابة الكرام حوالى الخمسة عشر صحابياً، وكان الكثير من ألفاظهم الواردة بالوصف الشريف -بحسب زمانهم- صعبة الفهم الآن على أهل زماننا؛ فقد اجتهدت بتوفيق من الله ﷻ ورعايته أن أترجم هذه الأوصاف بكلمات سهلة ميسرة يستطيع أن يفهمها أي إنسان، وهي كالتالي[2]:

---

[1] المعادي – الخميس – ٥ من جماد الأول ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٣/٦م

[2] أشرنا إلى الأحاديث الشريفة بتخريجها، أما الشروحات فوضعناها بين قوسين هكذا (...) واشرنا إلى أصل الحديث الذى يتناوله الشرح وبينًّأ مصدره،وإلا فالشرح مما وفقنا الله لبيانه.

كان رسول الله ﷺ :

حَسَنَ الْجِسْمِ[٣]، فَخْمَاً مُفَخّمَاً[٤] (عظيماً معظّماً)، أَحْسَنَ النّاسِ وَجْهاً، يَتَلأْلأُ (يستنير) وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقاً، لَيْسَ بِالطّوِيلِ الْبَائِنِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ[٥]،بَلْ كَانَ يُنْسَبُ إلى الرّبْعَةِ ـ مَرْبُوعَاً[٦]ـ إِذَا مَشَى وَحْدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إلا طَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَرُبَّمَا اكْتَنَفَهُ الرَّجُلان الطَّويلان فَيطُولُهُمَا، فَإذا فَارَقَاهُ نُسِبَا إلى الطُّولِ ونُسِبَ هُوَ ﷺ إلى الرِّبْعَةِ، ويَقُولُ ﷺ: "جُعِلَ الخَيْرُ كُلُّهُ فى الْرِّبْعَةِ"[٧]،

(وكَانَ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَكُونُ كَتِفُهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْجَالِسِينَ[٨]، وكَانَ ﷺ عَظِيمَ الصَّدْرِ)[٩]، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ[١٠]، أَسِيلَ الْخَدّيْنِ (لَيْسَ فِيهِمَا ارْتِفَاعٌ)، شَدِيدَ سَوَادِ الشّعْرِ

---

٣ سنن الترمذي عن أنس

٤ من حديث هند بن أبى هاله التميمى (ت، فِي الشّمائل، والروياني، طب، هق، في الدّلائل، هب، كر) { كَانَ فَخْماً مُفَخّمَاً، يَتلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُوَ الْقمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ}.

٥ صحيح البخارى ومسلم والبيهقى وصحيح ابن حبان عن البراء بن عازب، روى البيهقى { كَانَ أَحْسَنَ النّاسِ وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقاً، لَيْسَ بِالطّوِيلِ الْبَائِنِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ}، وردت {خَلْقاً} فى رواية أحمد بن سعيد مما أخرجه البخارى، ووردت { خَلْقاً وخُلُقاً } فى رواية ابن حبان، وفى بعضها {بالطويل الذاهب}.

٦ روى البخارى عن البَراءِ بن عازب ﷺ قال: { كان النبيُّ ﷺمَربوعاً بَعيدَ ما بين المنكِبَين }.

٧ أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث عائشة وكذا فى تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى.

٨ شرح الزرقانى على موطأ مالك .

٩ نور اليقين لمحمد الخضرى وورد فى وصف هند بن أبى هاله بقوله { عريض الصدر}.

١٠ صحيح مسلم والبخارى عن البراء وورد فى حديث وصف النبى لهند بن أبى هالة.

[11]،(نَاعِمَ أمْلَسَ الشَّعْرِ مُتَمَوَّجاً قَلِيلاً)[12]، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ [13] (أَسْوَدَ الأجْفَانِ، فِى بَيَاضِ عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، طَوِيلَ شَعْرِ الأجْفَانِ[14]، مُقَوَّسَ الْحَوَاجِبِ مَعَ طُولٍ بِغَيْرِ اتِّصَالٍ بَيْنَهُمَا[15]، طَوِيلَ الأَنْفِ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ وَفِي وَسَطِهِ بَعْضُ اِرْتِفَاعٍ،[16] أَبْيَضَ الأَسْنَانِ مَعَ بَرِيقٍ وَتَحْدِيد فِيهَا، مُنْفَرِجَ الثَّنَايَا)[17]، إِذَا تَكَلَّمَ رُؤِىَ كَالْنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ[18] (وَاسِعَ الفَمِّ)[19]، وَكَانَ ﷺ أَحْسَنَ عِبَادِ اللهِ شَفَتَيْنِ وَأَلْطَفَهُمْ خَتْمَ فَمٍ[20].

(وكان ﷺ أبيضاً مشوباً بحمرة[21]، مُشْرِقَ اللَّوْنِ نيِّرُه[22]، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ فِى السِّمَنِ، بَدَنَ فِى آخِرِ عُمْرِهِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَحْمُهُ مُتَمَاسِكَاً، يَكَادُ يَكُونُ عَلَى الْخُلُقِ الأَوْلِ لَمْ يَضُرْهُ

---

١١ البيهقى عن أبى هريرة
١٢فى مجمع الزوائد فى شرح أبى عبيد لحديث هند.بن أبى هالة و هو كذا معنى حديث أنس ﷺ فى الشمائل للترمذى { رَجِلَ الشَّعْر، لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلاَ بِالْجَعْدِ الْقَططِ }.
١٣ البيهقى عن أبى هريرة
١٤ السيرة الحلبية، شرح ما أورد مسلم من حديث جابر { أشكل العينين }،ومن حديث على { أهدب الأشفار }.
١٥ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني فى شرح حديث هند بن أبي هَالَة بقوله: { أزج الحواجب سوابغ في غير قرن }. وأيضاً فى مجمع الزوائد فى شرح الحديث.
١٦ كذا الشرح فى فيض القدير للمناوى من حديث هند بن أبي هَالَة بقوله { أقنى العرنين }.
١٧ فيض القدير للمناوى فى شرح حديث هند بن أبي هَالَة من قوله { أشنب مفلج الأسنان }
١٨ أخرجة الترمذي في الشمائل والطبرانى في الأوسط وفي الكبير والبيهقي في دلائل النبوة.
١٩ فيض القدير للمناوى من شرحه لحديث هند من قوله { ضليع الفم }
٢٠ أبو نعيم فى دلائل النبوة للبيهقى من حديث عائشة.
٢١ المنتقى شرح الموطأ، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب لحديث أنس { وَلا بالأَبْيَض الأَمْهَق وَلا بالآدَم }
٢٢ فيض القدير من شرح حديث هند {أزهر اللون}، وفى دلائل النبوة: ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح. فأشرب بياضه من ذلك حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر.

السِّمْنُ[23]، يَشُعُّ النُّورُ مِنَ الأعْضَاءِ الْخَاليةِ مِنَ الشَّعْرِ)[24]، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبّةِ (مِنْ أعْلَى الصَّدْرِ) إلَى السُّرّةِ بشَعْرٍ يَجْرِي كَالْخَط، عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمّا سِوَىٰ ذٰلِكَ، أشْعَرَ الذرَاعَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ وَأعَالِي الصّدْرِ.

طَوِيلَ الزّنْدَيْنِ (عَظْمَا الذّرَاعِين)، رَحْبَ الرّاحَةِ[25] (وَاسِعَ الْكَفِّ حِسّاً وَعَطَاءاً[26]، ضَخْمَ الْكَفَّين[27]، قَالَ ابْنُ بَطَّال: كَانَتْ كَفُّهُ ﷺ مُمْتَلِئَةً لَحْماً غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ غَايَةِ ضَخَامَتِهَا وَغِلَظِتِهَا كَانَتْ لَيِّنَةً[28]، كَمَا ثَبَتَ فِى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: " مَا مَسَسْتُ خَزًّا قطُّ وَلا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبيِّ ﷺ "[29]، وَكَانَ ﷺ طَوِيلَ الأطْرَافِ طُولاً مُعْتَدِلاً)[30].

وَكَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ قدَماً[31]، (فَقَدْ كَانَتَا مُرْتَفِعَتَين عَنِ

---

٢٣ إحياء علوم الدين ودلائل النبوة للبيهقى
٢٤ شرح فيض القدير للمناوى من حديث هند بن أبي هَالَة بقوله { أنْوَرَ المُتَجَرّدِ }.أى نيِّرُه.
٢٥ عن هند بن أبى هاله التميمى (ت، فِي الشّمائل، والروياني، طب، هق، في الدّلائل، هب، كر).
٢٦ فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { رحب الراحة }.
٢٧ من شرح قول هند فى حديث الوصف { شَثْنَ الكَفّيْن }.
٢٨ فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { رحب الراحة }.
٢٩ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند أحمد
٣٠ من شرح قول هند فى حديث الوصف { سَائِلَ الأطْرَافِ }.
٣١ السيرة النبوية لإبن اسحاق عن عبدالله بن بريدة، وفى فيض القدير للمناوى.

الأرْضِ مِنْ وَسَطِهِمَا بِحَيْثُ لا يَمَسُّ وَسَطِهِمَا الأرْضَ)[٣٢]، وَكَانَ مَسِيحَ الْقَدَمَين[٣٣] (أمْلَسُهُمَا مُسْتَوِيَهُمَا لَيِّنَهُمَا،بِلا تَكَسُّرٍ وَلا تَشَقُّق جِلْدِهِ)[٣٤].وكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا مَشَى (رَفَعَ رِجْلَيْهِ بِقُوَّةٍ[٣٥]،وكَانَ وَاسِعَ الْخُطْوَةِ [٣٦]خِلْقَةً لا تَكَلُّفاً. قَوِيَّ الأعْضَاء، غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي الْمَشْي [٣٧]، وَلا يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ إذَا مَشَى، وَكَانَ ﷺ يَمْشِى مَشْيَاً يُعْرَفُ فِيهِ أنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلا كَسْلانٍ)[٣٨].

وكان ﷺ لا يَعُبُّ ولا يَلْهَث. [٣٩]

وكان ﷺ إذَا مَشَى مَشَى أصْحَابُهُ أمَامَهُ وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلائِكَةِ[٤٠]، وكان ﷺ لاَ يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلاَن[٤١]،(وإنْ كَانُوا ثَلاثَةً

---

٣٢ من شرح قول هند فى حديث الوصف { خَمْصَانَ الأخْمَصَيْنِ }.
٣٣ من حديث الوصف لهند { مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ }.
٣٤ فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { مسيح القدمين }.
٣٥ من شرح فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { إذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعاً }
٣٦ كما ورد فى غذاء الألباب شرح منظومة الأداب للتدليل على سرعة مشيه وسعة خطوه التى جبل عليها من أحاديث وصف مشيه ﷺ كحديث ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مَرْثَدِ بْنِ مُرْشِد: { إذَا مَشَى أسْرَعَ حَتَّى يُهَرْوِلَ الرَّجُلُ فَلا يُدْرِكُهُ}، وعَلِيّ:{ إذَا مَشَى كَأنّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ} وَزَادَ البخارى: {وَإذَا مَشَى لَكَأنّمَا يَمْشِي فِي صُعُدٍ}.وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ سَعْدٍ: { كَانَ إذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأنّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ}.وعنه أيْضًا: { إذَا مَشَى تَقَطَّعَ كَأنّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ}.
٣٧ النهاية في غريب الحديث لآبن الأثير الجزرى فى شرح حديث ابن عباس { كَانَ إذَا مَشَى مَشْىً مُجْتَمِعاً }
٣٨ شرح حديث أبن عباس { كَانَ إذَا مَشَى مَشى مُجْتَمِعاً لَيْسَ بِهِ كَسَلٌ، لَمْ يَلْتَفِتُ، يُعْرَفُ فِي مَشْيِهِ أنّهُ غَيْرُ كَسِلٍ وَلاَ وَهِنٍ }(حم، بز، عن ابن عبّاسٍ)، وعن جابر كما روى ابن سعد:{. كان لا يلتفت وراءه إذا مشى } .
٣٩ روى الطبراني في الكبير عن أمّ سلمة: { وكان لا يَعُبُّ، يَشْرَبُ مرتين أو ثلاثاً }، والعبُّ الشرب بدون تنفس، ولأبي الشيخ من حديث ميمونة: { لا يعب ولا يلهث } تخريج أحاديث الإحياء العراقي
٤٠ (هـ ك) عن جابرٍ رضَيَ اللّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل.
٤١ (حم) عن ابن عمروٍ رضَيَ اللّهُ عنهُ.، جامع المسانيد والمراسيل وورد {رِجْلان: من الأرجل}.

مَشَى بَيْنَهُمَا، وإِنْ كَانَ جَمَاعَةً قدَّمَ بَعْضَهُمْ)[42].

وعن أبى هريرة ﷺ قال:

"مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا؛ وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ".[43]

(وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ نُوراً فَكَانَ إِذَا مَشَى بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لا يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ)[44].

وكَانَ وَجْهُهُ مِثْلَ الشّمْسِ وَالْقمَرِ،وكَانَ مُسْتَدِيراً[45].

قَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِي بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ: أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ.[46]

(وَكَانَ ﷺ وَاسِعَ الظَّهْرِ، مَا بَيْنَ كَتِفَيهِ خَاتَمُ النُّبوَّةِ، وَهوَ

---

٤٢ فى شرح الحديث : أي لا يطأ الأرض خلفه رجلان. والمعنى أنه ﷺ لا يمشي قدام القوم بل يمشي في وسط الجمع أو في آخرهم تواضعاً، كذا فى "عون المعبود شرح سنن أبي داوود".

٤٣ جامع الترمذي ومسند أحمد

٤٤ فى المقاصد الحسنة للسخاوى: وما ذكر أنه لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا ، وفى السيرة الحلبية: وأنه إذا مشى في الشمس أو في القمر لا يكون ظل لأنه كان نوراً .

٤٥ (م) عن جابر بن سمرة ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل

٤٦ الحاكم في المستدرك والطبراني

مِمَّا يَلِي مِنْكَبَهُ الأيْمَنِ، فِيهِ شَامَةٌ سَوْدَاءُ تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ حَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَالِيَاتٌ كَأَنَّهَا عُرْفُ فَرَسٍ)[٤٧]، وكان خاتمه ﷺ غُدّةً حمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ.[٤٨]

وكان ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ صَدْرَاً، وأصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وألْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأكْرَمَهُمْ عِشْرَةً (أَحْسَنَهُمْ مُعَاشَرَةً)، خَافِضَ الطّرْفِ (النَّظَر)، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السّمَاءِ، جُلُّ نَظَرَهِ الْمُلاحَظَةُ[٤٩].

(يُقَدِّمُ أصْحَابَهُ بينَ يَدَيْهِ)[٥٠]،وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بالسلامِ، مَنْ رآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، ومَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أرَ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ مِثْلَهُ[٥١]، تَوَقَّاهُ اللّهِ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.[٥٢]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤٧ دلائل النبوة للبيهقى، والمنهاج مختصر شعب الإيمان للحليمى، وطرح التثريب للحافظ زين الدين العراقى.
٤٨ فى سنن الترمذي عَن جَابِر بن سَمُرَةَ كانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللّهِ يَعْنِي الّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ {الحديث }.
٤٩ الشمائل المحمدية للترمذى عن على بن أبى طالب ﷺ.
٥٠ شرح {يَسُوقُ أَصْحَابَهُ } من حديث الترمذى فى الشمائل وحديث هند: أي يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم كأنه يسوقهم تواضعاً وإرشاداً ولا يدع أحداً يمشي خلفه أو ليختبر حالهم وينظر إليهم حال تصرفهم في معاشهم، أو لأن الملائكة كانت تمشي خلف ظهره أو لغيره، فيض القدير.
٥١ الشمائل المحمدية للترمذى عن على بن أبى طالب ﷺ.
٥٢ صحيح مسلم والبخارى والترمذى عن أنس.

الباب الأول

معجزة أخلاق النبي ﷺ

معجزة الخُلُق الكريم

أخلاق الأنصار

باب إصلاح المجتمعات

سلاح العفو والصفح

أوصاف الرسول ﷺ الخُلُقية

الأخلاق باب الإكرام الإلهي

الأخلاق وحل مشاكل المجتمعات

الباب الأول

معجزة أخلاق النبي ﷺ [53]

في معمعة هذه الحياة التي نحن فيها الآن، ..والتخبط الذي ساد هذا الزمان، والتنكب عن القصد السوي والصراط المستقيم الذي حاد عنه كثير من أهل هذا العصر والزمان، أصبحنا لا ملجأ لنا ولا منجأ لنا لنخرج من الذل والهوان إلا بالاقتداء والاهتداء والتخلق بأخلاق النبي العدنان ﷺ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

معجزة الخُلُق الكريم

والله ﷻ قد خصَّ النبي العدنان بمعجزة باقية على مدى الزمان وهي معجزة القرآن، وأعطاه ﷺ معجزة صالحة لأن يأخذ بها؛ ويتشكل بها؛ ويتخلق بها كل إنسان، وهي التخلق بأخلاقه الكريمة، فإذا كان القرآن معجزة الله، فإن النبي ﷺ فيما ورد عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقالت للسائل:

(كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾) [54]

---

٥٣ المعادي ـ مسجد النور ـ الأحد ١١ من ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/١/١٢م
٥٤ مسند أحمد وسنن ابن ماجة.

إذاً خُلُقه معجزة، وهذا ما أريد أن أقوله، كما أن القرآن معجزة، فخُلُقه معجزة، خُلُقه معجزة تُصلح جميع الأزمنة وجميع الأمكنة وجميع بني الإنسان أفراداً ومجتمعات، وهذا ما نحتاجه الآن.

احتفائنا برسول الله، وسرورنا بميلاد سيدنا رسول الله؛ أن نقبل على أنفسنا، ونحاول أن نُصلح سبورة إنسانيتنا، ونترع منها؛ ونمسح منها الأخلاق التي لا تُناسب أخلاق حضرته، ونُجملها بالأخلاق والكمالات التي كان عليها ﷺ في كل زمان ومكان.

ونحن نعلم جميعاً أن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتورم منه الأقدام، وكان يصوم صيام الوصال، وكان لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين، لا يقوم إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر، ولا يدخل إلا على ذكر، ولا يخرج إلا على ذكر لله ﷻ، حتى كانت تنام عيناه وقلبه لا ينام شُغلاً بذكر الله جل في علاه، ومع ذلك عندما أثني عليه ومدحه الله لم يمدحه بجده واجتهاده في العبادات، وإنما كما قال الله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم).

وكما قال ساداتنا الصالحون: فهو أعلى من الخُلُق العظيم، ﴿لَعَلَىٰ﴾ أعلى وأرقى وأسمى وأبهى من أي خُلُق عظيم؛ لأي إنسان قويم من بدء البدء إلى نهاية النهايات، وكما قيل في القراءة القرآنية الأخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِ عَظِيمٍ﴾ خلُق مضاف، وعظيم مضاف إليه، أى أنك على خلُق عظيم، والعظيم هو الله، أى أنك على خُلُق الله جل في علاه.

فهو ﷺ كان على خُلُق مولاه، ولذا ما حلَّت أخلاقه ﷺ على أقوام إلا وذهبت عنهم الشحناء والبغضاء والخصام، وصاروا إخوة متآلفين في مودة ورحمة ووئام على الدوام.

فنحن نحتاج أولاً إلى التخلق بأخلاق رحمته، ثم ننشر بعد ذلك فيمن حولنا أسرار أخلاقه، وندعوهم إلى ذلك، وخاصة أنه لا مخرج لنا من المضايق التي نحن فيه إلا بذلك.

أخلاق الأنصار

وضرب الله ﷻ لنا مثالاً في القرآن: كان النبي ﷺ في ضيق مما أحاط به الكافرون دعوته، ويريدون القضاء عليه، وإنهاء دعوته وهو في مكة، فهيئ الله ﷻ له مجتمع الأنصار، فتخلص من المضائق، وبدأت أشعة الدين تخترق قلوب الخلائق، وبدأ الناس يميلون إلى فضل الله، ويدخلون في دين الله أفواجاً، ما السر؟ وضَّحه الله في أخلاق الأنصار.

بِمَ أثنى عليهم الله؟ وبِم مدحهم الله في كتاب الله؟ مدحهم الله بالنسبة لموقفهم من حبيبه ومصطفاه، ومدحهم بالنسبة لأخلاقهم فيما بينهم، ومدحهم الله في أخلاقهم مع إخوانهم المسلمين أجمعين، بم مدحهم؟ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (٩الحشر) بالحب، وهل هناك عمل يصلح للقبول عند الله إلا بالحب؟! الكل يعمل والكل يكد، والكل يجتهد، لكن بِم ينال المرء القبول؟ والمهم القبول وليس العمل، ولذا قالوا: (العالم يهتم بالقبول، والجاهل يهتم بالإقبال).

القبول يحتاج إلى الحب، فأي عمل يقدمه الإنسان لله، أو لخلق الله، أو لنفسه، أو لدنياه، أو لآخرته، أو لزوجه، أو لوطنه ... لا بد أن يكون هذا العمل ناتجاً عن حب قلبي حتى ينال شرف القبول من الله، وشرف القبول عند خلق الله:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ }[٥٥]

لماذا؟ نتيجة الحب، فالعمل لا يصلح إلا بالحب لله، ولرسول الله، ولجميع خلق الله. أما بالنسبة لبعضهم، فهذه الغاية التي نرجوا أن يحققها الله لنا وبنا الآن:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ (٩الحشر)

٥٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فكان أصحاب حضرة النبي ﷺ مع بعضهم كما قال الله ﷻ في شأنهم فى سورة الحجر: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) ﴾

لا يوجد في القلوب بغض ولا حقد ولا حسد ولا حرص ولا شح ولا أثرة ولا أنانية ولا رغبة في شر ولا شماتة في مؤمن؛ لكن يوجد في القلوب المحبة والمودة والشفقة والعطف والحنان، وحب الخير لجميع الناس، والإيثار الذي مدح الله به الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٩الحشر) وهذا باب إصلاح المجتمعات.

باب إصلاح المجتمعات[٥٦]

صلاح المجتمعات بإصلاح الأفراد، وصلاح الأفراد بدخولهم الورشة المحمدية، وننقي كل ما في الصدر من الأخلاق الدنية، والشهوات الفانية الدنيوية، والأثرة والأنانية، ونملؤه بالصفات التي كانت عليها الحضرة المحمدية، وأصحابه الأتقياء الأنقياء.

إذا حدث ذلك فمن أين تأتي المشاكل؟! أين النزاعات؟! أين الخلافات؟! أين المشاحنات؟! هل يحدث سب وشتم ولعن وإيذاء؟! ناهيك عن ضرب بآلة أو غيرها! هل يحدث غدر؟! هل يحدث ضيم من مؤمن لمؤمن؟!أبداً، لأن الأمر كما قال الحبيب:

{ أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ }[٥٧]

سنُصلح الدنيا للأجسام، ونهيئ لها المباني والعمارات والفيلات والرياش والأثاث والأموال، وكل ضروب الشهوات، وكل أنواع الحظوظ والأهواء والملذات، لكن القلوب لم تتطهر، ماذا يكون فيها؟ يقول حضرة النبي ﷺ:

{ فَوَاللَّهِ لا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ

---

٥٦ من أرد التوسع فى هذا الباب فعليه بكتابنا(إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام)، الطبعة الثانية ٢٠٠١، دار الإيمان والحياة بالمعادى،القاهرة،

٥٧ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ﴾[٥٨]

التنافس في الدنيا سبب كل المشاكل!!

لكن لو كانت القلوب خالية من هذه العيوب، وجُهِّزت لحضرة علام الغيوب، وأصبحت كما يذكر الله في كلامه العظيم: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء) ستجد أحاديث حضرة النبي موجودة ومشهودة، فحديث:

﴿ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ﴾[٥٩]

ستجد هذا الحديث مشهوداً وموجود، لكن نراه الآن مفقوداً غير موجود!!

لماذا؟

لأن كل فرد يقول: نفسي نفسي لا أسألك غيرها!!

حتى زوجته وأولاده ووالديه، أعمته الشهوات عن رعاية هذه الحرمات، لكن المؤمن إذا طاب قلبه تكفَّل به ربه، فجعله في الدنيا يمشي في هداه، ترعاه عناية الله، وتراقبه حنانة الله، ويمشي على الأرض هوناً، وتحن إليه ملائكة الله ﷻ في ملكوت الله:

﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان).

ونأتي لهذه الجزئية: لا يخلو مجتمع ولا طائفة ولا محلة ولا ناحية من أمثال هؤلاء الجاهلين، ماذا ينبغي على العقلاء من المؤمنين نحو هؤلاء الجاهلين؟ لنا دستور في كلام رب العالمين، ولنا أسوة في عمل النبي الأمين ﷺ، في كلام الله:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف)

٥٨ البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ
٥٩ البخاري والترمذي عن أنس ﷺ

ثلاث درجات.

سلاح العفو والصفح

والسلاح الذي ينبغي أن أتسلح به في هذا الزمان وكل زمان، وهذا هو السلاح الأساسي الذي استخدمه النبي العدنان في فتح القلوب، وهو سلاح العفو والصفح، أين المؤمنين الآن من خُلُق العفو والصفح؟! نحن نسمع من يقول في أخيه المؤمن مع أن الآية نزلت في الكافرين وغير المؤمنين: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (١٩٤البقرة) وهل هناك مؤمن يعتدي على مؤمن؟! الاعتداء يكون من الكافر، لكن لا يوجد مؤمن يعتدي على مؤمن أبداً:

﴿ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ﴾[٦٠]

إذاً كيف أعتدي عليه؟! لكن المؤمن معه دوماً العفو، اسمعوا إلى حضرة النبي ﷺ وقد جاءه رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُوا عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُوا عَنِ الْخَادِمِ؟ فَقَالَ:﴿ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾[٦١]

إذا كنت سأعفوا عن الخادم في اليوم سبعين مرة، فكم أعفوا عن الأخ وعن الجار وعن الزوجة وعن الولد وعن الإبنة وعن الرفيق وعن الزميل؟!! فالعفو مداه واسع ليس له نهاية، لأن خُلُق المؤمن الأول الذي عليه المعوَّل العفو.

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ أى تخلق به حتى يكون ملكاً لك دون الآخرين، واعتبر نفسك المخاطب بهذه الآية دون الخلق أجمعين، قد يقول قائل ويظن أن هذا الكلام لا ينطبق على الحالة الحاضرة، ويقول: إن العفو يجعل الناس تطمع فيَّ ويزيدون في إيذائي، لا والله ما قال ذلك الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ ليمحو عنا هذه الشبهة الخبيثة:

﴿ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا ﴾[٦٢]

---

٦٠ سنن ابن ماجة وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
٦١ سنن الترمذي عن ابن عمر ﷺ
٦٢ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

إن لم يدركه الآن سيظهر فيما يأتي من الزمان، وسيتحدث به الناس، ويكون أحدوثة في هذا الزمان أو بعد هذا الزمان، فلان هذا كان مثال للعفو، فلان هذا كان نموذج للصفح ... وكان على ذلك نبينا ﷺ، والمشاهد في هذا الأمر كثيرة.

هل هناك من تعرض منا لإيذاء في حياته كما تعرض النبي ﷺ للإيذاء من أهله وعشيرته في مكة؟! لا يوجد، حتى من المعاصرين أجمعين!!

لكن تجمع منهم ثلاثة آلاف رجل في ساحة الحرم الشريف، وسيدنا رسول الله ﷺ دخل ليزور الكعبة، وبعد انتهاء الزيارة والصلاة فيها وقف على بابها وخاطبهم: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال:

{ اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ }[٦٣]،

وفي رواية: { فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: { لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } }[٦٤]

مع أنه كان قادراً على ايذاءهم، ومكَّنه الله ﷻ من ذلك، عندما ذهب إلى ثقيف بالطائف ورجع، ونزل ملك الجبال، وقال جبريل:

{ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: لك ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا }[٦٥]

وقد كان، وفي غزوة أحد وفى غزوة أحد لمّا كُسِرَتْ بَيضةُ النبي ﷺ (خوذته) على رأسِهِ وأُدْمِيَ وجهُهُ وكُسِرَت رَباعيتَهُ وثلمت شفته ورمى رمية على كتفه ودخلت حلقتا المغفر فى وجنته الشريفة وسال الدم على وجهه أسرع خوفاً عليهم :

---

٦٣ تاريخ الطبري

٦٤ سنن النسائي

٦٥ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

﴿وأخذ شيئاً فجعل ينشف به دمه وقال: لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليكم العذاب من السماء.﴾[66] فتلقاه أصحابه ﷺ، وقال: بعضهم: يا رسول الله ادع عليهم، فقال ﷺ ﴿ اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[67]، وقال ﷺ:﴿ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ﴾[68]، وقيل قال ﷺ: ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[69]

أوصاف الرسول ﷺ الخُلُقية

والأمثلة في هذا الباب لا تُعد ولا تُحصى، يكفي أنه كما قال أنس بن مالك ﷺ:

﴿ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلا لَعَّانًا وَلا سَبَّاباً ﴾[70]

وهذه صورتك وصورتي، وينبغي أن تكون عليها صورة كل مسلم المعنوية، وكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سُئلت عن خُلُق النبي ﷺ:

﴿ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَلا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ﴾[71]

كل مسلم ينبغي أن يكون على هذه الشاكلة، لا يسب ولا يلعن، ولا يخرج من فيه لفظة نابية، ولا كلمة فاحشة، ولا يخدش حياء أحد بقوله، ولا يخدع الأنظار بفعله، وإنما يكون المؤمن كما قال الله في شأنه وفينا جميعاً والسابقين والمعاصرين واللاحقين من أهل هذه الأمة: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحج)، لا يخرج من ألسنتهم إلا الكلم الطيب، وهؤلاء دعا لهم حضرة النبي ﷺ فقال:

﴿ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ: خَيْرًا فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ ﴾[72]

---

٦٦ ولابن عائذ من طريق الأوزاعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري
٦٧ أخبار أصبهان لأبي نعيم عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٦٨ صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ
٦٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٧٠ صحيح البخاري ومسند أحمد
٧١ سنن الترمذي ومسند أحمد
٧٢ الصمت لابن أبي الدنيا وشعب الإيمان للبيهقي

هم يمشون على هذا المنهاج، قبل أن تخرج منه الكلمة يعرضها على القلب وعلى العقل، فإذا وافقت العقل والشرع وفي ميزان حسناته أخرجها وشكر الله ﷻ على توفيقه له في قولها، وإذا كانت نابية أو جافية أو لاغية أو باغية حفظها ولم يتفوه بها خوفاً من عتاب الله ﷻ، لأن الله يقول لنا أجمعين: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ (ق) أي جزء من قول إن كان حرف أو كلمة، ولا تعتقدوا كما يقول بعض العوام أن الرقيب ملك اليمين، والعتيد ملك الشمال، لو كان كذلك لقال (رقيب وعتيد) لكن الرقيب واحد وهو الله، وهذا الرقيب عتيد أي شديد؛ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وكل كلمة سيحاسب عليها، والنية التي صاحبت النطق بهذه الكلمة.

أخلاق النبي هي الخلاص لنا يا أمة النبي، أخلاق النبي التي بشَّر بها حتى السابقون، قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص، وكان على علم بما جاء في الكتب السماوية السابقة؛ التوراة والإنجيل: ما صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل؟ فقال ﷺ:

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[٧٣]

الأخلاق باب الإكرام الإلهي

هذه أوصاف رسول الله في كتاب الله، وفي الكتب السابقة، وفي أحواله التي كان عليها، وجعله الله ﷻ نموذجاً لنا جماعة المؤمنين، حتى نحتذي به في أخلاقنا، ونقتدي به في سلوكياتنا، ويكون كل واحد منا صورة مصغرة على قدره من أخلاق نبيه، لا سيما وأن الأخلاق هي الباب الأعظم لإكرام الكريم الخلاق ﷻ، ولأن يكون الإنسان من الصحب

٧٣ صحيح البخاري ومسند أحمد

والرفاق الذين مع النبي ﷺ في الجنة يوم الوفاق، سُئل النبي ﷺ: ما أثقل شيء يوضع في ميزاننا؟ فقال ﷺ:{ **مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ** }[٧٤]

وجاءه رجل وقال: { **أَيُّ الإِيمَانِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: الْخُلُقُ الْحَسَنُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: الْخُلُقُ الْحَسَنُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ، أَوِ الرَّابِعَةَ، فَإِمَّا أَقَامَهُ، وَإِمَّا أَقْعَدَهُ، قَالَ: أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ طَلِيقٌ، قَالَ: ثُمَّ مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَسِّنُ الْخُلُقَ الْحَسَنَ، وَيَقُولُ: هُوَ مِنَ اللَّهِ، وَيُقَبِّحُ الْخُلُقَ السُّوءَ، وَيَقُولُ: هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ** }[٧٥]، وقال في ذلك ﷺ: { **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ "، وَأَظُنُّهُ، قَالَ: الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** }[٧٦]

لماذا؟ لأن هذه هي البضاعة التي جاء بها رسول الله لتُظهر جمال هذا الدين إلى خلق الله فيدخلوا في دين الله ﷻ أفواجاً، ونادى النبي ﷺ على من يُريد أن يكون معه في الجنة، وأن يكون قريباً من حضرته يوم القيامة، فقال ﷺ:

{ **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا** }[٧٧]

أساء المسلمون إلى هذا النبي وإلى كتاب النبي وإلى دين النبي في هذا الزمان، عندما رموا بالأخلاق الكريمة جانباً وأظهروا للعالم أجمع التشدد، والتعنت، والتزمت، والبغض، والكراهية، والإرهاب،وإمساك السلاح، وترويع الآمنين ... هل هذا في دين الإسلام؟! كلا والله، إن النبي ﷺ عندما تحدث عن هذا البلد الذي نحن فيه قال:

{ **إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْدًا كَثِيفًا، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الأَرْضِ** }[٧٨]

---

٧٤ سنن الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ؓ
٧٥ المطالب العالية لابن حجر، واتحاف الخيرة للبوصيري
٧٦ المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة ؓ
٧٧ سنن الترمذي عن جابر ؓ
٧٨ تاريخ دمشق لابن عساكر عن عمر بن الخطاب ؓ

لم يقل: فاتخذوا من مسلميها، ولكن قال: (فاتخذوا فيها) ولم يكن فيها مسلمين في هذا الوقت، وأنا أقول وأنا على يقين: لو أن أهل هذا البلد تخلقوا بأخلاق سيد الأولين والآخرين الحقَّة ما بقي في هذا البلد واحد إلا ودخل في دين الله ﷻ.

لكنهم يرون منا أخلاقاً وفعالاً تُناقض كلام الله، وتناقض ما كان عليه حبيب الله ومصطفاه، ينظرون إلى المسلمين يسارعون إلى المساجد لأداء الصلوات، ويختلفون في الركوع والسجود والتطويل والقراءة وغيرها، فإذا خرجوا من الصلاة فلا صدق في القول، ولا وفاء بالعهد، ولا مودة، ولا تراحم، ولا تعاطف، ولا شفقة ... أين قيم الإسلام وهي السلاح الذي غزا قلوب الأنام؟! هذا هو الذي ينبغي علينا لهذه الأيام أن نقف عنده.!! وأنا لا أدعو إخواني إلى دعاء ودعوة غيرهم إلا بعد دعوة أنفسهم، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، وليكن لك عند نفسك وقفة، غُضَّ الطرف عن عثرات الآخرين، وافتح العين على مثالبك ومعايبك التي تناقض وتخالف أخلاق سيد الأولين والآخرين واصلحها أولاً. فإذا أصلحت نفسك فابدأ بمن حولك من أهلك، ثم الأقرب فالأقرب، فستجد لدعوتك حالاً ومقالاً، وفى الحديث الشريف:

{ ابدأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ يَلِيكَ وفى رواية: بِمَنَ تَعُولُ }[79]

نسأل الله ﷻ أن يُصلح أخلاقنا، وأن يُذهب فساد نفوسنا، وأن يُطهر قلوبنا، وأن يرزقنا حُسن الاقتداء بهدى نبينا، والتخلق بأخلاق حبيبنا، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الأخلاق وحل مشاكل المجتمعات[80]

حل كل مشاكل المجتمع من خلافات ومشكلات ومعضلات ومنازعات يحتاج إلى التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ، وأنت وأنا لو صارت النفس فيَّ وفيك في سلام صفا القلب فوراً ولمع فيه بدر التمام ومصباح الظلام وسيد الأنام، وأصبحت عند الله عبد له مقام في القرب من الملك العلام ﷻ.

٧٩ النّسائي من حديث جابر بن عبد الله، وارواية الثانية للبخارى وكثير غيره.
٨٠ المعادي – الأحد ١١ من ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/١/١٢م

كيف يأتي السلام مع النفس؟

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء).

آيات الله واضحة، ومن عجيب فضل الله عَلَيْك علينا بالقرآن أنه جعله واضحاً لكل أهل الإيمان، حتى لمن لم يقرأ كتب المفسرين أو المئولين، ولكن بمجرد أن يسمع القرآن أو يقرأه ولكن بحضور القلب فإن القلب ينفتح للمعاني الحسان الواردة فوراً من:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ ﴾ (الرحمن)، أصحاب رسول الله لم يتعلموا إلا في حضرة رسول الله، ولم يقرأوا أي تفاسير، ولكن الأمر كان شأنه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة) نحن نبينه ولكن لأهل القلوب.

والقلب لا يطيب إلا إذا تعلق بأوصاف الحبيب، إذا تعلق بالدنيا أو المناصب أو المكاسب أو الأولاد أو الزوجة، كل هذا لن يشغله الشغل التام، لكن كما قال سلفنا الصالح:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

حب رسول الله هو غاية القلب ومناه، وإذا شغلته بحب آخر فإنك بذلك تخدعه، ولذلك تُحرم ولا تُنعَّم ولا تُكرَّم ولا تُعظَّم لأنك لم تعط القلب مناه، وغاية مُنَى القلب هي وجه حبيب الله ومصطفاه:

وغاية بغيتي يبدوا حبيبي ... بعين الروح لا يبدوا خفيا

غاية بغية القلب هي رسول الله ﷺ، لأن القلب هو من نور رسول الله:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (٧الحجرات)

﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ (١٠١آل عمران).

الباب الثاني

الشمائل المحمدية

صورته ﷺ البشرية

ميزان الأعمال

الباب الثاني

الشمائل المحمدية

الصالحون اختصروا الطريق، ولذلك وضعوا من أول قدم قدمهم على طريق أهل التحقيق، فأدعوا إخواني أن يطالعوا الشمائل المحمدية، والأوصاف النبوية، وهناك كتاب (الشمائل للترمذي) وهو جامع لهذه الأوصاف، وله شروحات كثيرة لأن به ألفاظ عربية صعب فهمها، ولا بد من التأمل، لدرجة أنك إذا جلست بمفردك أو عند النوم أن يكون في مخيلتك صورة حضرة النبي ﷺ التي كانت ظاهرة وواضحة للأنام، لأن هذا أقرب طريق لرؤيته، وأقرب طريق للسعادة الإلهية، والعطايا الربانية، لأنه قال:

{ اللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[81]

سيدنا يوسف قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ (٥٥يوسف) خزائن الأرض هي طلبات الجسم، لكن رسول الله ليس حتى على خزائن الملكوت فقط، ولكن على خزائن الله، من العلوم الإلهية، والتجليات الربانية، والأنوار القدسية، والمكاشفات العلية: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾ (الإسراء) وقال له:

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ ﴾ (ص)

هل هناك أمين مخازن لا يحاسب؟! رسول الله ﷺ لا يُحاسب ولا يُعاتب، لكن رسول الله عندما خاطبه الله بهذا المقام يعلم أنه لا يتصرف بأمره، وإنما كان مؤدباً شديد

٨١ صحيح البخاري ورواه مسلم بصيغة: " وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ " عن معاوية ﷺ

الأدب مع ربه، فلا يتصرف في أمر صغير أو كبير إلا بإذن صريح من ربه ﷻ.

اثنان من كبار الصالحين والعارفين، وهما من خيار الصحابة، ومن خيار التابعين، وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، قال فيهما رسول الله ﷺ:

{ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ }[82]

وهل هناك عجوز في الجنة؟ لا، لأن أهل الجنة سيدخلون جميعاً في سن الشباب، إذاً فهما سيدا أهل الجنة.

سيدنا الحسن جدته السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ من رجل إسمه أبو هالة، وأنجبت منه ولداً إسمه هند، فلما تزوجت من رسول الله ﷺ كان هند صغيراً، فتربَّى في بيت حضرة النبي ﷺ مع أمه، ولذلك يُسمى ربيب حضرة النبي، وكان هند يجيد الوصف، وهذه مزية إلهية يُعطيها الله ﷻ لبعض العبيد، يقول سيدنا الحسن رضي الله عنه:

{ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيَّ وَكَانَ وَصَّافًا، عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ، عَظِيمَ الْهَامَةِ، رَجِلَ الشَّعْرِ، إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُهُ فَرَقَ وَإِلا فَلا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، أَزَجُّ الْحَوَاجِبِ سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قَرَنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ غَضَبٌ، أَقْنَى الْعِرْنِينِ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ يَحْسَبُهُ مَنْ لم يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ، ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْنَبَ، مُفَلَّجَ الأَسْنَانِ، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، بَادِنًا مُتَمَاسِكًا سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ،

٨٢ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبَ الرَّاحَةِ سَبْطَ الْقَصَبِ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلَ الأَطْرَافِ، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قُلْعًا يَخْطُو تَكَفِّيًا وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلاحَظَةُ يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلامِ ". قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ لا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السَّكْتِ، يَفْتَتِحُ الْكَلامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَصْلٌ لا فُضُولَ وَلا تَقْصِيرَ، دَمِثٌ لَيْسَ بِالْجَافِي، وَلا الْمُهِينِ يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ لا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا لا يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلا يَمْدَحُهُ، وَلا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلا مَا كَانَ لَهَا فَإِذَا تُعُوطِيَ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَيَضْرِبُ بِبَاطِنِ رَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَاطِنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ ". قَالَ: فَكَتَمْتُهَا الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ الْحُسَيْنُ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءٌ لِلَّهِ، وَجُزْءٌ لأَهْلِهِ، وَجُزْءٌ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ

جُزْءٌ جزَّءَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ فَلا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ، وَقَسَّمَهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالأُمَّةَ عَنْ مَسْأَلَةِ عَنْهُ، وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا إِيَّايَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلا ذَاكَ، وَلا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ يَدْخُلُونَ رُوَّادًا وَلا يَفْتَرِقُونَ إِلا عَنْ ذَوَاقٍ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلا مِمَّا يَعْنِيهِمْ وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلا يُفَرِّقُهُمْ، أَوْ قَالَ: يُنَفِّرُهُمْ، فَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ، وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَلا خُلُقَهُ، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنَهُ، مُعْتَدِلَ الأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ لا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا، وَيَمِيلُوا لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ لا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ وَلا يُجَوِّزُهُ الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ، خِيَارُهُمْ أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ، أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً ". فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ لا يُوطِّنُ الأَمَاكِنَ، وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ لا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ

فَصَارَ لَهُمْ أَبًا، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ، وَلا تُؤَبَّنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ مُتَعَادِلِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ وَيُؤْثِرُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ. قَالَ: قُلْتُ: " كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ فِي جُلَسَائِهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا صَخَّابٍ وَلا فَحَّاشٍ وَلا عَيَّابٍ وَلا مَدَّاحٍ يَتَغَافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِي وَلا يُؤَيِّسُ مِنْهُ وَلا يَخِيبُ فِيهِ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ الْمِرَاءِ وَالإِكْثَارِ وَمِمَّا لا يَعْنِيهِ وَتَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ كَانَ لا يَذُمُّ أَحَدًا وَلا يُعَيِّرُهُ وَلا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ وَلا يَتَكَلَّمُ إِلا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا وَلا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ مَنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوَّلِيَّتِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ مِنْ مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ ، وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْشِدُوهُ، وَلا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلا مِنْ مُكَافِئٍ، وَلا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَهُ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ، فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَتِهِ النَّظَرَ وَالاسْتِمَاعَ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَذَكُّرُهُ، أَوْ قَالَ تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى، وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ فِي الصَّبْرِ، فَكَانَ لا يُوصِبُهُ يُبْغِضُهُ شَيْءٌ وَلا يَسْتَفِزُّهُ، وَجُمِعَ لَهُ الْحَذَرُ فِي أَرْبَعٍ: أَخْذُهُ بِالْحُسْنَى لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيَتَنَاهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادُهُ الرَّأْيَ

فِي مَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالْقِيَامُ فِيمَا جُمِعَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) [٨٣]

هذا الوصف هو ما تعلق به الصالحون كلهم، لماذا؟

لأن المؤمن ينبغي أن يكون صورة في كل هذه السلوكيات من رسول الله ﷺ، انظر إلى الصالحين كيف كان عملهم؟! تَعلَّم العلم ولم يخبر به أحد حتى أخوه. وهذا الوصف الظاهري للنبي ﷺ، والذي يقف عنده كثير من المؤمنين: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (١١٠الكهف) هذا الوصف يُحير الأولين والآخرين، ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي أنا مثلكم جميعاً، والحديث يُفسر ذلك، فبعد أن شق الملائكة صدره قال أحدهم كما أخبر النبي ﷺ:

(زِنُوهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي، فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنُوهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي، فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنُوهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي فَرَجَحْتُهُمْ، قَالَ: دَعُوهُ فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ جَمِيعًا لَرَجَحَ بِهِمْ) [٨٤]

إذا كان إيمان أبو بكر الصديق مثل إيمان الأمة، فما بالك بإيمان رسول الله ﷺ؟!! مثل إيمان الأولين والآخرين.

صورته ﷺ البشرية

فكان ﷺ ظاهره بشرية، وباطن الظاهر حقيقة نورانية ربانية، لأن الحقيقة البشرية لا بد أن يكون لها ظل، والنبي ﷺ لم يكن له ظل! إذاً الحقيقة التي بداخل الظل نور:

أبرزتـــه يـــد العنايـــة كونـــاً   وهـــو نـــور في صـــورة آدميـــة

الحقيقة الآدمية يقف عليها الحشرات كالذباب، لكنه ﷺ ما وقف على جسمه ذباب قط، الحقيقة الظاهرية الجسمانية تُنتنها العرقة، لكنه ﷺ كان عرَقه أطيب من ريح المسك، كان إذا نام اشتد عرقه، وكان يكثر القيلولة عند السيدة أم سليم، أم سيدنا أنس بن مالك، يقول سيدنا أنس رضي الله عنه:

---

٨٣ معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه
٨٤ المطالب العالية لابن حجر وتاريخ الطبري عن شداد بن أوس رضي الله عنه

﴿ دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَنَامَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ (زجاجة)، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ ﴾[٨٥]

وعينه ترى إلى ما بعد البعد!! كل ما حدث ويحدث لأمته ألم يُحدثنا عنه؟ وما سيحدث في القبور!!وما سيحدث في النشور!! وما سيحدث في الجنة، وما سيحدث في النار!! هل يوجد شيء لم يصفه.؟؟

إذاً يرى من خلفه إلى ما قبل القبل، ويرى من في الأمام إلى فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير: عن حذيفة بن اليمان ﷺ:

﴿ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إلا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ﴾[٨٦]

كل هذه الفتن التي نحن فيها تكلم فيها رسول الله ﷺ بالتفصيل، ولذلك نقول دائماً للأحباب: كما تقرأ في الصحف السيارة اقرأ في الصحف النورانية لخير البرية أخبار عصرنا الذي نحن فيه.

والعلماء الأجلاء الفقهاء لا يذكرون الأحاديث التي تتكلم عن العصور السابقة كالأمويين والعباسيين، فرسول الله ﷺ له أحاديث لكل زمان إلى أن يرث الله الزمان والمكان، لكن الفقيه هو الذي يأتي بأحاديث العصر ويتكلم فيها، لأن أهل العصر يحتاجون لهذه الأحاديث.

كل جماعة أو فئة من أمته في أي زمان ومكان لهم نصيب في حديث النبي العدنان ﷺ لأنه رسول الله إلى آخر الزمان، ونصيبنا من هذه الأحاديث يجب أن نبينه ونوضحه إذا كان الإنسان فقيه، ليخبر الناس بما لهم، وما خبَّرهم به النبي ﷺ بما أوحى به الله ﷻ عليه، لأنه أصدق الصدق:

---

٨٥ صحيح مسلم عن أنس ﷺ
٨٦ صحيح مسلم ومسند أحمد

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ (النجم).

كان النبي ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، أى أنه وسط، لكنه كما ذُكر في السِّيَر: ما مشى مع قوم إلا كان أطولهم مهما كان طولهم، وما جلس مع قوم إلا كان أعلاهم أكتافاً مهما كان علوهم!! كيف يُكَيَّف ذلك بالظاهر؟! لكن بالنور الباطن يمكن ذلك، ولذلك قال الله موضحاً هذه الحقيقة عن الكافرين ومثلهم المعترضين والنافرين:

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٩٨ ﴾ (الأعراف)

لا يرون النور المكنون الذي جعله فيك الحي القيوم ﷻ، لا يرون إلا الظاهر:

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (٧الفرقان) ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ (٢٤القمر)

هو مثلنا لا يزيد عنا شيئاً، كما نسمع من العوام!! لكنه ﷺ يزيد زيادة لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، من يملك عيناً تنظر خلف الحواجز؟!!! رسول الله ﷺ معه عين تنظر إلى ما قبل القبل، وإلى ما بعد البعد!! من أين جاءت هذه العين؟ إذا كان المؤمنون العاديون إذا جدَّوا .... واجتهدو .... وصلحوا .... وانصلح حالهم .... قال الله في شأنهم:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[87]،

فما بالك بسيدنا رسول الله ﷺ الذى قال:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[88]

إذا كان المؤمن ينظر بنور الله، فبماذا ينظر رسول الله ﷺ؟

---

٨٧ صحيح البخاري وابن حبان عنأبي هريرة رضي الله عنه

٨٨ سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

ينظر بالله، إذاً رسول الله ظاهره ليس مثلنا، إذا كان الرجل في زمانه قال فيه:

وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأكمل منك لم تلد النساء

خُلقت مبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خُلقت كما تشاء

فكان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وكان ﷺ يرى في الثريا أحد عشر نجماً وكان ﷺ لا يقعد في بيت مظلم حتى يضاء له بالسراج، وكان ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجارى.

ميزان الأعمال

لا بد أن نستجمع هذه الصورة في تجاويف قلوبنا، ونُعلقها في حنايا صدورنا حتى نقتدي به في كل حركاتنا وسكناتنا، لأنه ميزان أعمالنا عند ربنا ﷻ، كيف يوزن العمل؟ بميزان رسول الله ﷺ، فالذي يريد أن يُصلي صلاة مضبوطة، كيف يعملها؟ ينظر إلى رسول الله كيف كان يُصلي:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[89]

وقس على ذلك كل الأمور، إذاً الذي يريد العطاء الإلهي، والذي يريد أن يكون من أهل القرب، ومن أهل الود، ومن أهل سابقة العناية عند الله لا بد أن يتشبه برسول الله ﷺ. يتشبه به في ظاهره؛ في مشيه، وفي جلوسه، وفي أكله، وفي شربه، وفي نومه، وفي مجالسه، وفي منطقه، وفي مدخله، وفي مخرجه، وفي معاملته للخلق.

ثم يرتقي فيتشبه به باطناً في أخلاقه المعنوية، في كرمه، وفي تواضعه، وفي شجاعته، وفي هيبته، وفي عفوه، وفي صفحه، وفي لطفه، وفي شفقته، وفي حنانته، وفي رحمته، وفي أنسه، وفي مودته، فإذا أكرمه الكريم وتحلى بهذا الخُلُق الكريم أكرمه الله ﷻ فتفضل عليه وجعله يُشبهه باطناً، في خشيته، وفي خوفه من الله، وفي إقباله على مولاه، وفي حبه لله، وفي زهده في الدنيا، وفي ورعه، وفي سكينته، وفي تقلب قلبه في الحضرة الإلهية، يتشبه به

٨٩ صحيح البخاري والدارقطني عن مالك بن الحويرث ﷺ

في كل ذلك، فيُكرمه الكريم بعد ذلك ويُعطيه من العطاءات التي خصَّ بها حبيبه ومصطفاه، وفى الأثر:

{ ما صُبَّ في صدري شيء إلا وصببته في صدر أبي بكر }[٩٠]

ماذا يصبُّ في صدره؟ من العلم، ومن الإلهام، ومن النور، ومن الحكمة ... يُفيض عليه من العطاءات التي اختصه بها الله ﷻ.

هذا طريق أهل العزائم، وأصحاب الهمم القوية، الذين يريدون أن يكونوا من الداخلين في قول رب العالمين فى سورة الواقعة: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ ﴾ وهناك قراءة أخرى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ يشربون خمرة القرب من يد الحبيب، فيغيبون عن كل شيء في هذه الحياة، إلا ذكر الله وما والاه، وما يُقربهم إلى حضرة الله، ويعيشون مهيمين في قول الله:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٢-١٦٣الأنعام).

هذا الكلام يجب أن يراه الغير فينا سلوكاً وخُلُقاً كريماً!!

فإذا جمَّلوك بالأحوال أقبلوا عليك بكُمَّل الرجال ...

لتعلو بهم بهمتك إلى مقام القرب من الواحد المتعال.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٩٠ ورد فى تفسير روح البيان وفى تفسير الرازى، إلا أنى لم أقع له على تخريج.

الباب الثالث

أوصاف رسول الله ﷺ

الظاهرة

صورة حُسنه ﷺ

مواهب الصحابة الكرام

تمام حسنه ﷺ ريقه شفاء

بركة شعره ﷺ صوت الحق

أُذُنه الواعية قوته الربانية خاتم النبوة

أسئلة عن شمائل رسول الله ﷺ بين يوسف والحبيب

نور الروح أول خلق الله دعوى فقر النبي

حقيقة النظرة

الباب الثالث

أوصاف رسول الله ﷺ الظاهرة[91]

النبي ﷺ له وصف جسماني، وله وصف معنوي، وله صفاء قلبي، وله سبح روحي، وله تنزل قدسي، وكل ذلك من أوصافه صلوات ربي وتسليماته عليه، ونبدأ من ذلك بما تيسر من وصفه ﷺ الحسي الجسدي، مع أنه رُوي أن أغلب أصحاب رسول الله ﷺ مع كثرة شخوصهم بين يديه، وجلوسهم دائماً وأبداً مستمعين إليه، إلا أنهم كانوا لا يستطيعون أن يُثبتوا أبصارهم في وجهه الشريف وينظروا إليه.

وناهيك في هذا المقام حتى الأبطال والصناديد والقادة في ميادين القتال الشداد، ومنهم عمرو بن العاص ﷺ، فعندما حضرته المنية أخذ يبكي خوفاً من سوء الخاتمة، فقال له ابنه عبد الله وكان من العابدين: يا أبتاه مم تخاف؟! يكفيك أنك صحبت النبي ﷺ وتمتعت بصحبته وشهدت جمال وجهه، فقال ﷺ: هيهات هيهات، قد مات النبي ﷺ وما استطعت أن أنظر إليه وأثبت بصري في وجهه حياءاً منه!!.

وكان ﷺ كما رُوي عنه يُضرب به المثل في الحياء، فكان يُقال في شأنه:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا }[92]

أي كالبنت البكر في سترها، وحرصها على أن لا يطلع أحد على أي شأن من شئونها!!.وكان حياءه من الله عظيماً، لقد كان ﷺ لا يستطيع أن يرفع نظره إلى السماء، إن كان في مشيه أو في جلوسه أو في صلاة حياءاً من الله جل وعلا.

---

٩١ المعادي – الخميس ٦ من ربيع الآخر ١٤٣٥هـ ٦/٢/٢٠١٤م
٩٢ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

وكان في حديثه مع الخلق كما رُوي عن حضرته لا يستطيع أن يُثبت بصره في وجه مُحدثه وهو يُحدثه من شدة أدبه وحياءه صلوات ربي وتسليماته عليه، وقد قال له الصديق الأعظم سيدنا أبو بكر ﷺ متعجباً من هذه الأحوال العالية: يا رسول الله لقد طفت العرب، وذهبت إلى الفرس، وذهبت إلى الروم فلم أر مثل أدبك، فمَن الذي أدبك؟ فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[٩٣]

صورة حُسنه ﷺ

ولذا نجد أن من كان يصف رسول الله ﷺ كما ورد في كتب الصحاح نفر قليل من الصحابة المباركين، ونحن نعلم أن صحابة النبي عندما ارتقى إلى الرفيق الأعلى مائة وأربعة وعشرون ألف صحابي، لم يستطع أن ينعته أو يصفه منهم إلا حوالي خمسة عشر صحابي فقط، والباقي لم يقو على ذلك، ولم يستطع ذلك !!! حتى قال الإمام القرطبي ﷺ في كتاب الصلاة:

"لم يُظهر اللهّ ﷻ لنا تمام حُسن حبيبه ومصطفاه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته ﷺ" فقد خلقه الله تعالى على أتم الصور الإلهية من قبل القبل إلى نهاية النهايات، حتى قال الإمام البوصيري ﷺ:

فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم
فاق النبيين في خَلقٍ وفي خُلُقٍ ... فلم يدانوه في علم ولا كرم

وسيدنا حسان بن ثابت ﷺ وقف يخاطبه فقال:

وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأكمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خُلقت كما تشاء

---

٩٣ أخرجه السمعاني في أدب الاملاء

وقال صاحب المواهب: "اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا يظهر بعده خلق آدمي مثله"

فإذا كان الله ﷻ قال لنا وفينا أجمعين: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (٣التغابن) فإن أكمل صورة كمَّلها الله وجمَّلها الله وصوَّرها الله وسوَّاها الله من البدء إلى نهاية النهايات هي صورة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ﷺ، وأُقرِّب لكم الحقيقة، سيدنا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام يقول فيه النبي ﷺ:

(أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ)[٩٤]

أما النبي ﷺ فقد أُعطي الحُسن كله، فالذي أُعطي شطر الحسن عندما هامت به امرأة العزيز، وعلمت أن نساء الوجهاء يتحدثن عنها ويخضن في عرضها جمعتهن في بيتها، وأحضرت لكل واحدة منهن طبقاً ووضعت فيه تفاحاً وسكيناً تُقطع بها التفاح وتأكله، وبعد أن وزعت عليهن الأطباق والسكاكين والتفاح وبدأن يُقطعن أذنت ليوسف أن يدخل عليهن، اسمع لوصف الله لهذا المشهد العجيب الغريب: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ (يوسف).

إذا كان النسوة لما رأين جمال يوسف قطعن أيديهن ولم يشعرن، وسال الدم منهن ولم يلاحظن ذلك، ويوسف أُعطي شطر الحسن، فما بالك بصاحب الحُسن كله وهو سيدنا رسول الله ﷺ؟!!.وربما يسأل سائل: ولِمَ لَم يحدث ذلك لمن رأى رسول الله ﷺ؟ فنقول: كان يوسف ظاهراً بالجمال الصرف، ولذلك حدث ماحدث للنسوة اللاتي رأينه، أما رسول الله ﷺ فكان جماله مشوب بجلال، ولذلك قيل في وصفه: "من رآه بديهة هابه" فكانت شدة هيبته تمنع الناظر إليه من التثبت في رؤيته.

لم يستطع أن يصفه إلا قلة قليلة، بعضهم وصف شذرات من حلية حضرته، والذي وصف هيئته كلها ثلاثة نفر، الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وأم معبد التي نزل الرسول ﷺ في خيمتها عند هجرته عندما وصفته لزوجها، وهند ابن أبي هالة ابن السيدة خديجة رضي الله عنها.

---

٩٤ مسند أحمد والحاكم عن أنس ﷺ

مواهب الصحابة الكرام

فإن أصحاب النبي أجمعين ﷺ وهبهم الله ﷻ مواهب متعددة، بها تم حفظ كتاب الله، وبها تم تسجيل حديث رسول، وبها تم حفظ دين الله ونقله إلى من حولهم ومن بعدهم من المؤمنين بالله، بهذه المواهب الإلهية التي خصهم بها الله.

فموهبة هند كانت في جودة الوصف، فيستطيع أن يصف الشيء الذي رآه وصفاً تفصيلياً دقيقاً لا يترك منه صغيرة ولا كبيرة، وهذه موهبة من الله ﷻ، وبعضهم كانت موهبته هي الفقه والفطنة لما لا يفطن إليه الآخرين من مسائل الدين، وبعضهم كانت موهبته جودة الصوت في ترتيل كتاب الله ليجذب بصوته وتلاوته حتى الكافرين والمشركين كأبي بكر الصديق ﷺ، ومعظمهم كانت موهبته جودة الحفظ، فكان النبي ﷺ إذا نزلت عليه آيات كتاب الله يقرأها ثلاثاً، منهم من يحفظ ما استمع إليه من أول مرة، ومنهم من يحفظه من المرة الثانية، وآخرهم من كان يحفظه بعد المرة الثالثة، ولا يوجد أحد بعد ذلك! مواهب ربانية جمَّلهم بها الحق ليبلغوا رسالات الله ﷻ إلى خلق الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الاحزاب) جم غفير وليس واحد فقط.

وما أحب أن ألفت النظر إليه أن شباب الإسلام؛ حتى الذين تربوا في أحضان الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كانوا في اشتياق دائم إلى رؤية الحبيب ﷺ، ويبحثون عمن يصف لهم صورته الظاهرة حتى يتعلقوا بها، لأن هذا هو باب القرب من الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢١الأحزاب)، فذهب سيدنا الحسن ﷺ إلى خاله هند بن أبي هالة، ويحكي هذا الأمر فيقول:

{ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيَّ وكَانَ وَصَّافًا، عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ }[٩٥]

يريد الوصف ليتعلق به، فإذا تعلق هذا الوصف في أفق الفؤاد ونام المرء صدَّقه الله في المنام وجاءه الحبيب زائراً له، ومنامه ﷺ حقيقة:

٩٥ معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن هند بن أبي هالة ﷺ

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي }[٩٦]

يقول ﷺ حتى نرى التنافس في الخيرات ورفعة الدرجات:

{ فَكَتَمْتُهَا الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا }[٩٧]

إذاً هند بن أبي هالة، والإمام علي، وأم معبد؛ هؤلاء الثلاثة الذين لهم وصف جامع أو شامل لرسول الله ﷺ، أما بقية أوصاف أصحابه الذين ذكرنا أن عددهم لا يزيد عن الخمسة عشر؛ فكانت جزءاً من وصف حضرته، ولكن ليس وصفاً كلياً أو وصفاً جامعاً أو وصفاً شاملاً لرسول الله ﷺ.

جمع الإمام الترمذي ﷺ هذه الأوصاف كلها الواردة عن هؤلاء الأصحاب من كتب الصحاح في كتابه العظيم (الشمائل المحمدية) وهذا الكتاب يحتاج إلى شروح، لأن ألفاظهم ألفاظ عربية غير سهلة المدارك، ولذلك له شروح تزيد على الخمسين شرح، منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها الموجود حالياً، ومنها الذي لا يُدرى ولا يُعلم مكانه، وله شروح عصرية شرحها بعض السادة المعاصرين، ولكنها معظمها شروح لغوية، تشرح معاني الألفاظ والعبارات الواردة عن الرسولﷺ، وأنا سأحاول أن أقرب الحقيقة للأحباب على قدر تيسير الله، وإلهامه، وإمدادات رسول الله ﷺ، وليس راءٍ كمن سمع.

تمام حسنه ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ كان ليس بالطويل الزائد عن الحد، ولا بالقصير، بين الطول والقصر، وهذا يُسمَّى في لغة العرب (رَبْعة بين الرجال) ومع ذلك كان سيدنا عمر ﷺ يقول: (ما مشى ﷺ بين رجال إلا وكان أطولهم مهما كان طولهم) ويقول سيدنا أنس بن

٩٦ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ
٩٧ معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن هند بن أبي هالة ﷺ

مالك ﷺ: (ما جلس ﷺ وسط قوم إلا كان أعلاهم أكتافاً مهما كان علوهم)

وكأن الله ﷻ أراد أن يُعلمنا أنه أعلى شأنه في الدنيا والآخرة، وفي كل أموره صلوات ربي وتسليماته عليه.

كان وجهه ﷺ أبيض بياضاً مُشرباً بحمرة[٩٨]، وهذا أفضل أنواع البياض، وهذا هو الوصف الذي ذكره ﷺ لحور الجنة، أنهن على هذه الهيئة الطيبة العظيمة، بياض مختلط بحمرة.وأنتم تعلمون قدرة الله ﷻ في لون جسم الإنسان، ما الذي يُلون الإنسان؟ جريان الدم الذي يجري تحت الجلد هو الذي يُشكل لون الإنسان، فإذا مرض الإنسان وهرب الدم ظهر شكل الإنسان أصفر، وإذا غضب الإنسان واكفهر يميل لونه إلى السواد والزرقة ... فالذي يشكل لون هيئة الإنسان هو الدم الذي يُجريه الرحمن تحت جلد الإنسان، ومن عجيب قدرة الرحمن ﷻ أنه يجعل هذا الدم يجري بمقدار لا يعلم مداه إلا الواحد القهار ليحافظ على هذا اللون للإنسان باستمرار حتى يخرج من الدنيا إلى دار القرار.

وكان ﷺ مستدير الوجه، ولذا سُئل البراء بن مالك ﷺ:

{أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ}[٩٩]

ويقول أحد أصحابه الكرام:

{رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ}[١٠٠]

وليلة أضحيان هي ليلة الرابع عشر من الشهر الهجري، وكان ﷺ عينيه بياضهما مُشرب بحمرة، وحدقة العين سوداء، ولكنه ﷺ بهذه العين لم يكن ينظر كما ننظر، فنحن بعيوننا لا ننظر إلا في الضوء، والسيدة عائشة رضي الله عنها تقول في حضرة النبي ﷺ:

---

٩٨ مسند أحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ
٩٩ صحيح مسلم وسنن الترمذي
١٠٠ سنن الترمذي والدارمي عن جابر بن سمرة ﷺ

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى فِي الظَّلْمَاءِ كَمَا يَرَى فِي الضَّوْءِ }[101]

مع أن الكيفية العلمية لا تسمح بذلك، لكن الكيفية الإلهية تقول: لا حرج في ذلك، لا حرج على فضل الله ﷻ، بل إن هذه العين كانت ترى ما في الضمائر والسرائر كما ترى في الوجوه وما في الأفاق، فكان ﷺ إذا صلَّى بالقوم وانتهى من الصلاة يلتفت إلى مِن خلفه ويقول:

{ يَا فُلانُ أَلا تَتَّقِي اللَّهَ؟ أَلا تَرَى كَيْفَ تُصَلِّي؟ إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا تَصْنَعُونَ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ }[102]

وفي رواية أخرى:

{ أَحْسِنُوا صَلاتَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ أَمَامِي }[103]

وقد أضاف إلى هذا المعنى معنى أعمق وأوثق شيخنا الشيخ محمد على سلامة رضي الله تبارك وتعالى عنه فقال: لم يعني رسول الله بمَن خلفه الذي يقف خلفه في الصف، ولا مَن أمامه الذي أمامه في الحائط، ولكن كل مَن خلفه أي قبله من بدء البدء فقد رآه، وكل من بعده إلى فريق في الجنة وفريق في السعير فقد رآه.

أي أنه يرى كل من سبقه، ولذلك حدَّث عن الأنبياء، وعن المرسلين، وعن أممهم، وعما جرى لهم، وعما حدث لهم، والله ﷻ يقول له في ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ (الفيل) وكما قال الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه: (ألم تر) استفهام تقريري، أى أنك رأيت ماذا فعل الله في أصحاب الفيل، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ (٤٥الزخرف) ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (٨٢يوسف) اسأل الرسل، واسأل حتى القرية!!.

وكان ﷺ يُحدث عن كل ما سيحدث بعده إلى يوم القيامة، بل يُحدث عن البرزخ وما فيه، ويُحدث عن القيامة وأهوالها ومواقفها، ويصف الجنة ونعيمها، ويصف النار وأهوالها لأنه أعطاه الله ﷻ عيناً من عينه، نظر بها إلى ما قبل القبل، وإلى ما بعد البعد

١٠١ دلائل النبوة للبيهقي
١٠٢ مسند أحمد وصحيح ابن خزيمة
١٠٣ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان ﷺ سهل الخدين[104]، أي منبسطين غير منتفخين، وفي هذا جمال وكمال لحضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان ﷺ محدودب الأنف، أي فيه طول من أعلى، ولكن أرنبته ليست بالطول الذي يُعاب، ولكنه الطول الذي يُحمد ويُمدح ويُثنى به عليه.

وكان ﷺ ضليع الفم[105]، أي واسع الفم، وهذا شيء كان يتمدح به العرب لأنه يدل على الفصاحة.

ريقه شفاء

وكان ﷺ ريقه فيه شفاء من كل داء، وفيه حدِّث ولا حرج، فتارة يشفي به من العين، ولذلك رُوي أنه ﷺ بعد ولادته بأيام ولم يُتم أسبوعاً أصيب برمد في عينيه، وكان أحبار اليهود عندما علموا بقرب ظهوره جاءوا إلى الجزيرة العربية يرجون رؤياه، منهم من سكن بعرفات، ومنهم من سكن بالمدينة، ومنهم من سكن بخيبر، وكلهم جاءوا بحسب ما وجهت لهم التوراة ليتحققوا من أوصاف رسول الله ﷺ ويروا حضرته، فحمله جده عبد المطلب وذهب به إلى الراهب الذي كان في عرفات، وكان يعالج من أمراض العيون، فلما نظر إليه قال: هذا دواؤه معه، خذ من ريقه وضع في عينيه يُشفى إن شاء الله، فأخذ من ريقه ووضع في عينيه فشفاه الله ﷻ.

ولذا عندما أحاط النبي ﷺ بخيبر وهمَّ بفتحها، واستعصى الفتح على جيش المسلمين، حتى غروب الشمس، قال ﷺ:

{ لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: ادْعُوا لِي عَلِيًّا، فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ

---

١٠٤ الطبراني عن هند بن أبي هالة ﷺ
١٠٥ الطبراني عن هند بن أبي هالة ﷺ

الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ)[106]

هذا الريق كان يُحول الماء الملح إلى ماء عذب، وهذا حدث مراراً وتكراراً في مرات يعجز الحصر عن ذكرها؛ ذكرها كُتب السيرة الصحيحة المعتمدة، فقد كان يأتيه العرب ومعهم أقداح، ويقولون يا رسول الله: إن لنا بئراً مالحاً فادعوا الله أن يجعلها عذبة، فيأمر ﷺ بشيء من الماء في القدح، ثم يشرب منه ويتمضمض، ويُنزل الماء بعد المضمضة في القدح، ويقول: خذه وضعه في البئر، فيأخذون الماء ويضعونه في البئر فيتحول إلى ماء عذب بأمر الله ﷻ، قال علاء الحضرمي ﷺ:

(أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ مَجَّ فِي الدَّلْوِ ثُمَّ صَبَّ فِي الْبِئْرِ أَوْ شَرِبَ مِنَ الدَّلْوِ ثُمَّ مَجَّ فِي الْبِئْرِ فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ)[107]

وعن البراء بن عازب ﷺ قال:

(كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي الْبِئْرِ فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا وَرَوَتْ أَوْ صَدَرَتْ رَكَائِبُنَا)[108]

وما أكثر الآبار التي تحولت في المدينة ومكة والجزيرة العربية كلها من ريقه الشريف صلوات ربي وتسليماته عليه، ولعلنا نعجب جميعاً كيف تعيش دولة مثل الجزيرة العربية الآن وليس فيها أنهار ولا أمطار، ولا يوجد فيها إلا مياه الآبار، وماء الآبار قليل، ومع ذلك يكفيهم ولا يهتمون ولا يبحثون عن شيء؟! لأن هذا ببركة النبي ﷺ لماء هذه البلدان، وإن كان ﷺ بشَّرنا وإياهم ببشارة فقال ﷺ:

(لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)[109]

---

١٠٦ مسند أحمد والحاكم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ
١٠٧ مسند أحمد وسنن ابن ماجة
١٠٨ صحيح البخاري ومسند أحمد
١٠٩ مسند أحمد وصحيح ابن حبانعن أبي هريرة ﷺ

سترجع أرض الحجاز خضراء وأنهار وحدائق جناء، لأن الدورة المناخية قد اقترب تحقيقها بالنسبة لمصر والسعودية إن شاء الله رب العالمين.

{ جَاءَتْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةٌ بَذِيئَةُ اللِّسَانِ قَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَدِيدٌ يَأْكُلُهُ، فَأَخَذَ قَدِيدَةً فِيهَا عَصَبٌ، فَأَلْقَاهَا إِلَى فِيهِ، فَهُوَ يَلُوكُهَا مَرَّةً عَلَى جَانِبِهِ هَذَا، وَمَرَّةً عَلَى جَانِبِهِ الآخَرِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلا تُطْعِمُنِي؟ قَالَ: بَلَى، فَنَاوَلَهَا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَتْ: لا، إِلا الَّذِي فِي فِيكَ، فَأَخْرَجَهُ فَأَعْطَاهَا، فَأَخَذَتْهُ فَأَلْقَتْهُ إِلَى فَمِهَا، فَلَمْ تَزَلْ تَلُوكُهُ حَتَّى ابْتَلَعَتْهُ، فَلَمْ يُعْلَمْ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ بَعْدَ ذَلِكَ الأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَذَاءِةِ وَالذَّرَابَةِ }[١١٠]

و أخبر جعفر بن محمود أن جدته عميرة بنت مسعود حدثته: **{ أنها دخلت على رسول الله ﷺ هي وأخواتها وهن خمسة فبايعنه، فوجدنه وهو يأكل قديدا، فمضغ لهن قديدة، ثم ناولهن إياها فاقتسمنها، فمضغت كل واحدة منهن قطعة، قال: فلقين الله ﷻ ما وجدن في أفواههن خلوقا، ولا اشتكين من أفواههن شيئا }**[١١١] بدون معجون أسنان، ولا أي معطرات، ولا حتى سواك، ولا أي شيء من هذا القبيل.

بل الأعجب من هذا أن رجلاً كان يُسمَّى عُتبة بن فرقد ﷺ، تزوج أربع نساء، وكانت كل واحدة منهن تجتهد أن تشتري أفخر ما وسعها من العطر لتبدو أحسن عند زوجها، وهو لا يضع عطراً، وأخيراً اجتمعن وقلن له: يا عتبة نحن نشتري أفخر العطور، ونضعها، ولا نراك تضع عطراً، ومع ذلك لا نصل إلى الرائحة الطيبة التي نشمها منك، فمم ذاك؟ تحكي هذا الأمر إحدى زوجاته وهي أم عاصم فتقول:

{ كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ، مَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلا وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي الطِّيبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا، وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةُ الطِّيبَ إِلا يَمَسُّ دُهْنًا يَمْسَحُ

١١٠ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﷺ
١١١ أخرجه أبو نعيم وأبو موسى عن عميرة بنت مسعود، معرفة الصحابة

بِهِ لِحْيَتِهِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، قَالُوا: مَا شَمِمْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي الطِّيبِ، وَلأَنْتَ أَطْيَبُ مِنَّا رِيحًا، فَمِمَّ ذَاكَ؟، فَقَالَ: أَخَذَنِي الشَّرَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ، فَتَجَرَّدْتُ، وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي، فَنَفَثَ فِي يَدِهِ عَلَى ظَهْرِي وَبَطْنِي، فَعَقَبَ بِي هَذَا الطِّيبُ مِنْ يَوْمَئِذٍ }[112]

بل إنه ريقه ﷺ كان شفاء وغذاء، فقد كان الحسن والحسين وهما صغار، عندما تغيب أمهما في حاجة، ويجوع أحدهما يضع النبي ﷺ لسانه بين شفتيه فيبلع لسانه – يرضع لسانه – ويشبع بإذن الله ﷻ، ولا يحتاج إلى رضاع بعد ذلك!! واسمعوا :

{ عن أبي جعفر قال: بينما الحسن مع رسول اللـه ﷺ اذ عطش فاشتد ظمأه فطلب له النبي ﷺ ماءاً فلم يجد فأعطاءُ لسانه فمصّه حتى روي.} ومرة أخرى الحسن والحسين معاً: فعن أبي هريرة قال: **{ أشهد لخرجنا مع رسول اللّه حتى إذا كُنا ببعضِ الطريق سمعَ رسولُ اللّه صوتَ الحَسَن والحُسَين وهما يبكيان وهما مع أمهما، فأسرعَ السَّيْرِ حتى أتاهما، فسمعته يقول: ما شأن ابنيّ؟ فقالت: العَطَش، قال: فأخلف رسول اللّه يده إلى شَنَّةٍ يتوضأ بها فيها ماءٌ وكان الماء يومئذ إعذاراً والناس يريدون الماء، فنادى: هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبق إلا أحد أخلف يده إلى كَلالِه يبتغي الماءَ في شنّة، فلم يجد أحدٌ منهم قطرة، فقال رسول اللّه: ناوليني أحدهما فناولته إياه من تحت الخِدْر، فرأيتُ بياض ذِراعيها حين ناولته فأخذَه، فضمّهُ إلى صَدرِه وهو يضغو ما يَسْكت، فأدلع له لسانَه فجعلَ يمصّه حتى هَدأ وسَكَنَ، فلم أسمع له بُكاءً، والآخر يبكي كما هو ما يسكت،**

112 معجم الطبرني ودلائل النبوة للبيهقي

فقال: ناوليني الآخر فناولته إياه، ففعل به كذلك، فسكتا، فما أسمعُ لهما صوْتاً ﴾[113]

ثم الحسن والحسن وأطفال رضع آخرين معهم، فقد ورد أنه: ﴿ **كان رسول الله ﷺ يعظِّمه (أى يوم عاشوراء) حتى إن كان ليدعو بصبيانه وصبيان فاطمة المَراضع ذلك اليوم، فيتفلُ في أفواهِهم ويقول لأمهاتهم: لا تُرْضِعُوهُمْ إلى اللَّيْلِ، وكان ريقه يُجْزِئهم ﴾**[114]

إذاً حتى أوصافه البشرية فيها إعجازات ربانية، لا يستطيع أحد من البشر أن يصل إلى مداها، أو يبلغ منتهاها، لأن الله ﷻ خلقه على أكمل الصور البشرية الإنسانية صلوات ربي وتسليماته عليه.

فكان النبي ﷺ مدور الوجه، واسع العينان، محدودب الأنف، ضليع الفم، مقوس الحاجبين في غير قرن، أي غير متصلين.

بركة شعره ﷺ

وكان ﷺ غزير الشعر سواء شعر الرأس أوشعر اللحية، وكان ﷺ مسترسل الشعر، أي وسط بين النعومة الزائدة والجعودة، وظل حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يبيض من شعره إلا سبعة عشر شعرة، وسئُل: يا رسول الله لقد ظهر في شعرك الشيب، فقال ﷺ:

﴿ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا ﴾[115]

لأن الله قال له: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ (112هود) عندما يقول له الله: (فاستقم كما أمرت) ماذا يكون وقعها على الذي كان قلبه يُسمع له وجيب وحنين

---

113 تهذيب الكمال، والشريعة للآجرى عن أبى هريرة

114 مجمع الزوائد، رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط عن عليلة عن أمها

115 الأحاديث المختارة عن عبد الله بن العباس ﷺ

على بُعد أميال عند صلاته لله ﷻ؟!!.

وبعض السادة العارفين قال: إن سر شيب رأسه بسبب ذكر البعد: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ ﴾ (٦٠هود) ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝ ﴾ (هود) فكلما يسمع ويقرأ ذكر البعد يخاف من البعد عن الحبيب الأعظم ﷻ، وهذا هو الذي شيَّبه، وأخوات هود هي الواقعة والمرسلات والتكوير وغيرها من السور التي تتحدث عن الآخرة وما فيها من أهوال، وما فيها من عذاب، وما فيها من نعيم من عند الله ﷻ، قال في الرواية الأخرى:

﴿ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[116]

وكان النبي ﷺ لا يحلق شعر رأسه إلا في المناسبات كالعمرة والحج أو ماشابه.

وكان عندما يحلق شعر رأسه يحتاط به الصحابة أجمعون، ويتزاحمون عليه، ويريد كل رجل منهم أن يفوز بخصلة من شعره.

سيدنا خالد بن الوليد ﷺ في واقعة اليرموك مع الروم كان يلبس على رأسه قلنسوة، فوقعت في صفوف الأعداء، فأخذ يقاتل بشدة وشراسة حتى حصل عليها، فلامه صحبه وقالوا: يا خالد يقول الله تعالى:﴿ وَلا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (١٩٥البقرة) فلِمَ تُلقي بنفسك في جموع الأعداء، ولا تكاد تسلم منهم؟ فقال: كُنت قد رُزقت بخصلة من ناصية رسول الله – شعر المقدمة – فوضعتها في قلنسوتي، وأعتقد أن كل نصر رُزقته من الله ﷻ كان بسبب هذه الخصلة، فلما وقعت مني القلنسوة وفيها هذه الخصلة خفت أن يضيع مني سبب النصر بعد ذلك!! انظر إلى هذه العقيدة التي هي أرسخ من الجبال، والتي يُعبر عنها رجل من المعاصرين فيقول:

وإذا الجبال تزحزحت عن أرضها ... عن حبنا في الله لا نتحول
وحي السماء منزلٌ بقلوبنا ... وحقائق الآيات عنا تُنقل
قل للحسود اخسأ فإنك جاهل ... بجنابنا يتوسل المتوسل
وإذا تجلى بالجمال حبيبنا ... للأوليا فلنا الطراز الأول

[116] سنن الترمذي والحاكم عن عبد الله بن العباس ﷺ

ويوجد بعض شعرات لحضرة النبي ﷺ في مسجد سيدنا الحسين ﷺ، وفي أماكن أخرى كثيرة من العالم كتركيا والهند وأفغانستان.

وانظر كم عمر هذه الشعرات؟ هل يوجد شعر يعيش كل هذه المدة؟!.

وكان ﷺ يُحب أن يوافق أهل الكتاب في أول دعوته، وكان أهل الكتاب يسدلون شعورهم، فسدل مثلهم، لكنه رجع في آخر حياته فكان يفرق شعر رأسه، ففرق الشعر سُنَّة عن رسول الله ﷺ لمن أراد ذلك.

وكان رسول الله ﷺ حسن مقدم اللحية وما انحدر منها على الصدر، وكان ﷺ غزير شعر اللحية، وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه، وكان ﷺ يأخذ من لحيته الشريفة من عرضها وطولها،وكان ﷺ يكثر تسريح لحيته.وكان ﷺ لا يفارقه سواكه ومشطه، وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته، وكان ﷺ إذا اهتم أكثر من مسِّ لحيته، وكان ﷺ إذا اغتم أخذ لحيته بيده ينظر إليها، وكان ﷺ إذا توضأ خلل لحيته بالماء، وكان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته.

وكان ﷺ يتنور[١١٧] في كل شهر ويقلم أظفاره في كل خمسة عشر يوما، وكان ﷺ يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة.

وكان ﷺ يأمر بدفن الشعر والأظفار وكان ﷺ يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان: الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة.وكان لا يترك في حضر ولا سفر عدة أشياء، المرآة والمشط والمكحلة والسواك وزيت للشعر، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ خَمْسٌ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُهُنَّ فِي حَضَرٍ وَلا سَفَرٍ: الْمِرْآةُ، وَالْمِكْحَلَةُ، وَالْمُشْطُ، وَالْمِدْرَى، وَالسِّوَاكُ }[١١٨].وكان ﷺ يقول: **{ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ }**[١١٩]. وكان ﷺ لا يخرج إلى لقاء قوم جاءوا لزيارته إلا بعد أن ينظر في

١١٧ يتنور أى يستخدة النورة لإزالة الشعر المسنون إزالته عن الجسم.
١١٨ معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي
١١٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ

المرآة، ويقول عندها: { **اللَّهُمَّ كما حَسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسنْ خُلُقِي** }[120]، وفي رواية أخرى يقول إذا نظر فى المرآة: { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** }[121].

وأخبرت عائشة رضي الله عنها أنه :

{ كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر في الماء ويسوّي شعره ولحيته فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا! قال: إذا خرج أحدكم إلى إخوانه فليهيىء من نفسه فإن الله يُحِبُّ الجمال }[122]

ولما كثرت الوفود جاءوا لرسول الله ﷺ بُحلَّة كانت صُنعت لسيف بن ذي يزن الملك الذي طرد الحبشة من بلاد اليمن، والحلة في لغة العرب تتكون من قطعتين – أى بلغة عصرنا بنطلون وجاكت – أو قطعة واحدة ولها بطانة تلبس، فاشتراها النبي ﷺ بسبع وعشرين جملاً ليقابل فيها الوفود، وتعددت الروايات حتى أن إحدى الروايات ذكرت أنه اشتراها بإثنين وأربعين جملاً!!

حتى نعرف أن رسول الله ﷺ كان مثالاً للجمال والكمال ومحاسن الخلال وجمال الصفات الظاهرة والباطنة مع الخلق ومع الحق عز وجل.

صوت الحق

وكان ﷺ صوته فيه بحَّةٌ خفيفة، وصوته غير جاش أي هادئ، لكنه كان إذا تحدَّث يُسمع من أراد أن يُحدثه، ذات مرة كان على منبره الشريف فقال:

{ اجْلِسُوا، فَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَجَلَسَ فِي بَنِي غَنْمٍ، فَقِيلَ:

١٢٠ مسند أحمد والدعوات للبيهقي
١٢١ معجم الطبراني والجامع لأخلاق الراوي عن أنس رضي الله عنه
١٢٢ مكحول عن عائشة أدب الإملاء والإستملاء

يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَاكَ ابْنُ رَوَاحَةَ جَالِسٌ فِي بَنِي غَنْمٍ، سَمِعَكَ وَأَنْتَ تَقُولُ لِلنَّاسِ: اجْلِسُوا، فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ ﴾[١٢٣]

وكانوا يقولون: كان إذا تحدث يُسمع العواتق في خدورهن (النساء المخبَّئات)، أي يُسمع النساء وهن في بيوهن، في كل أرجاء المدينة، لا إذاعة ولا ميكروفون، ولكن القدرة الإلهية تجعل الهواء يوصل صوت خير البرية إلى ما شاء من البرية، وهذه مزية وخصوصية اختصه بها الله ﷻ دون ما سواه صلوات ربي وتسليماته عليه، وعن سيدنا أنس ﷺ قال:

﴿ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلا بَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، حَتَّى بَعَثَ نَبِيَّكُمْ ﷺ فَبَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ، وَلَمْ يَكُنْ يُرَجِّعُ، وَلَكِنْ كَانَ يَمُدُّ بَعْضَ الْمَدِّ ﴾[١٢٤]

﴿ ما بعث اللهّ نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت فكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتا، وكان صوت رسول اللهّ ﷺ يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره ﴾[١٢٥]

والأعجب من ذلك - لمن ذهب منكم إلى مِنَى ورآها - أنه كان في حجة الوداع معه مائة ألف، وعندما ذهبوا إلى مِنَى تفرقوا، وكان كثير من العرب يميل إلى سُكنى أعالي الجبال إلى وقتنا هذا، ويقول عبد الرحمن بن معاذ التيمي ﷺ:

﴿ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا ﴾[١٢٦]

الكل سمعه من الخيام مع أن صوته هادئ، لكن كان الله ﷻ يُبلغ صوته لمن أراد، لأن الله ﷻ قال فيه وفي أمثاله من الأنبياء:

---

١٢٣ معجم الطبراني ودلائل النبوة للبيهقي عن عائشة رضي الله عنها
١٢٤ الطبقات الكبرى لابن سعد والشمائل المحمدية للترمذي
١٢٥ ابن حجر في فتح الباري
١٢٦ سنن أبي داود والنسائي

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٦٤النساء)

كل شيء في الكون عاليه ودانيه مسخرٌ لحضرته، ومأمور بطاعته، لأنه رسول الحق، والله ﷻ اختاره واجتباه ليُبلغ دعوة الله إلى خلق الله عليه الصلاة والسلام.

وعن أم هانيء رضي الله عنها قالت:

{ كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي }[١٢٧]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ يُنْذِرُ جَيْشًا، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ }[١٢٨]

أُذُنه الواعية

أما أُذنه فكانت على أكمل ما صنع الله ﷻ من أُذن لإنسان ...في ظاهرها وتكوينها الظاهر، وكانت كذلك يسمع بها ما لا نسمع!!

يسمع بها كلام الوحي، ويسمع بها كلام الملائكة، ويسمع بها كلام العوالم العلوية، ويسمع بها كلام الطيور، وكلام الوحوش، وكلام الحيوانات، وكلام الجبال!!

فالكل كان يُكلمه ويُحدثه، فالطير الذي خطف الصحابة صغاره جاء يُـــرفرف عليه، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

{ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، وَمَرَرْنَا بِشَجَرَةٍ فِيهَا فَرْخَا حُمَّرَةٍ، فَأَخَذْنَاهُمَا، قَالَ: فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَصِيحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

---

١٢٧ دلائل النبوة للبيهقي ومسند أحمد

١٢٨ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة

وَسَلَّمَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِفَرْخَيْهَا؟ قَالَ: فَقُلْنَا: نَحْنُ.قَالَ: فَرُدُّوهُمَا ﴾[129]

وكان النبي ﷺ يمشي بجوار حديقة لِرَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ:

﴿ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ (لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟) فَجَاءَ فَتًى مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ ﴾[130]

وما ورد في هذا الباب فوق العد، من شكوى الطيور، وشكوى الحيوانات لرسول الله ﷺ، حتى كانت بعض الحيوانات تعاونه في دعوته، وهذا هو العجب العجاب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

﴿ جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَقَرَّ، وَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي؟ فَقَالَ الرَّجُلُ:تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ! فَقَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ وَأَسْلَمَ، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ ﴾[131]

والرجل الذي جاءه ومعه ضب – نوع من الزواحف – وقال له: إِنْ آمَنَ بِكَ هَذَا الضَّبُّ آمَنْتُ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

﴿ يَا ضَبُّ، فَتَكَلَّمَ الضَّبُّ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَفْهَمُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَعْبُدُ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، وَفِي الأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي

---

١٢٩ الحاكم والطبراني
١٣٠ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه
١٣١ شرح السُنَّة

الْبَحْرِ سَبِيلُهُ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، وَفِي النَّارِ عَذَابُهُ، قَالَ: فَمَنْ أَنَا يَا ضَبُّ؟ قَالَ: أَنْتَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ، وَقَدْ خَابَ مَنْ كَذَّبَكَ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتُكَ وَمَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكَ، وَوَاللَّهِ لأَنْتَ السَّاعَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ وَالِدِي، فَقَدْ آمَنَ بِكَ شَعْرِي وَبَشَرِي، وَدَاخِلِي وَخَارِجِي، وَسِرِّي وَعَلانِيَتِي ﴾[١٣٢]

فكان يسمع كل الأصوات لكل الكائنات بكل اللغات، ويتكلم معها كذلك كما علَّمه بارئ الأرض والسماوات ﷻ، وانظر إلى مدى سماع هذه الأُذن، ذات مرة كان مع أصحابه فقال لهم:

﴿ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَفِيهِ مَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ﴾[١٣٣]

سمع صوت السماء، وليس المقصود بها السماء القريبة منا، فهذا الغلاف الجوي، لكن السماء التي فيها عُمَّار الملكوت الأعلى.ومرة أخرى كان جالساً بين أصحابه فأسمعهم وجبة عظيمة أي صوت ضخم، فقالوا: ما هذا يا رسول الله؟ قال:

﴿ هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَالآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا ﴾[١٣٤]

كيف سمعوه؟! وكم تُقدر المسافة؟!وكيف استقبلت الأُذن هذه الذبذبات؟! وكيف حولتها إلى أصوات؟!!عناية الله ورعاية الله بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

قوة الربانية

وكان ﷺ عريض الصدر، عريض ما بين الأكتاف، عُنقه معتدل، لا هو طويل زائد عن الحد، ولا هو قصير، وكان غليظ الكفين، وهذا دليل على القوة، ولذلك رُوي أخبار متعددة أنه صرع كل أبطال الجزيرة العربية في المصارعة.

١٣٢ معجم الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٣٣ سنن الترمذي وابن ماجةعن أبي ذر رضي الله عنه
١٣٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومن أشهر ما ورد قصة ركانة وقد كان رجلا مصارعا يقف على جلد ثور أو بقرة فلا يستطيع عشرة رجال أشداء أن يزحزحوه، وهاكم قصته:

{ قد كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: رُكَانَةُ، وكَانَ مِنْ أَفْتَكِ النَّاسِ وَأَشَدِّهِمْ، وكَانَ مُشْرِكًا، وكَانَ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ: إِضَمٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَات يَوْمٍ قِبلَ ذَلِكَ الْوَادِي، فَلَقِيَهُ رُكَانَةُ وَلَيْس مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ، فَقَامَ إِلَيْهِ رُكَانَةُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ الَّذِي تَشْتُمُ آلِهتَنا اللاتَ وَالْعُزَّى وَتَدْعُو إِلَى إِلَهِكَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لَوْلا رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا كَلَّمْتُكَ الْكَلامَ حتَّى أَقْتُلَكَ، وَلَكِنِ ادْعُ إِلَهكَ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ يُنْجِيكَ مِنِّي الْيَوْمَ، وَسَأَعْرِضُ عَلَيْكَ أَمْرًا، هَلْ لَكَ إِلَيَّ أَنْ أُصَارِعَكَ وَتَدْعُو إِلَهكَ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ أَنْ يُعِينَكَ عَلَيَّ وَأَنَا أَدْعُو اللاتَ وَالْعُزَّى، فَإِنْ أَنْتَ صَرَعْتَنِي فَلَكَ عَشْرٌ مِنْ غَنَمِي هَذِهِ تَخْتَارُهَا، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَاتَّخذْ، فَدعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَهَهُ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى رُكَانَةَ، وَدعَا رُكَانَةُ اللاتَ وَالْعُزَّى، أَعِنِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَاتَّخذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَرَعَهُ، وَجَلَس عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ رُكَانَةُ: فَلَسْتَ الَّذِي فَعَلْتَ بِي هَذَا إِنَّمَا فَعَلَهُ إِلَهُكَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَخَذَلَنِي اللاتُ وَالْعُزَّى، وَمَا وَضعَ أَحَدٌ جَنْبِي قَبْلَكَ.فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: عُدْ، فَإِنْ أَنْتَ صَرَعْتَنِي، فَلَكَ عَشْرٌ أُخْرَى تَخْتَارُهَا، فَأَخذَهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَصَرَعَهُ وَجَلَس عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: فَلَسْتَ الَّذِي فَعَلْتَ بِي هَذَا، إِنَّمَا فَعَلَهُ إِلَهُكَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَخَذَلَنِي اللاتُ وَالْعُزَّى وَمَا وَضعَ جَنْبِي أَحَدٌ قَبْلَكَ، فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: عُدْ، فَإِنْ أَنْت صَرَعْتَنِي فَلَكَ عَشْرٌ أُخْرَى تَخْتَارُهَا، فَأَخَذَهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَدعَا كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَهَهُ كَمِثْلِ فَعَلَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَصَرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: لَسْتَ أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ بِي هَذَا، إِنَّمَا فَعَلَهُ إِلَهُكَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَخَذَلَنِي اللاتُ وَالْعُزَّى، فَدُونَكَ ثَلاثِينَ شَاةً مِنْ غَنَمِي فَاخْتَرْهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أُرِيدُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَدْعُوكَ إِلَى الإِسْلامِ يَا رُكَانَةُ، وَأَنْفَسُ بِكَ أَنْ تَصِيرَ إِلَى النَّارِ، إِنَّكَ إِنْ تُسْلِمْ تَسْلَمْ، فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: لا، إِلا أَنْ تُرِيَنِي آيَةً، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ عَلَيْكَ شَهِيدٌ، لَئِنْ أَنَا دَعَوْتُ رَبِّي فَأَرَيْتُكَ آيَةً لَتُجِيبَنِي إِلَى مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَرِيبٌ مِنْهُمَا شَجَرَةُ سَمُرٍ ذَاتَ فُرُوعٍ وَقُضْبَانٌ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهَا: أَقْبِلِي بِإِذْنِ اللَّهِ، فَانْشَقَّتْ بِاثْنَيْنِ فَأَقْبَلَتْ عَلَى نِصْفِ شِقِّهَا وَقُضْبَانِهَا وَفُرُوعِهَا حَتَّى كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَبَيْنَ رُكَانَةَ، فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: أَرَيْتَنِي عَظِيماً، فَمُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ بِقُضْبَانِهَا وَفُرُوعِهَا، حَتَّى إِذَا الْتَأَمَتْ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: مَا بِي إِلا أَنْ أَكُونَ قَدْ رَأَيْتُ عَظِيماً، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ تَسَامَعُ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ وَصِبْيَانُهُمْ أَنِّي إِنَّمَا أَجَبْتُ لِرُعْبٍ دَخَلَ فِي قَلْبِي مِنْكَ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمَتْ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ وَصِبْيَانُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَضَعْ جَنْبِي قَطُّ أَحَدٌ وَلَمْ يَدْخُلْ قَلْبِي رُعْبٌ سَاعَةً قَطُّ لَيْلا وَلا نَهَاراً، وَلَكِنْ دُونَكَ فَاخْتَرْ غَنَمَكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ لِي حَاجَةٌ إِلَى غَنَمِكَ إِذْ أَبَيْتَ أَنْ تُسْلِمَ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعاً)[١٣٥].

فكانت قوته ﷺ من الله ﷻ، إذا كان الله ﷻ جعل إبراهيم عليه السلام كأُمَّة فنبينا ﷺ مثل جميع الأمم من البدء إلى الختام في كل المزايا التي خصَّه بها الملك العلام: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (١١٠الكهف) كلكم من البدء إلى النهايات، كل ما أوتيه الأولون والآخرون أُوتي ﷺ مثله أضعافاً مضاعفة من فضل الله، ومن إكرام الله، واختصاص الله ﷻ لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

خاتم النبوة

وكان ﷺ سواء الصدر والبطن، وفي ظهره مقابل قلبه على اليسار خاتم النبوة، وخاتم النبوة كان دم متجمع فوقه شعرات مكتوب بهذه الشعرات: (توجه حيث شئت فإنك منصور).

ولذلك سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه كان أبوه من كبار أثرياء فارس، وكان يُعتبر المشرف على عبادة النار، لكن سيدنا سلمان لم يرقه ذلك ودخل في المسيحية، وذهب إلى دير، وبعد أن مات الراهب الذي في الدير انتقل إلى ديـــر آخر، ودير ثالث، وقال للراهب في هذا الدير الأخير: لمن أذهب بعدك؟ قال: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ

١٣٥ دلائل النبيوة للبيهقي وأبي نعيم عن أبي إمامة رضي الله عنه

بِتِلْكَ الْبِلَادِ فافْعَلْ، قال سلمان: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بعَمُّورِيَّةَ مَا شاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ تَحْمِلُوني إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ، قَالُوا: نَعَمْ، وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى، ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانُ قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا! أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، قال: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَحَوَّلْ، فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ، فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ، قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ[١٣٦].

ولذلك السيدة أسماء بنت عميس رضي الله عنها عندما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وبعض الصحابة من شدة الدهش لم يُصدق أن النبي مات، فقالت: أدخلوني عليه، فأدخلوها، فتحسست موضع الخاتم فلم تجده، فخرجت وقالت: مات رسول الله ﷺ لأن خاتم النبوة قد رُفع، فكان خاتم النبوة لرسول الله ﷺ مقابل القلب في الجهة اليسرى من ظهره، وكان ﷺ مؤيد بذلك من رب العزة ﷻ.

الحديث عن رسول الله ﷺ طويل، ومبهج للقلب، ومريح للفؤاد، وحلو للروح.

نسأل الله ﷻ أن يُكرمنا بالحبيب، وأن يجعل لنا من حضرته أوفى نصيب، وأن يجعله مشرقاً بنوره في قلوبنا لا يغيب، وأن يجعلنا بين يديه في الدنيا في طاعته وسُنته، وتحت لواء شفاعته يوم الدين، وأن يرزقنا جواره في جنة النعيم، وأن يجعلنا من الذين يتشبهون به في كل أحوالهم، ويقتفون أثره في كل حركاتهم وسكناتهم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٣٦ مسند أحمد والحاكم

أسئلة عن شمائل رسول الله ﷺ [137]

بين يوسف والحبيب

سؤال: **سيدنا يوسف أُعطي شطر الحسن ففتنت به النساء، وسيدنا رسول اللهّ أُعطي الجمال كله، فلِمَ لم تُفتتن به النساء؟**

كون سيدنا يوسف فُتنت به النساء فهذا أمر طبيعي، لكن سيدنا محمد ﷺ فُتن به الرجال، وهذا هو الأمر الأصعب.

فانظر إلى كمَّل الرجال من الأقطاب والصالحين وكيف فُتنوا به ﷺ، وظلوا طوال عمرهم كأنهم تائهين، يرجون شمَّة أو لَمَّة أو لمحة من هذا الجمال وهذا الكمال، من كمال المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

والدليل على ذلك – حتى في عصره – عندما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكان سيدنا عبد الله بن زيد ﷺ الذي جاء بالآذان وحياً منامياً من عند الله، وكان في بستان له يعمل فأتاه ابنه وقال:

يا أبت لقد انتقل سيدنا رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى فقال:{ **اللَّهُمَّ اعْمِنِي حَتَّى لا أَرَى شَيْئًا بَعْدَهُ فَعَمِيَ مِنْ سَاعَتِهِ – وفى رواية: إلى أنْ ألقاه – وفى أخرى: حَتَّى لا أَرَى شَيْئاً بَعْدَ حبيبى ﷺ** }[138]، وقيل أنه أيضاً دعا بذلك ثم هام على وجهه.

وكثيرون آخرون منهم سيدنا ثوبان واستمع لراوى الحديث إذ يقول:

{ وسيدنا ثوبان ﷺ وكان شديد الحب له، وكان قليل الصبر عنه حتى تغيَّر لونه ونحِل جسمه، فقال له رسول اللهّ ﷺ: مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ؟ فقال: ما بي من مرض، ولكني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة حتى

---

١٣٧ المعادي – الخميس ٦ من ربيع الآخر ١٤٣٥هـ ٦/٢/٢٠١٤م

١٣٨ تحفة المحتاج في شرح المنهاج وفى تفسير المحرر الوجيز حكاه الطبرى عن ابن جبير وقتادة والسدي

ألقاك، وأذكر الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك)[139].

أى فهذا الذي أمرضني!!

و سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ كان يسكن في منطقة إسمها السنح من عوالي المدينة،[140] وهى بعيدة عنها، فكان عندما يترك رسول الله ويذهب إلى بيته يقول:

((اشتقت إلى رسول الله ﷺ، ردوني إلى رسول الله ﷺ.))

فكانت أحوالهم في هذا الباب لا تُعد ولا تُحد.

وسيدنا حسان بن ثابت ﷺ قال في ذلك:

لما نظرت إلى أنواره سطعت ... وضعت من خيفتي كفي على بصري

خوفاً على بصري من حسن صورته ... فلست أنظره إلا على قدري

خاف على نفسه من نور رسول الله ﷺ، لأن نوره كما قال الإمام البوصيري ﷺ:

فإن فضل رسول الله ليس له حد ... فيُعرب عنه ناطقٌ بفم

هذا بالإضافة إلى أن:

سيدنا يوسف كان ظاهره جمالاً حسياً صرفاً، وسيدنا رسول الله ﷺ كان باطنه جمالاً صرفاً، وظاهره جمالٌ مشوبٌ بجلال، ولذلك قيل في وصفه:

{ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ }[141].

١٣٩ تفسير السمرقندي من رواية الكلبى

١٤٠ مرقاة المفاتيح

١٤١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ

نور الروح

سؤال: **يقال كل ما في الكون مستمدٌّ من نور رسول الله ﷺ، فهل هذا من نور الروح أم نور الجسد؟**

لا شأن لنا بالجسد، وإذا قيل هنا النور فهو نور القلب والفؤاد والروح، وهو النور الباطن وليس الظاهر، فنور رسول الله ﷺ الباطن من نور الله، واستُمدَّت منه جميع الأنوار الحسية والمعنوية والباطنية الظاهرة في الدنيا والظاهرة في الآخرة، ولذلك سيدنا جبريل وهو من نور الملكوت؛ عندما جاء في الاسراء والمعراج وقف عند سدرة المنتهى وقال: إلى هاهنا انتهى مقامي، أنا لو تقدمت قدر أنملة لاحترقت، وأنت لو تقدمت لاخترقت. مَن الذي تقدم؟ الذي هو من النور الإلهي الذاتي، لكن الذي من نور الملكوت فله حدود، ولذلك وقف عند هذا المقام ولم يبرحه، وليس معنى من نور الله أن نور الله يتجزأ أو يتبعض، لكن معناه نور من عند الله، ما هيئته؟ وما شكله؟ هذه غيبيات لا شأن لنا بها.

أول خلق الله

سؤال: **هل رسول الله ﷺ أول خلق الله؟**

سيدنا رسول الله ﷺ أول خلق الله في عالم الروح، قال ﷺ: { **كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ** }[١٤٢]، أول الأنبياء في الخلق الروحاني سيدنا رسول الله، وأول الأنبياء في الخلق الجسماني سيدنا آدم: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (الزخرف) فهو ﷺ أول العابدين، وهذه أمور لا يجب أن تشغلنا ولا أن نقف عندها، ولا نتحدث بشأنها، لأنها توقع الناس في فتن لا ينبغي إثارتها، وإنما يجب أن نتأدب بأدب القرآن الذي علمنا به الله، نتحدث مع كل قوم على قدر ما تتحمله عقولهم:

١٤٢ مسند الشاميين للطبراني ودلائل النبوة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إنّا مَعَاشِرَ الأنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أنْ نُكَلِّمَ النّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ }[١٤٣].

دعوى فقر النبي

سؤال: **في الحديث: كان يمر الهلال والهلالين ولا يوقد في بيت النبي ﷺ نار، فهل كان النبي ﷺ فقير؟**

أجبنا عن السؤال إجابة شافية في كتابنا (الكمالات المحمدية) فكان لا يوقد في بيت النبي ﷺ نار بالشهر والشهرين لأن الأنصار كانوا يتكفلون بضيوفه، فكان كل يوم يبعث سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه بجفنة تُطعم سبعين رجلاً إلى رسول الله، والذي يُرسل لبناً، والذي يُرسل الداجن، والذي يُرسل الشعير، فكانت المائدة الشهية تأتي من عند الأنصار، ولذلك دعا لهم النبي وقال:

{ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ }[١٤٤]

لأنهم كانوا مُعينين لحضرته ﷺ في استقبال الضيفان.

أما النبي فلم يكن فقيراً، بل كان من أغنى الأغنياء، لكنه كان سخياً، يُعطي ولا يبخل، يُعطي كل ما عنده، هل هناك رجل فقير يُعطي رجلاً غنياً غنماً بين جبلين؟! أي أكثر من خمسمائة رأس من الغنم!!.كان النبي ﷺ أغنى الأغنياء بالله، لكنه كانت الدنيا في يده وكان يوزعها على غيره، ويثق تمام الثقة أن الله عز وجل معه ويتولاه ولا يتخلى عنه طرفة عين ولا أقل.

والذي روج فكرة أن الرسول فقير ويُحب الفقر هم أهل أوربا عندما استعمروا البلاد الإسلامية، فأشاعوا بين المسلمين أن الرسول كان فقير، وأن الإسلام حبَّب إلى المسلمين الفقر، وذلك من أجل القضاء على الهمة والعمل والعزيمة عند الأمة الإسلامية، لكن النبي ﷺ لم يكن كذلك، بل كان أغنى الأغنياء صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين وسلم.

---

١٤٣ الدّيلمي بسندٍ ضعيفٍ من حديث ابن عبّاس، الدرر المنتثرة

١٤٤ مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

حقيقة النظرة

سؤال: **ما المقصود بالنظرة؟**

النظرة علمياً عبارة عن كم من الإشعاعات الداخلية تخرج من العين تؤثر فيما نراه من الأجساد الآدمية، ولذلك نظرات الأب والأم إلى الطفل تؤثر فيه بالحنان والعطف والشفقة والمودة والرحمة، إذا فقد الطفل الأب أو الأم فتجد الفزع والغضب والغلظة والقسوة والشدة لأنه حُرم من هذه النظرات.

لماذا أمر الإسلام بالرضاع؟ ليس من أجل الغذاء فقط، لكن نظرات الأم لطفلها وهي ترضعه أكثر تأثيراً فيه من لبنها، فاللبن يُطعم اللحم والعظام لكن النظرات تُعطي القلب الحنان والعطف والشفقة والرأفة والرحمة، ولذلك عندما تُرضع الأم طفلها تجدها تربِّت على شعره وعلى جسمه ... كل ذلك يُكسبه هذه المواصفات الإسلامية الطيبة، فلو نظر إنسان إلى إنسان وقلبه مملوء بالحقد والكره والبغض لهذا الإنسان، فتُترجم هذه الأحقاد والأحساد في نظرات حسية تؤثر فيه:

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (الفلق)

إذا كان هذا القلب مليء بالحب والود والرحمة والنور ونظر لي، هل يؤثر أم لا يؤثر؟ يؤثر، ولذلك نطلب النظرة من الصالحين، ونطلب النظرة من إمام الأنبياء والمرسلين، مَن الذي أمرنا؟ الله فى الآية (١٠٤البقرة):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ ﴾

وساق لنا الأمثال: ففي رحلة الإسراء كان يقف له في كل مرحلة طائفة:

فمرة تقف له امرأة وعليها كل حلل الدنيا وتقول: يارسول الله انظرني، فيقول ﷺ: مَن هذه يا أخي يا جبريل؟ قال هذه الدنيا.

وكذلك إبليس يقول: انظرني يا محمد، فيقول: مَن هذا يا أخي يا جبريل؟ فيقول هذا إبليس، إبليس يريد نظرة من رسول الله ﷺ!!

وكذلك داع اليهود، وداع النصارى ... الكل يقول: انظرنا يا رسول الله، حتى نعرف أن نظرة رسول الله ﷺ تؤثر وترفع، يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

لو نظرة منه لإبليس انمحت ... عنه الشقاوة بالعطا المدارر

وقد لقي إبليس موسى فقال له:

{ فقال: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلمك تكليماً إذ تبت وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي قال موسى: نعم. فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك. .فلقي موسى إبليس قال: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك. فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد حياً أأسجد له ميتا؟ }[١٤٥]

فأراد إبليس من رسول الله نظرة، لكن رسول الله ﷺ لم ينظر له هذه النظرة، هذه النظرة ماذا تفعل لنا؟ قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

من نظرة يرتقى المطلوب مرتفعاً ... قدس الجلالة في حال المناجاة

سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أخذ السيف وأراد أن يقتل النبي ﷺ ليريح العرب جميعاً منه بزعمه، فصادفته النظرة، وقال النبي ﷺ:

{ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً }[١٤٦]

جاءته النظرة، فكان الذي يحمل السيف ليقتل رسول الله عندما دخل عليه أسلم، وبعد أن أسلم قال:

{ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ ﷺ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ، قَالَ عمر: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الاخْتِفَاءُ؟

---

١٤٥ الدر المنثور أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان عن ابن عمر، وكذا فى تلبيس إبليس والإحياء.، وتمامه للفائدة: { ثم قال إبليس: يا موسى إن لك علي حقاً بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن. اذكرني حين تغضب فإني أجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف. فاذكره ولده وزوجته حتى يولي، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها }

١٤٦ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ. فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ (أي صوت)كَكَدِيدِ الطَّحِينِ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ، فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْفَارُوقَ، وَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ)[١٤٧]

فأعلن الله الإسلام، وأعز الله الإسلام بعمر بسبب نظرة من رسول الله ﷺ، هذه النظرة حولت رجل يريد أن يقتل رسول الله إلى رجل أعزَّ الله ﷻ به دين الله، وأعلن به دين الله.

هذه النظرة جعلت عمر نفسه يذهب بمفرده وفي النهار إلى كفار قريش وهم عزوة وصناديد وأبطال وملتفين حول الكعبة ويقول لهم:

من أراد أن تثكله أمه، أو تُرمل زوجته، أو يُيتم أولاده فليتبعني خلف هذا الوادي!! مَن الذي يستطيع أن يفعل ذلك؟!

وخرج ومعه أربعون رجلاً من الضعفاء، ولم يجرؤ أحد أن يخرج خلفه، هذه الرهبة سببها نظرة رسول الله ﷺ.

ولذا قال الإمام أبوالعزائم ﵁ وأرضاه فيها:

لو نظرة قدسية واجهت مبعدا ... أضحى مهنى بالكمال
واجه الصديق نفسا فارتقى ... للعلا متجملا حلل الجمال
من هو الصديق قبل شهودها ... من هو الفاروق سلِّم للمقال

وكل تربية العارفين الأساس فيها نظرة بصفاء وصدق ويقين ترفع همم المريدين، وتجعلهم يتحولون من ترب وطين إلى روح شفافة في ملكوت رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٤٧ حلية الأولياء ودلائل النبوة لأبي نعيم.

الباب الرابع

أحوال سيدنا رسول الله ﷺ

البشرية

عناية النبي ﷺ بجسمه الشريف

اكتحاله ﷺ

اهتمامه بشعره ﷺ

تسوُّكه ﷺ

هيئاته ﷺ

سروره وغضبه

ضحكه وبكاؤه ﷺ

العطاس والتثاؤب

تطيبه ﷺ

الباب الرابع

أحوال سيدنا رسول الله ﷺ البشرية[148]

عناية النبي ﷺ بجسمه الشريف

نتحدث عن عناية النبي ﷺ بهذا الجسم البشري الذي صاغه الله، وكوّنه جلَّ في علاه، وأبرز ما نتوجه به في ذلك أن نعلم علم اليقين أنه ﷺ كان أنظف الناس بدناً وجسماً وبيتاً وملبساً ومكاناً، بل إنه أدار أمر الإسلام كله على النظافة التامة وقال ﷺ:

{ تَنَظَّفُوا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ بَنَى الإِسْلامَ عَلَى النَّظَافَةِ, وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلا كُلُّ نَظِيفٍ }[149]

وكان ﷺ عندما يأتيه الوفود ينظر في المرآة، ويقول كما أخبرت السيدة عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ قَالَ:

{ اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي }[150]، وكان يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ }[151]

فكان شعاره النظافة التامة، وأنا أقول ذلك حتى ننتبه إلى من يدَّعي محبة رسول الله ﷺ والتمسك بهديه، ونرى عليهم قذارة في أبدانهم، وقذارة في ملابسهم، وقذارة في بيوتهم، وقذارة في حالاتهم، لتعلم علم اليقين أن هؤلاء مُجافين بالكلية لما كان عليه حضرة النبي ﷺ.

---

١٤٨ المعادي – الخميس – ٥ من جماد الأول ١٤٣٥هـ ٦/٣/٢٠١٤م

١٤٩ التدوين للرافعي عن أبي هريرة ﷺ

١٥٠ الأنوار في شمائل النبي للحسين بن مسعود

١٥١ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ

أقول ذلك لأنه انتشر في البيئات الإسلامية أن الناس يتقربون إلى هؤلاء، ويقولون أنهم مجاذيب، وأنهم أولياء لله، وأنهم مُجابوا الدعوة، وهذا أمر يُنافي ما كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ في هديه، وما كان عليه صحبه المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

اكتحاله ﷺ

فكان ﷺ يهتم بكل أعضاء جسده، يهتم بعينه، فكان له مكحلة، وكان هذا هو الدواء المحقق للشفاء لأمراض العين في هذا الزمان، وكان يكتحل كل ليلة قبل أن ينام، ولأنه ﷺ هادياً مهدياً فقد علَّمنا التثليث في كل أمر، وكان يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ }[١٥٢]

فكان يمسك المرود ويضع في اليُمنى ثلاث، وفي اليسرى ثلاث، وكان هذا دأبه، وكانت المكحلة لا تفارقه في سفر ولا حضر، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ خَمْسٌ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُهُنَّ فِي حَضَرٍ وَلا سَفَرٍ: الْمِرْآةُ، وَالْمِكْحَلَةُ، وَالْمُشْطُ، وَالْمِدْرَى، وَالسِّوَاكُ }

وفي رواية:

{ سَبْعٌ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتْرُكُهُنَّ فِي سَفَرٍ وَلا حَضَرٍ: الْقَارُورَةُ، وَالْمِشْطُ، وَالْمِرْآةُ، وَالْمَكْحَلَةُ، وَالسِّوَاكُ، وَالْمَقَصَّانِ، وَالْمِدْرَى }[١٥٣]

هذه الأشياء كان يصطحبها دوماً في كل أحواله صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان يأمر أصحابه بالكحل ويقول:

{ عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ }[١٥٤]

---

١٥٢ سنن الترمذي وأبي داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٥٣ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
١٥٤ سنن ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما

والإثمد هو أعلى أنواع الكحل في زمانه وما بعد زمانه، وهذه إضافة أخرى إلى أنه ﷺ كان يستخدم أفخر الأشياء، ولا يستخدم الأشياء الدون، وقد قَالَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ:{ رَآنِي أَبُو قِلابَةَ وَقَدِ اشْتَرَيْتُ تَمْرًا رَدِيئًا، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَزَعَ مِنْ كُلِّ رَدِيءٍ بَرَكَتَهُ }[155].

أي شيء رديء ليس فيه بركة، فالطعام الرديء يُمرض الجسم، والطعام الصحيح يُصحح الجسم، البركة دائماً في الشيء الجيد، ولذا كان يُراعي الجودة في كل شيء يستخدمه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهذا أيضاً أذكِّر به إخواني لأنهم يرون من يتشدقون بأنهم يستنون بسنة الحبيب يمسكون بأردئ الأشياء ويستخدمونها، ويزعمون أن هذه هي السُنَّة!! وهذا غير صحيح.

مثلاً من السُنَّة استخدام السواك، والسواك عود من شجر الأراك، أومن أي شجر شبيه به، لكن إذا دخل السواك إلى دائرة التصنيع، وتم تبخيره(أى تعقيمه صناعياً)، وتم تسويته، وتم وضعه في غلاف، أيهما أفضل هذا أم السواك الذي يُلقى على الرصيف؟! لا بد أن أستخدم الجيد، لأن هذا سُنَّة رسول الله ﷺ.

وفي هذا العصر تغيرت الأحوال، وتطور الطب، وظهرت العلاجات الحديثة، وليس معنى أن رسول الله ﷺ كان يستخدم الكحل أن أستخدمه وأحرِّم ما سواه كما يفعل بعض المتشددين الجاهلين، أنا أستخدم ما يُستحدث من دواء لأن النبي ﷺ خبَّر عن ذلك فقال:

{ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً }[156]

وقال في الحديث الآخر:

{ مَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ }[157]

فهناك أدوية عرفها أهل هذا العصر، ولم تكن معروفة للسابقين، ولذا علينا استخدام الأدوية الحديثة، لأن المهم أن نحافظ على سلامة العينين لأنهما عضو رئيسي

---

١٥٥ سير أعلام النبلاء
١٥٦ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أسامة بن شريك رضي الله عنه
١٥٧ الطبراني والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

للإنسان أكرمه به الرحمن ﷻ، إما بالقطرات، وإما بالمراهم، وإما باستخدام منظار للمشي، أو منظار للقراءة، أو واحد للمشي وآخر للقراءة كما يحدد الطبيب المعالج.

وإذا جرى للعين أي أمر يعوق النظر عليَّ أن أسارع إلى الطبيب المعالج لأجلو البصر لأن هذا كان هديه ﷺ في ذلك.

اهتمامه بشعره ﷺ

وكان ﷺ يهتم بشعره كله، شعر رأسه، وشعر لحيته، وشعر شاربه، وشعر جسمه، كل جزء منهم له قسط معلوم من عناية الرءوف الرحيم ﷺ، أما شعر الرأس فقد قال في الأمر العام لجميع المنتسبين لدين الإسلام:

{ مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ }[١٥٨]

وإكرامه بالمداومة على غسله، والمحافظة على تسريحه، وكان ﷺ يُسرح شعره لأنه ﷺ لخصوصيته عند ربه، ولأمر لا يعلمه إلا الله لم يحلق شعره إلا في منسك من المناسك الشرعية، في عمرة أو في حج، فلم يحلقه كما نحلق نحن في الأيام العادية، وهذا ليس لنا أن نتأسى به فيه، لأن هذه خصوصية لرسول الله ﷺ.

كان أهل الكتاب يُسرِّحون شعورهم ويُنزلونها على هيئة واحدة ففعل ﷺ ذلك في بداية دعوته موافقاً لهم تلطفاً بهم ليدخلوا في دين الإسلام، ثم بعد ذلك فَرَق شعر رأسه، وهذه الهيئة ليست بالضرورة على المرء أن يتبعها، ولكن الذي عليه أن يتبعه ضرورةً نظافة الشعر والحرص على تسريحه كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

أيضاً كان رسول الله ﷺ يترك لحيته، وترك اللحية سُنَّة وليس فريضة كما يدَّعي بعض المتشددين، لأننا لو جعلناها فريضة لشدَّدنا على المسلمين، والنبي ﷺ جعلها سُنَّة، والسُنَّة من فعلها كان له أجرها، ومن لم يفعلها ليس عليه سؤال ولا ذنب ولا عقاب، وهذا هو ما اختاره أئمة الفقه المعتدلين في مذاهبهم؛ أن إعفاء اللحية سُنَّة عن رسول الله ﷺ.

١٥٨ سنن أبي داود والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

وكان ﷺ يُسرِّح لحيته، وينظر إليها دوماً في المرآة عندما يأتي ضيفان، وكان يأخذ منها كلها، أحياناً يأخذ من طولها، وأحياناً يأخذ من عرضها، حتى تكون كل الهيئات صالحة لأمته، فلا يدَّعي أحد أن هذا فقط هو السُنَّة وغيره خلاف ذلك.

ولم يكن النبي ﷺ يصبغ لحيته لأنه ﷺ لم يظهر له في لحيته إلا ما لا يزيد عن عشرين شعرة بيضاء، لكنه أباح الخضاب – الصبغ – سواء اللحية أو الشعر لأصحابه، فكان سيدنا أبو بكر وغيره يخضبون لحيتهم، أما شعر الرأس فكان ﷺ يخضبه بالحناء، وهذا لزوم الوحى، فعندما كان يأتيه الوحى كان يحدث له صداع شديد، فكان يجعل على رأسه الحناء عند نومه، وهذا يُذهب الصداع، وهذه سُنَّة عن حضرته ﷺ.

أما صبغ الشعر بأي لون آخر ولو الأسود فلا بأس من ذلك، ولا مانع لأننا رأينا من يُحرِّم ذلك للرجال، لماذا تُحرم طيبات ما أحلَّ الله ﷻ؟! هو حرام في حالة واحدة إذا كان المرء مقبل على الزواج وشعره قد شاب، فيجعل على رأسه صبغة ليغش من يتقدم إليها بالخطبة، لكن إذا كان ليس له بغية في هذا الأمر فليصبغ شعره بما شاء، وخاصة النساء، فليس عليهن حرج في أن يصبغن شعرهن باللون الأسود أو بأي لون آخر، على أن يكون ذلك من شيء طيب حتى لا يؤثر في الشعر بسوء.

وتربية اللحية سُنَّة وليست فريضة لمن أراد أن يقوم بها، ويقول فيها ﷺ:

{ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى }[١٥٩]

ولذاكان ﷺ يترك شاربه، ويأمر بقصه وليس بحلقه، وكان يقصه كل جمعة قبل الصلاة، وذلك بقصٌّ الشعر الزائد النازل على الفم حتى لا يعوق الفم، قال ﷺ:

{ قُصُّوا الشَّوَارِبَ مَعَ الشِّفَاهِ }[١٦٠]

ولذلك نرى أئمة المذاهب الفقهية قد كرَّهوا حلق الشارب لأنه من العلامات الفارقة بين الرجل والمرأة، حتى أن الإمام مالك أوجب في مذهبه أن يُحَد حالق شاربه ثلاثين جلدة، لأنه أصبح شبيهاً بالنساء، روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

١٥٩ الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٦٠ معجم الطبراني عن الحكم بن عمير رضي الله عنه

﴿ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ﴾[161]

لكن البعض يُصر على هواه، ويريد مع ذلك أن يبلغ مناه مع أنه يخالف منهج الصالحين والأئمة ﵃ في كل وقت وحين.

فكان النبي ﷺ يقص شاربه كل جمعة قبل صلاة الجمعة، وأباح الأئمة أن يصنع الإنسان ذلك من عصر الخميس إلى يوم الجمعة، فيجعل شاربه وجيهاً ولا يترل منه شيء على الشفتين، حتى يكون مؤدباً بأدب الأكل الذي كان عليه رسول الله ﷺ، وكان ينهى عن نتف الشيب ويقول:

﴿ مَنْ شابَ شيبةً في الإسلامِ؛ كانت له نوراً يوم القيامةِ ﴾[162]

وكان رسول الله ﷺ يُقلم أظفاره كل خمسة عشر يوم مرة، وكان له طريقة في ذلك، فكان يبدأ بالسبابة ثم ما يليها، ثم يرجع إلى الإبهام، ويصنع ذلك باليمين أولاً ثم باليسار، لأنه كان يتيامن في كل أحواله، وأخبرت السيدة عائشة ﵂:

﴿ كانَ النبيُّ يُحِبُّ التَّيَامُنَ في كُلِّ شيءٍ حَتَّى في التَّرجُّلِ والانتعَالِ ﴾[163]

ولم يرد في خبر صحيح يوم مفضل لقص الأظافر، لكن المهم أنه ﷺ كان يقص أظافره كل خمسة عشر يوم مرة، وكان ﷺ يحلق عانته وما تحت إبطيه كل شهر مرة، ووقَّت لأصحابه وقال سيدنا أنس ﵁:

﴿ وَقَّتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَلْقَ الْعَانَةِ وَتَقْلِيمَ الأَظْفَارِ وَقَصَّ الشَّارِبِ وَنَتْفَ الإِبِطِ كلَّ أَرْبَعِينَ يَوْمٍ مَرَّةً ﴾[164]

لكن خيركم من يمشي على الهدي النبوي لسيدنا رسول الله ﷺ في ذلك.

---

١٦١ صحيح البخاري وسنن الترمذي
١٦٢ رواه الترمذي، والنسائي. عن كعب بن مرّة، مشكاة المصابيح
١٦٣ عن مسروق عن عائشة صحيح ابن حبان
١٦٤ صحيح مسلم وسنن ألترمذي وأبي داود

تسوكه ﷺ

وكان ﷺ حريصاً على أسنانه وعلى أسنان أصحابه، فكان يأمرهم بالسواك، ويقول:

{ مَا لِي أَرَاكُمْ تَأْتُونِي قُلْحًا؟ اسْتَاكُوا }[165]

وقلحاً أي أسنانكم مصفرة من أثر اللون الذي تكوَّن من فضلات الطعام، وكان يقول مرغباً لهم في ذلك:

{ لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ }[166]

ويقول في فضله:

{ فَضْلُ الصَّلاةِ بِالسِّوَاكِ عَلَى الصَّلاةِ بِغَيْرِ سِوَاكٍ سَبْعِينَ ضِعْفًا }[167]

وكان ﷺ كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كلما استيقظ من النوم بادر إلى السواك، لا يفارق السواك ليلاً ولا نهاراً صلوات ربي وتسليماته عليه لسلامة أسنانه، ولجودة رائحة فمه، فإنه كان ﷺ حريص على أن يخرج من أفواه المؤمنين الرائحة الطيبة على الدوام.

وفي العصر الحديث ظهرت معاجين الأسنان والفرش، ولا مانع من استخدامها، وهي سُنَّة حميدة، فالفرشاة تعادل السواك عندما نضغط على الجزء الذي نستاك به ونجعله كالفرشاة، والمادة التي في معجون الأسنان إن كانت منظفة أو للرائحة الطيبة كالمادة التي في السواك لكن طورها العلم، فإن شئت فاستخدم السواك، وإن شئت فاستخدم معجون الأسنان، وإن شئت فاجمع بينهما واستخدم هذا وذاك، المهم أن تحافظ على ذلك وخاصة عند الخروج من المنزل وبعد الطعام وعند الذهاب إلى الجماعات والمجتمعات حتى لا يُرى من المؤمن إلا الرائحة الطيبة، وعند النوم.

---

١٦٥ مسند أحمد والطبراني عن تمام بن عباس رضي الله عنه
١٦٦ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٦٧ مسند أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

وينبغي بالإضافة إلى ذلك لمن يُعاني من سوء رائحة فمه لأن هذا الأمر ربما يعود إلى جوفه وليس لأسنانه، فقد استحدث الطب في الصيدليات بخاخ للفم، يستخدمه المؤمن فيُعطر الفم ولا يضر، واستخدام هذا البخاخ في رمضان لا يُفطر كما أفتى علماء المملكة العربية السعودية، فتستطيع أن تستخدمه عند الخروج من المترل، أو عند الذهاب إلى جماعة، ويستوجب على المؤمن والمؤمنة، الزوج والزوجة استخدامه عند النوم حتى لا يشم منها رائحة كريهة يتأذى منها، ولا تشم هي منه رائحة كريهة تتأذى منه، وهذا أمر سهل ميسور.

كل ما يؤدي إلى نظافة الفم والأسنان من مضمضة ومن سواك ومن معجون وغيره ينبغي على المؤمن أن يستخدمه ليتأسى في ذلك برسول الله ﷺ.

هيئاته ﷺ

كان ﷺ في هيئاته البشرية بشر لكنه كما قيل في شأنه: "محمد ﷺ بشر ليس كسائر البشر،كالياقوت حجر ليس كسائر الحجر" فإن الله ﷻ تولاه وألهمه لما فيه الخير لنفسه ولكل عباد الله جل في علاه.

سروره وغضبه

كان ﷺ يُسر ويغضب ويظهر ذلك على وجهه لشدة صفاءه، كان إذا سُرَّ استنار وجهه، وظهرت عليه البشاشة، ويظهر عليه السرور، وإذا غضب يتغير وجهه، ويضرب عِرق في وجهه، ويظهر عليه الوجوم، ويظهر عليه الحزن صلوات ربي وتسليماته عليه، لكنه أعطانا روشتة نبوية لداء الغضب الذي لا تسلم منه البشرية كلها، فكان ﷺ – كما علَّمنا – إذا كان واقفاً وغضب جلس، وإذا كان جالساً وغضب اضطجع، وإذا كان مضطجعاً وغضب قام واقفاً، وإذا زاد الغضب خرج عن هذا المكان، وإذا زاد الغضب عن الحد توضأ وصلَّى ركعتين لله، ويقول لمن حوله:

{ إن الغضب جمرة من النار وأن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء

فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)[١٦٨]

كما أن الماء يُطفيء النار، فالوضوء يُطفيء نار الغضب في صدر الإنسان، فكان هديه ﷺ ذلك مع أنه كان لا يغضب لنفسه قط، لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ، يغضب لرجل هتك شرع الله، يغضب لرجل فعل شيئاً يُغضب الله، لكنه لا يغضب إذا أُسيء لحضرته لأنه يعمل بقول الله ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف)، ويقول لمن يغضب لنفسه:

(الويل لمن يغضب وينسى غضب الله)[١٦٩]

فينبغي على المؤمن الذي يتأسى بحضرته أن يكون دائماً على هذا المنهج النبوي السديد والهدى الرشيد، يجعل لنفسه ميزاناً ألا يغضب لنفسه إلا بقَدَر، لكن لا يشتد غضبه إلا إذا كان هناك انتهاك لحرمات الله، أو انتقاص من دين الله جل في علاه.

ضحكه وبكاؤه ﷺ

وكان ﷺ يتبسم ويضحك، والضحك أنواع، منه التبسم وهو أن يظهر على ثغر الإنسان البسمة والسرور، وفيها يقول الحبيب ﷺ: **(تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ)**[١٧٠]، وهذا كان في معظم أحواله.وقد قيل: **(كان جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ)**[١٧١] وكان ﷺ دائم التبسم، وأظن أن هذا ما نحتاج إليه الآن في العلاقات الاجتماعية، ونشر أدب التعامل في المصالح الخاصة والحكومية، دورات حُسن التعامل مع الزبائن تحتاج أولاً إلى قوله ﷺ: **(تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ)**، فكان ﷺ يتبسم وهو يعظ، ويتبسم وهو يتكلم، ويتبسم وهو جالس، يتبسم دائماً، ويجعل شعار المؤمن البسمة الدائمة لإخوانه المؤمنين، والبسمة تدل على صفاء الصدر ونقاء القلب.

---

١٦٨ عن عطية رضى الله تعالى عنه، الآحاد والمثانى.
١٦٩ رواه الديلمي عن أبي هريرة.
١٧٠ سنن الترمذي وصحيح ابن حبان عن أبي ذر ﵁
١٧١ المعجم الكبير للطبراني وشعب البيهقي عن هند بن أبي هالة ﵁

أما الضحك وهو التبسم مع صوت رقيق لا يُسمع إلا الشخص ومن حوله فقط، فهذا كان لا يحدث منه ﷺ إلا لماماً في بعض الأمور الخاصة للإباحة، لأنه كان يُروِّح عن أصحابه، ومع ذلك كان يقول لهم: { إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[١٧٢]

وعن بن الحارث: { مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[١٧٣] وعنه أيضا: { مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلا تَبَسُّمًا }[١٧٤].

وكان رسول الله ﷺ لا يحدث حديثاً إلا تبسم، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم من غير صوت اقتداءاً به وتقديراً له ﷺ، وكانوا إذا جلسوا عنده كأنما على رؤوسهم الطير، وكان ﷺ إذا جرى به الضحك وضع يده على فمه، وكان ﷺ من أضحك الناس وأطيبهم نفساً، وورد في أحاديث أن النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجزه (أي أضراسه) وإن كان من أحواله ﷺ التبسم، على سبيل المثال قال ﷺ لأصحابه:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِي الزَّرْعِ، فَيَأْذَنُ لَهُ فَيَبْذُرُ حَبَّهُ، فَلا يَلْتَفِتُ حَتَّى يَكُونَ طُولُ كُلِّ سُنْبُلَةٍ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لا يَبْرَحُ مَكَانَهُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ رُكَامٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تَجِدُ هَذَا الرَّجُلَ إِلا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ }[١٧٥]

وكان مرة يُحدِّث أصحابه ويقول:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى

١٧٢ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنه
١٧٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه.
١٧٤ جامع الترمذي والأحاديث المختارة
١٧٥ معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. وكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ﴾[176]

ضحك رسول الله ﷺ في هذا المجال وهذا الأمر، لأن هذا أمر كان يُروِّح به عن نفوس أصحابه صلوات ربي وتسليماته عليه.

فكان ﷺ أكثر ضحكه التبسم، ولا يضحك بصوت إلا قليلاً، ويُسمع من حوله، أما الضحك بصوت عال يُسمع البعيد فهذا ما يُسمَّى بالقهقهة، وهذا لم يكن من خصال رسول الله ﷺ، فلم يكن من خصاله أن يضحك في مكان ويسمعه الذين يمرون في الشارع، لأنه ﷺ كان شعاره الوقار، والضحك الزائد عن الحد يُذهب هيبة المرء، يُذهب وقاره ولذلك كان هذا هديه ﷺ في هذا الأمر.

أما بكاء النبي ﷺ فكان كذلك، فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تنهملان ويسمع لصدره أزيز، يبكي رحمة لميت، وخوفاً على أمته وشفقة، ومن خشية الله، وعند سماع القرآن، وأحيانا في صلاة الليل، فعن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال:

﴿ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ – صوت – كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ – القدر – مِنَ الْبُكَاءِ ﴾[177]

فكانت تدمع عينه صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان ذلك في أمور، فكان يبكي شفقة على أمته ورحمة بهم، وحنانة عليهم، ويقول: أمتي أمتي، حتى أنزل الله ﷻ الأمين جبريل وقال:

﴿ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ ﴾[178]

وكان يبكي أحياناً رحمة لمن مات من ذوي قرباه، فقد كان سيدنا عثمان بن مظعون ؓ قريب له ومن المحببين إلى قلبه صلوات ربي وتسليماته عليه، فلما مات عثمان طفرت الدموع من رسول الله ﷺ، تقول السيدة عائشة ؓ:

---

١٧٦ الصحيحين البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ؓ
١٧٧ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك
١٧٨ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو ؓ

{ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى دُمُوعِهِ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ }[179]

{ ولما مات ابنه إبراهيم جَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ }[180].

وكذلك ورد أنه: { أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ، إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا؛ فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ؛ فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا فَقَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ }[181]

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بن عِبَادة شَكْوَى، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ وَجَدَهُ فِي غَشِيَتِهِ، فَقَالَ: قَدْ قَضَى يَا رَسُولَ اللَّهِ:

{ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا بَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: أَلا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلا لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلا بِحُزْنِ الْقَلْبِ،وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ }[182]

فكان بكاءه ﷺ بغير صوت ولا نشيج، وإنما تطفر الدموع من عينيه فقط صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان أحياناً يبكي من خشية الله، وقد قال ﷺ لنا:

---

١٧٩ سنن ابن ماجة ومسند أحمد

١٨٠ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن أنس ﷺ

١٨١ عن أسامة بن زيد :اللؤلؤ والمرجان والتاج الجامع للأصول.

١٨٢ الصحيحين البخاري ومسلم

{ عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[183]

وهو ﷺ كان أقرب الناس وأولى الناس وأول الناس خشية لله ﷻ، فكان ﷺ يبكي عند قراءة القرآن أو سماعه، يقول سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ:

{ اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ قَالَ: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ }[184].

فكانت دموعه ﷺ في هذه المناسبات، وفي هذه المشاهدات، دموع تطفر من عينيه بلا صوت ولا حس ولا حركة صلوات ربي وتسليماته عليه.

العطاس والتثاؤب

وكان ﷺ له عطاس، وعند عطسه علَّمنا أن يُخفض صوته، وأن يجعل يده على فيه أو جزء من ثوبه، ولا بأس في هذا العصر أن تضع منديلاً إن كان ورقياً أو كان قماشاً، وكان يكره أن يسمع رجلاً في المسجد يرفع صوته بالعطاس، ويقول:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالْعُطَاسِ وَالتَّثَاؤُبِ }[185]

فكان يكره الذي يعطس بصوت مرتفع، إن كان في المسجد أو غيره لأنه كان ﷺ حريص على الأدب الجم الذي علَّمه له الله ﷻ، والذي قال فيه له مولاه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ (القلم).

---

١٨٣ سنن الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن العباس ﷺ
١٨٤ الصحيحن البخاري ومسلم
١٨٥ عمل اليوم والليلة لابن السني عن عبد الله بن الزبير ﷺ

وكان ﷺ إذا عطس حمد الله فيقال له: يرحمك الله فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

أما التثاؤب فما كان يتثائب قط، وقد حفظه الله منه، وقد قال ﷺ:{ **ما تثاءب النبي ﷺ قط** }[186] وفى الأثر: { **ما تثاءب نبي قط** }، وكان ﷺ يكرهه من غيره، ويعلِّم أصحابه عند التثاؤب أن يضعوا يدهم مقلوبة أو شيئاً على أفواههم، ويأمرهم أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، ويقول:{ **التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ** }[187]

ادفع هذا الأمر لأنه من الشيطان، وهذا كان أمره في التثاؤب لأمته.

تطيبه ﷺ

عندما نرى الأوصاف العظيمة التي سار عليها رسول الله، والعناية بجسده نجد أن الأمر الجامع التام العام العناية بأعضاء أعطاها لنا الله، العناية بالجسم كله، وأبرز ما فيها النظافة والهيئة الطيبة، فكان ﷺ يأمر كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام مرة ويقول ﷺ:

{ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيبًا إِنْ وَجَدَهُ }[188]

وجعل الغسل يوم الجمعة سُنَّة لأن الإنسان سيقابل الجماهير الإسلامية، ولذا لا بد أن يكون نظيف.

كان ﷺ عَرَقه – كما ذكرنا – أطيب من ريح المسك.

ولا يمس أحداً بيده إلا ومكث ريح طيبة في يده ثلاثة أيام على الأقل.

وإذا مشى في طريق عُرف أنه مشى في هذا الطريق من رائحته الطيبة التي فاحت في هذا الطريق.

---

١٨٦ الحديث أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في «التاريخ» من مرسل يزيد بن الأصم، والأثر: أخرجه الخطابي من طريق مسلمة بن عبدالملك بن مروان، فتح الباري شرح صحيح البخاري.

١٨٧ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٨٨ صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومع ذلك كله كان ﷺ يعتني بالطيب غاية الاعتناء:

- فكان ﷺ له وعاء يضع فيه كل أنواع الطيب العظيمة والفخمة.
- وكان ويضع من الطيب على رأسه، وعلى لحيته، وعلى جسده.
- مرة يضع العود، ومرة يضع المسك، ومرة غيرهما من أنواع الطيب التي كان ﷺ يحرص عليها دائماً.
- وكان يحرص على التطيب في كل الأحيان، وخاصة عند الذهاب إلى المسجد، وعند الجمعة، وعند الجماعات، وعند الدخول في المجتمعات.
- ولذا رُوي عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أنه كان لا يَرُدُّ الطيب، وسُئل في ذلك، فقال ﷺ:

{ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَرُدُّ الطِّيبَ }[189].

فهذا الجسد النوراني الذي عرقه أطيب من طيب كل الوجود، ومع ذلك يستخدم الطيب ليُعلِّمنا أن نتطيب، وأن نحرص على الطيب، وأن نكون على خطى الحبيب ﷺ.

وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ويقول:

{ إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ }[190]

أما الرواية التى تقول: "حبب إلي من دنياكم ثلاث" فلا أصل لها:

ففي المواهب قال شيخ الإسلام الحافظ بن حجر: إن لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه وزيادته تفسد المعنى، وكذلك قاله الوالي العراقي في أماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شيء من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا.

وكان رسول الله ﷺ يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة.

---

189 صحيح البخاري وسنن الترمذي

190 سنن النسائي ومسند أحمد عن أنس ﷺ

وما دمنا سنتطيب:

- فيجب أن نختار الطيب الذي ليس له مردود سلبي على أعضاء جسم الإنسان. ونتبع الطرق العلمية التي هدانا إليها أطباء الأبدان، فالعطور تحتوي على كحول، وإذا وضعت مباشرة على أي جزء من الجسم فإنها تؤثر فيه وتجعل هناك حساسية في هذا الموضع، لكن يجب أن أضع أولاً العطر على اليد ثم أمسح به ما شئت من جسمي.
- ولذلك دائماً أحذر الأحباب من وضع العطر أو رشه مثلاً مباشرة على الوجه لأن هذا قد يكون له تأثير سلبي على العين، ولكن يجب وضعه على اليد أولاً، فهذه هي الطريقة الصحيحة لاستخدام الطيب كما ينح أهل العلم.
- وألا يكون – كما يبيعه الباعة الجائلون على أبواب المساجد – زيتاً من نوع رديء (مجهول الهوية والمصدر عادة) ويضعون عليه قطرات عطر قليلة ويقولون أنه مسك، فالمسك أصلاً لا شأن له بالزيوت، لأنه من الغزال، أمَّا هذه الزيوت فلا يعرف أصلها وقد تكون ضارة بالإنسان، لا تشترِ ولا تضع على جسمك إلا ما تضمنه وتأمنه ةترجو فائدته! هكذا دائما أحذر وأنبه..

كان ﷺ في هذه الهيئات الكريمة؛

الصورة الطيبة التي ينبغي علينا أن نتهذب بها،

وأن نجتذي حذوها،

وأن نتأسى بها في كل أحوالنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الخامس

هدي النبي ﷺ في سنن العادات

كلام النبي ﷺ وصمته

ملبسه ﷺ

أصول الملبس النبوي

خاتمه ﷺ

نعله ﷺ

عمامته ﷺ

فراشه ﷺ

أكله ﷺ

كيف كانت طريقة أكله؟

هديه ﷺ في الشراب

تلبية الدعوة

هديه ﷺ في النوم

الباب الخامس

هدي النبي ﷺ في سنن العادات[191]

جمّل الله عَجَلَك حبيبه بأكرم الخلال، وجعل أوصافه محبوبة لأهل الجمال وأهل الكمال؛ حتى يقتدوا بهديه ويمشوا على دربه فينالوا بفضل الله أعلى مراتب الوصال وأعلى الدروس السلوكية هي التي نتحدث فيها عن هذه الحضرة الكاملة الأحمدية عن سيدنا رسول الله ﷺ ليست دروساً تقال، وإنما ينبغي أن ننفذها في الحال، ولا نؤجل ولا نسوّف ولا نقول سنقوم بذلك بعد كذا وكذا من الأيام، أو بعد حين من الدهر، بل يجب فوراً العمل بقول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

والإقتداء بهديه ﷺ :

هو أتم أنواع الجهاد التي ينبغي أن يقوم بها العباد وكُمَّل العارفين والزهاد حتى ينالوا ما يرجون من فتح وإكرام من رب العباد عَجَلَك.

وسنتكلم عن جمله من هيئات حضرته الشريفة:

نستحضرها جلياً، .... ونفكر في العمل بها روياً، ... ثم لا نتوانى في التنفيذ، فسعد والله من كان على هدي الحبيب في كل أحواله.

---

191 المعادي – الخميس ٢٠١٤/٤/٣ موافق ٣ جماد الثاني ١٤٣٥ هـ

كلام النبي ﷺ وصمته

الهَدْي الأول يدور بين كلامه وصمته، تقول السيدة عائشه رضي الله عنها في قوم لم يلحقوا حضرته، وأخذوا يتحدثون مع بعضهم فقالت لهم:

{ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ بَيِّن فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ }[١٩٢]

وكان في كلامه ﷺ ترتيل، وكان كلامه ﷺ يحفظه كل من سمعه، وكان ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً، وكان ﷺ إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء، وكان ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه.

كان كلام رسول الله ﷺ كلام واضح، ويفصل بين المقاطع والكلمات والجمل، حتى قالت رضي الله عنها:

{ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ }[١٩٣]

للتأني والتمهل والرويه في النطق بهذا الكلام، فلم يكن يتسرع في كلامه، ولا يسرع في لهجته، ولا يكثر الكلام وراء بعضه بغير حصر، وإنما كلام بينه فصل.

وكان يكرر كلامه مرتين أو ثلاثة، وهذا كان في وحي السماء عندما يتلوا كتاب الله عند بدايه النزول، وعند الوصايا النبوية التي يوصي بها أصحابه في بعض أمورهم وأحوالهم، ولذا كان أصحابه رضوان الله تبارك وتعالي عليهم منهم من يحفظ القران من أول تلاوة من رسول الله ﷺ، ومنهم من يحفظه من المرة الثانية، ومنهم من يحفظه من المرة الثالثة، وليس هناك بعد ذلك.

وكان ﷺ كما قيل يرتل الكلام ترتيلاً، ترتيل وتفصيل و تبسيط وتوضيح، هكذا

---

١٩٢ سنن الترمذي وشرح السنة
١٩٣ الصحيحين البخاري ومسلم

كان رسول الله ﷺ في نطقه، فياليتنا نحتذي حذاه ونحاول أن نتابعه في منحاه الذي ارتضاه وجمَّله به الله جل في علاه.

أما صمته صلوات ربي وتسليماته عليه فكان ﷺ أغلب أحواله الصمت، لأنه كان كما قيل في شأنه: كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ولا يتكلم بغير حاجة، ولا يتكلم الا اذا كان للكلام موضعاً وضرورة، وكان ﷺ طويل الصمت، وكان ﷺ كثير السكوت.

وكان ﷺ نزر الكلام، وكان ﷺ يعرض عمن تكلم بغير جميل، ويعرض عن كل كلام قبيح، ويكني عن الأمور المستقبحة في العرف إذا اضطره الكلام إلى ذكرها، وكان ﷺ سمح المقالة يعيد الكلام مرتين ليفهم.

وكان ﷺ يذكر الله بين كل خطوتين، وقد أدَّب أصحابه المباركين الذين نسأل الله أن نكون على نهجهم أجمعين فقال لهم ولنا:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ } [194]

وهذا أول أساس للسالك في طريق الله ﷻ:

ألا يتحدث في حديث لا يتعلق به، وليس له شأن به، ولا يتصل به من قريب أو بعيد، وإنما دائماً إذا وجد للكلام ضروره تحدث وإلا لزم الصمت، والصمت عبادة علويه للسالكين الصادقين في طريق الله، يقول سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ: كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام.

ممن يتعلمون الصمت؟

من حضرة الحبيب الأعظم ﷺ، فهو لهم الإمام، وكان ﷺ إذا وجد من يتكلم في أمر لا يعنيه أو بطريقة لاتعجبه في الكلام يصمت ويعرض عنه فقط، لأن الله أدَّبه فأحسن تأديبه، ويقول لهم:

{ الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ } [195]

---

١٩٤ سنن الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

١٩٥ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

ويحثهم على هذا السلوك فيقول:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي هُدًى وَقِلَّةِ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ }[196]

وفي رواية أخرى: **{ يُلْقِي الْحِكْمَةَ }**[197] يُلقَّن الحكمة في البداية من الحكيم ﷻ، ثم بعد ذلك يُلقِي ما تعلَّمه من الحكمة من الحكيم لمن التفوا حوله من الحاضرين في هذا التعليم، فالصمت عبادة يقول فيها إمامنا أبو العزائم ﷺ:

والصمت معراج وجوعك طهرة   والصمت رفرف حـضرة التـواب

فياليتنا نكف ألسنتنا عن الحديث الذي لاينفعنا في دنيانا، ولايرفعنا في آخرتنا، ونضع ميزاناً لأقوالنا قول نبينا:

{ رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }[198]

من مشى على هذا المنهاج فانه يحظى بمقام الحكمة، ويكون حكيماً عند الله ﷻ وبين خلق الله الصادقين.

ملبسه ﷺ

أما الهدي التالي لذلك فهو هديه ﷺ في ملبسه، كان ﷺ لا يتكلف في ملبسه، وانما كما قيل يلبس ما وجد، أي ما وجده مناسباً له ولظروفه ولهيئته ولدعوته ولظهوره بين أمته.

كان يجعل ثوبين خاصان لصلاة الجمعة لتعظيمها وللإشادة بشأنها، وجعل حلة كريمة خصيصاً لصلاة العيد أهداها له بعض أصحابه، وكانت نُسجت لسيف بن ذي يزن ملك اليمن ولكنه مات ولم يلبسها، وقيل اشتراها باثنين وعشرين جملاً!.

---

١٩٦ حلية الأولياء لأبي نعيم ومنتقى العبدوي عن أبي خلاد ﷺ
١٩٧ سنن ابن ماجة والبيهقي عن أبي خلاد ﷺ
١٩٨ البيهقي ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

غير أنه ﷺ كان أهم ما يراعيه في ملبسه النظافة والستر، فقد كان ﷺ يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ }[199]

فكان يحرص على نظافة ملبسه، ويحرص على نظافة جسده الشريف، كما يحرص على نظافة مسكنه، كما يحرص على نظافة مسجده، كما يحرص على نظافة أي موضع وُجد فيه، ويقول لأصحابه:

{ تَنَظَّفُوا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ بَنَى الإِسْلامَ عَلَى النَّظَافَةِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلا كُلُّ نَظِيفٍ }[200]

ولذا روى الامام الرازي رحمة الله عليه في تفسيره أنه ﷺ كان لا يقف عليه الذباب، ولا يمص دمه البعوض، ولا يقترب منه القمل ولا حشرات الأرض، وهذا كما تعلمون لشدة نظافته وحرصه على النظافه التامة في كل ما يلامس جسده ﷺ صلوات ربي وتسليماته عليه.

وأنتم تعلمون أن هذه الحشرات التي ذكرناها وأشباهها لا توجد إلا حيث لا توجد النظافة، لكنه من شدة نظافته حتى في هذه البيئة القاحلة كان هذا حاله صلوات الله وتسليماته عليه.

أصول الملبس النبوي

والأساس الذي ينبغي علينا أن نتابعه في زي رسول الله ﷺ ...

أولاً: أن يكون من رزق حلال أحلَّه لنا الله فقد قال ﷺ:

{ مَنِ اشْتَرَى ثَوْباً بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ وَفِيهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاَةً مَا دَامَ عَلَيْهِ }[201]

---

١٩٩ المطالب العالية لابن حجر والبزار عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

٢٠٠ التدوين في أخبار قزوين للرافعي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٠١ (حم) عن ابن عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا، جامع المسانيد والمراسيل

وقال ﷺ:

{ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ }[202]

ثانياً: أن يكون هذا الملبس حلال أحلَّه لنا الله، فقد نهى ﷺ أصحابه عن لبس الحرير سواء في البطانة أو في ظاهر الأمر، وأباح ذلك لنساء أمته، فقد أمسك ﷺ بيده حريراً وباليد الأخرى ذهباً وقال:

{ إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لإِنَاثِهِمْ }[203]

فيحرم على الرجال لبس الذهب والحرير، بل حرَّم استخدام الآنية والمقتنيات المصنوعة من الذهب، أو دخل في صناعتها قدر من الذهب كالساعة الذهب، والقلم الذهب، والولاعة الذهب، والميدالية الذهب، وأي شيء يستخدمه الإنسان مصنوعا من الذهب سواء كان هذا الذهب خالصاً أي عيار ٢٤ أو مختلطاً كعيار ٢١ أو ١٨ وخلافه.

ثالثاً: أن تكون هذه الثياب ساترة للعورة الشرعية التي وضَّحها الله ونبيه ﷺ في سنته المرضيه.

رابعاً: ألا تكون ألوانها من الألوان التي يمقتها العقلاء من المجتمع، وتجلب على صاحبها أقوال السفهاء وجدل العلماء وما يحدث من ذلك من أشياء.

فعلينا بهدي النبي ﷺ في ذلك أجمعين، لم يكن النبي ﷺ في هديه وسمته يحرص على الدون من الثياب لكنه يحرص على نظافة الثياب ويقول ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ كَرَامَةِ الْمُؤْمِنِ عَلَى اللَّهِ نَقَاءَ ثَوْبِهِ، وَرِضَاهُ بِالْيَسِيرِ }[204]

---

٢٠٢ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ
٢٠٣ سنن ابن ماجة والبيهقي عن علي بن أبي طالب ﷺ
٢٠٤ المعجم الكبير للطبراني والحلية لأبي نعيم عن ابن عمر ﷺ

ورأى النبي ﷺ رجلاً وسخ الثياب فقال:

{ أَمَّا يَجِدُ هَذَا مَا يُنَقِّي بِهِ ثِيَابَهُ ؟ }[205]

ويجعل لكل مناسبة ما يلائمها من الثياب، ولذلك مشى على هذا الهدي الصحابة والأئمه المرشدون والعلماء العاملون الى يومنا هذا.

الإمام سفيان الثوري رحمه الله، وكان من العُبَّاد؛ رأى الإمام جعفر الصادق بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ يلبس ثياباً من صوف طيبة – أي مصنوعه بطريقه طيبه – فذهب اليه وقال: يا ابن بنت رسول الله أمثلك يلبس هذه الثياب؟! فاخذ جعفر الصادق ﷺ يد سفيان وأدخلها بين طيات ثوبه الى ملابسه الداخليه فوجده يضع على جسده صوفاً خشناً، ثم قال: يا هذا لولا أنك من أهل العلم ما أخبرتك، جَعلْنا هذا الذي أمسكته بيدك لله، وجعلنا هذا الذي ألبسه ظاهراً لخلق الله، فما كان لخلق الله أبديناه، وما كان لله ﷻ أخفيناه، هل تعلم أن الرسول ﷺ رأى رجلاً في هيئة رثة فقال له ﷺ:

{ هَلْ عِنْدَكَ مَالٌ؟، قال: نَعَمْ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ آتَانِي اللَّهُ، مِنَ الإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْخَيْلِ، وَالرَّقِيقِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَلْيُرَ عَلَيْكَ نِعْمَةُ اللَّهِ وكَرَامَتُهُ عَلَيْكَ }[206]

إذا كان عندك المال لِمَ تقتر على نفسك وتظهر هيئتك بمظهر مسكين؟! وكأنه كما قال أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما جاءه أحد الزهاد واعترض على ثيابه التي يلبسها وقال له: أمثلك يلبس هذا؟ قال: يا هذا ثيابي هذه تقول الحمد لله وثيابك هذه تقول أعطني شيئاً لله.

فهذا شئ جوهري ينبغي أن نقف عنده، ونتريث عند دراسة ملابس حضرة النبي ﷺ، أما ما رُوي من كتب السير من أنه كان ﷺ يحب لبس القميص، والقميص الذي لبسه هو ما رأينا عليه آباءنا بالقريب، حيث كان يصنع من الدبلان أو الدمور، وكانوا

٢٠٥ الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله ﷺ
٢٠٦ معجم الطبراني عن مالك بن نضلة ﷺ

يجعلونه طويلاً أسفل الركبتين وطويل الأكمام، وكان كم رسول الله ﷺ إلى الرسغ أو الأصابع، وكان قميصه فوق الكعبين، وكان ﷺ إذا لبس قميصه بدأ بميامنه.

وكانت سيرته ﷺ في ملبسه ما هو أتم وأنفع للبدن وأخف عليه، وكان مثل هذا القميص يصلى فيه آبائنا ويمشون به، لكن تغير العصر فليس هذا من الأشياء الضروريه التي لا بد أن نتمسك بها في الاقتداء بخير البرية ﷺ، أما في الألوان فكان ﷺ يعجبه الثياب الخضر، وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال:

﴿ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ ﴾[٢٠٧]

إذاً لا عبرة بالألوان، المهم أن يكون الملبس طيباً ومكتمل في تغطية البدن، وتوافق أهل الزمان العقلاء الذين يستنون بسنة سيد الأنبياء ﷺ.

وكان ﷺ يتتبع الحرير من الثياب فيترعه ويكسوه بناته، وكان رسول الله ﷺ يلبس ما وجد من المباح، وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج بالقطن، وربما لبسوا ما نسج بالصوف والكتان.

وكان لرسول الله ﷺ سراويل، وكانت ثيابه ﷺ كلها مشمرة فوق الكعبين، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رآني النبي ﷺ أسبلت ردائي فقال:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ يَمَسُّ الأَرْضَ مِنَ الثِّيَابِ فِي النَّارِ ﴾[٢٠٨]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

﴿ مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ ﴾[٢٠٩]

وذلك محمول على ما كان فيه خيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد، وكان ﷺ يرخي إزاره من بين يديه ويرفعه من وراءه، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً، ثُمَّ يَقُولُ:

---

٢٠٧ صحيح مسلم والشمائل للترمذي
٢٠٨ المعجم الكبير للطبراني
٢٠٩ صحيح البخاري وسنن النسائي

{ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ }[210]

وإذا لبس ثوباً جديداً حمد الله وصلى ركعتين وأعطى القديم لفقير يحتاجه، وإذا استجد ثوباً لبسه يوم الجمعة.

وكان له ﷺ برد (عباءة) يلبسه في العيدين والجمعة، وكان ﷺ له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة.

وكان ﷺ إذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر علية أصحابه بذلك، وكان ينهى أصحابه عن لبس الأحمر الخالص، وقال ﷺ:

{ الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ }[211]

والصالحون أخذوا الإشارة من قوله ﷺ في هذا الحديث وقوله ﷺ في الحديث الآخر:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ }[212]

إلى أن الغرض في هذا المقام الثياب التى تكسوا القلب الذي هو موضع نظر الله ﷻ كثوب المحبة والشفقة والعطف والحنان والزهد والورع وحسن التوكل على الله وغيرها من ثياب التقوى التى يقول فيها الله تعالى:

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦الأعراف).

وكان ﷺ أحياناً يلبس الجبة، وأحياناً يلبس البرده أي العباءه، .. كل هذه الأصناف وارده عن رسول الله ﷺ، ومن لبسها فقد اقتدى بسنته ﷺ، المهم أن لا نتعصب لهذه الأمور، فيظن أنه على خير وكل من خالفه على غير هذا الهدى والنور،

٢١٠ سنن الترمذي وأبي داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢١١ سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجة عن ابن العباس ﷺ
٢١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وهذه طامة كبرى قد يقع فيها البعض بحجة التمسك بسُنَّة الرسول ﷺ.

وورد أنه: { **كانت لرسول اللهِ ﷺ خِرْقَةٌ – قطعة قماش – إِذَا تَوَضَّأَ تَمَسَّحَ بِهَا** }[213] وفي رواية أخرى: { **أنه كَانَ مُتَّخِذًا مِنْدِيلا يَمْسَحُ بِهِ بَعْدَ الْوُضُوءِ** }[214]

خاتمه ﷺ

وكان ﷺ يتختم، وله خاتم في أصبعه، وهذا الخاتم غير خاتم النبوه، فخاتم النبوه إنما هي شعرات كانت موجوده في ظهره في مقابل قلبه.

لكن الخاتم صُنع لِعِلَّه، فقد أراد ﷺ أن يكتب للملوك حوله يدعوهم الى الإسلام، إلى كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، وإلى النجاشي ملك الحبشه، والي غيرهم، فقالوا يا رسول الله ان الملوك لا تقبل كتاباً غير مختوم، فأمر ﷺ أن يصنع له خاتم من فضة، وأن يكون له فصاً من العقيق، وهذا العقيق كانوا يأتون به من الحبشة.

وأمر ﷺ أن ينقش (يُكتب أو يحفر) على هذا الخاتم محمد (سطر)، و رسول (سطر)، ثم الله لفظ الجلاله سطر فتكون (محمد رسول الله) فعن أنس رضي الله عنه:

{ **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ، وَكَانَ نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** }[215]

وورد أنه ﷺ لبس الخاتم في يمينه وانه لبس الخاتم في يساره، فالأمر فيه سعة، فلا تضيقوا على أنفسكم واسع رحمة الله عز وجل، فالتختم في اليسار ليس مكروهاً ولا خلاف الأولى، بل هو سنة لوروده في أحاديث صحيحة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:{ **أنّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَخَتَّمُ فِي يَسَارِهِ** }[216].

وكان ﷺ يحمل الخاتم في يده، فاذا كتب الكتاب ختمه ﷺ ويقول:

---

٢١٣ الطبقات الكبرى لابن سعد
٢١٤ مسند الربيع بن حبيب
٢١٥ تاريخ دمشق لابن عساكر
٢١٦ سنن أبي داود والجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي

{ الخَاتم عَلَى الكِتَاب خَيرٌ مِنَ التُهْمَة }[217]

وظل هذا الخاتم في يده حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

{ اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ وكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُثْمَانَ، حَتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بِئْرِ أَرِيسَ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ }[218]

ففي ذات يوم كان عثمان ﷺ يتوضأ من بئر يسمى بئر أريس، وأريس إسم لرجل يهودي وهو الذي حفر هذه البئر، فوقع الخاتم من يده، فأمر عثمان بترح البئر، فأخذوا يترحونه ثلاثة أيام ولم يجدوا له أي أثر، ثم حدثت الأحداث العظام، قال الباجوري: وفي وقوعه إشارة إلى أن أمر الخلافة كان منطوياً به، فقد تواصلت الفتن وتفرقت الكلمة وحصل الهرج، ولذلك قال بعضهم: كان في خاتمه ﷺ ما في خاتم سليمان من الأسرار، لأن خاتم سليمان لما فقد ذهب ملكه، وخاتمه ﷺ لما فقد من عثمان انتقض عليه الأمر وحصلت الفتن التى أفضت إلى قتله واتصلت إلى آخر الزمان.

فكان هذا الخاتم فيه سر إلهي، أمان للأمة، وطمأنينه للحُكَّام، وسلام لجميع آل الإسلام طالما أن الحاكم أوالخليفه يحمل خاتم الحبيب صلوات الله وسلامه عليه، وعندما ضاع الخاتم جاءت الفتن التي لا تعد ولا تحد، هذا كان شأن خاتم الحبيب سيدنا محمد ﷺ.

وكما ذكرنا فإن هذا الخاتم كان من الفضة، لأنه ﷺ حرَّم لبس الذهب على الرجال من أمته، ولا يتعلل بعض شبابنا بأن بعض المفتين قد أفتى بأن دبلة الزواج لو كانت من الذهب فلا شيء في ذلك، وهذا نقول له: الدبلة كغيرها فلا يحل الذهب بالكليه لذكور هذه الأُمَّة كما أنبأ خير البريه ﷺ، حتى ولو كان عيار الذهب منخفضاً فلا نلبسه، وذلك لحكمة بالغة فقهها أهل هذا الزمان، فقد ارتبطت ميزانية الأمم بالذهب،

---

٢١٧ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين والعراقي في المغني عن حمل الأسفار
٢١٨ الصحيحين البخاري ومسلم

وأصبح هو المقياس لنهضة الأمم وعلوها الإقتصادي، فأراد الله ﷻ أن يوفر لهذه الأمة رصيدها من الذهب فخصَّ النساء بالذهب وحرَّمه على الرجال، وهذا كان هدي الحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

وعن أنس ﷺ:﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ نَزَعَ خَاتَمَهُ ﴾[219]

ولعل ذلك لوجود لفظ الجلالة (الله) على الخاتم.

وجاء رَجُل إِلَى النَّبيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ شَبَهٍ – وهو نوع من النحاس كانت الأصنام تُتخذ منه – فَقَالَ لَهُ:

﴿ مَا لِي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الأَصْنَامِ، فَطَرَحَهُ ثُمَّ جَاءَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَى عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ، فَطَرَحَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ؟ قَالَ: اتَّخِذْهُ مِنْ وَرِقٍ – فضة – وَلَا تُتِمَّهُ مِثْقَالا ﴾[220]

نعله ﷺ

كان ﷺ يلبس النعال، وكان في زمانه يلبسون النعال من الجلود بما عليه من صوف أو وبر أو غيره، لكن الحبيب ﷺ استن لنا ولمن قبلنا ومن بعدنا فكان لا يلبس إلا النعال السبتية التي أزيل ما عليها من الشعر أوغيره ولم يبق إلا الجلد كما هو الآن.

وكان ﷺ له أمور في النعل، فكان يبدأ اللبس باليمين، ويبدأ في نزعه بالشمال، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

﴿ إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُنِ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ ﴾[221]

ولذلك تحير بعض القوم في كيفية الخروج من المسجد، لكن الصالحون أوجدوا

---

٢١٩ سنن الترمذي وأبي داود

٢٢٠ سنن أبي داود والترمذي عن بريدة بن الحصيب ﷺ

٢٢١ الصحيحين البخاري ومسلم

حلاً يرضاه العقل والقلب والفؤاد، لأن النبي ﷺ أمرنا أن ندخل المسجد باليمنى ونخرج باليسرى، فاذا خرج باليسرى وينبغي عليه أن يلبس اليمني فماذا يفعل؟ فقالوا يُخرج اليسرى ثم يضعها على ظهر الحذاء، ثم يُخرج اليمنى ويبدأ بها لبس الحذاء، وبذلك يكون قد أتى بالسُنَّه في الإثنين معاً ولم يخالف هدي رسول الله ﷺ، انظروا كيف حال الصالحين في توفيقهم الموفق في اتباع سيد الأولين ﷺ .

وكان ﷺ مع أن هذا الأمر يكون بحسب الزمان والمكان إلا أن وصف حذاءه ﷺ كان له سير من الخلف، ومن الأمام سير يدخل بين الأصابع، وعن ابن عباس رضي الله عنه:

{ أَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَبْعَدَ الْمَشْيَ، فَانْطَلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَلَبِسَ أَحَدَ خُفَّيْهِ، فَجَاءَ طَائِرٌ أَخْضَرُ فَأَخَذَ الْخُفَّ الآخَرَ فَارْتَفَعَ بِهِ، ثُمَّ أَلْقَاهُ، فَخَرَجَ مِنْهُ أَسْوَدُ سَابِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذِهِ كَرَامَةٌ، أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ }[٢٢٢]

فسنَّ لنا ذلك، فقبل أن تلبس أي حذاء لا بد أن تنفضه أولاً، فلو كان فيه شيء ينزل ثم تلبسه، تربية نبوية إلهيه علَّمها لنا خير البريه ﷺ، وكان ﷺ يقول:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَلْبَسُ خُفَّيْهِ حَتَّى يَنْفُضَهُمَا }[٢٢٣]

وما أحسن قول القرطبي:

ونعـل خضعنا هيبة لبهاءهـا … وإنا متى نخضع لها أبداً نعلُ
فضعها على أعلى المفارق إنها … حقيقتها تاج وصورتها نعلُ
بأخمص خير الخلق حازت مزية … على التاج حتى باهت المفرق النعلُ
شفاء لذي سقم رجاء لبائس … أمان لذي خوف كذا يحسب الفضل

٢٢٢ معجم الطبراني ودلائل النبوة لأبي نعيم
٢٢٣ المعجم الكبير ومسند الشاميين للطبراني عن أبي إمامة رضي الله عنه

وكان ﷺ إذا جلس يتحدث يخلع نعليه.

عمامته ﷺ

كان ﷺ يلبس على رأسه العمامة، وأحياناً يلبس شيئاً سماه العرب قلنسوه، أي طاقيه يضع فوقها العمامة، وأحياناً يلبس العمامة بدون طاقية، وأحيانا يلبس الطاقية بدون عمامة، وأحياناً يضع على العمامة ما يسمى بالشال، وأحياناً يرخيه على كتفيه، وقد ورد أنه فعل ذلك عندما سُئل من الله ﷻ:

{ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِيَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ قُلْتُ لا. قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ فِي نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ }[٢٢٤]

فأرخى شال عمامته على الموضع الذي في ظهره، مع تنزيه الله ﷻ عن اليد والحركات والسكنات، فهو سبحانه وتعالى كما قال عن ذاته: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ (الشورى).

وكان ﷺ أحياناً يُصلي وليس هناك شيء على رأسه، كل هذه الكيفيات وردت عن رسول الله ﷺ حتى لا نحجب فضل الله، ولايتمسك أحدنا برأي أعجبه ويظن أنه وحده على الصواب وأن غيره على الخطأ.

فسُنَّة رسول الله ﷺ واسعة، والأمر فيه سعة ما دام الانسان يتابع الحبيب، فالحبيب ﷺ إن تابعه الإنسان في أي جنب من جوانبه فهو مصيب، ويستحيل على أي امرئ أياً

---

٢٢٤ عَن ابن عَبّاسٍ، سنن الترمذي وتمامه: قال: قالَ رَسُولُ الله: { أَتَانِي اللّيْلَةَ رَبّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - قالَ أَحْسِبُهُ فِي المَنَامِ فقالَ. - الحديث - قالَ يَا مُحَمّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ نَعَمْ فِي الكَفّارَاتِ، والكَفّارَاتُ المُكْثُ فِي المَسْجِدِ بَعْدَ الصّلوات، والمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إلى الجَمَاعَاتِ وإسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ وكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمّهُ، وقالَ يَا مُحَمّدُ إذَا صَلّيْتَ فَقُلْ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وتَرْكَ المُنْكَرَاتِ وحُبّ المَسَاكِينِ وإذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فاقبِضْنِي إلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ. قالَ والدّرَجَاتُ إفْشَاءُ السّلاَمِ وَإِطْعَامُ الطّعَامِ والصّلاَةُ باللّيْلِ والنّاسِ نِيَامٌ }..

كان أن يتابع الحبيب على كل طُرُقه، نحن نستطيع أن نتابعه في جهة ونسأل الله ﷻ أن يتم علينا ذلك، وأن يعيننا على ذلك، لكن متابعته بالكليه تعجز عنها كل البشرية ولو اجتمعوا جميعاً على ذلك، لأنه ﷺ أكمل الكاملين، وأعبد العابدين، وأشكر الشاكرين، وأذكر الذاكرين لله ﷻ.

فراشه ﷺ

هنا يظهر لنا عظمته التي أوجده الله ﷻ عليها، فإن الله ﷻ ملَّكه في حياته الجزيرة العربية كلها، وبلاد اليمن، وجاءته الخيرات من كل فج، ومع ذلك كان يرفض أن يتوسع في المباحات لأنه قدوة لأُمَّته ﷺ.

دخل عليه سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ يوماً فإِذَا النَّبيُّ ﷺ رَاقِدًا تَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ إلا الْحَصِيرُ، وَأَثَّرَ الْحَصِيرُ فِي جَنْبِهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ ذَرِفَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْس بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ }[225]

وقال ﷺ:

{ كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ }[226]

فكان ﷺ تارة ينام على الحصير، وتارة ينام على التراب، وتارة ينام على فراش من أدم أي الجلد الخالي من الشعر أو الصوف، وهذا الجلد محشو بالليف ووسادته كذلك،

---

225 الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها
226 سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﵁

وكان الفراش العظيم عبارة عن عباءة تنتقل معه عند زوجاته يطوونها طيتان ويفرشونها على فراشه.

{ سُئِلَتْ عَائِشَةُ: مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِك؟ قَالَتْ: مَنْ أَدم حَشْوُهُ لِيفٌ. وسُئِلَتْ حَفْصَةُ: مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صلى ﷺ فِي بَيْتِكِ؟ قَالَتْ: مَسْحاً نَثْنِيهِ ثَنْيَتَيْنِ فَيَنَامُ عَلَيْهِ, فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: لَوْ ثَنَيْتِهِ أَرْبَعَ ثَنَيَاتٍ كَانَ أَوْطَأَ لَهُ. فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثَنَيَاتٍ, فَلَمَّا أَصْبَحَ. قال: مَا فَرَشْتُمُونِي اللَّيْلَةَ؟ قَالَتْ: قُلْنَا: هُوَ فِرَاشُكَ, إِلاَّ أَنَّا ثَنَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ ثَنَيَاتٍ. قُلْنَا: هُوَ أَوْطَأُ لَكَ. قال: رُدُّوهُ لِحَالِهِ الأولَى, فإنه منعَتْنِي وَطْأَتُهُ صَلاَتِي اللَّيْلَةَ }[٢٢٧]

ينبهنا إلى ما نحن فيه الآن من الذين ينشدون الفراش الوثير والترف في النوم، كيف يقومون لله؟ كيف يناجون الله في وقت الأسحار؟ قال ﷺ:

{ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ }[٢٢٨]

فهل صاحب الفراش الوثير يقوم الى ذلك؟! فكان ﷺ بهديه الكريم كلاماً يُقتدى به ويُرتجي به ويكون الخلق أجمعين سعداء إذا اهتدوا بهديه صلوات الله وسلامه عليه.

فكان ﷺ متقللاً من أمتعة الدنيا كلها، وقد أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض كلها فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ, فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَبَاءَةً,

٢٢٧ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي، أخرجه الترمذي في الشمائل
٢٢٨ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

فَقَالَتْ: مَا لَهُ فِرَاشٌ غَيْرَ هَذَا؟ قُلْتُ: لا وَاللَّهِ، مَا لَهُ فِرَاشٌ غَيْرُهُ، فَعَمَدْتُ إِلَى سَبِيبَةٍ مِنَ السَّبَائِبِ، فَحَشَتْهَا صُوفًا، ثُمَّ أَتَتْنِي بِهَا، فَقَالَتْ: لِيَكُنْ هَذَا فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، مَا هَذِهِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: رُدِّيهِ، قَالَتْ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِي، وَلَمْ أَرُدَّهُ، وَأَعْجَبَنِي أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِي، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَلَمْ آمُرُكِ أَنْ تَرُدِّيهِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرُدَّهُ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِي، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، رُدِّيهِ، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ لأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾[229]

فما عاب رسول الله ﷺ مضطجعاً قط، إن فرش له اضطجع وإلا اضطجع على الأرض، وكان ﷺ يتغطى باللحاف، وكان وساده الذي يتكأ عليه من أدم حشوه ليف كما أسلفنا، وروى أنه ﷺ:

﴿ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَرْوَةٌ مَدْبُوغَةٌ يُصَلي عَلَيْهَا ﴾[230].

أكله ﷺ

أكله ﷺ لمن يتدبر فيه يجد عجباً، هذا النبي الكريم بلغ من جوده وكرمه أنه وزَّع في يوم واحد ألف جمل على أربعة من أصحابه! انظر إلى هذا العطاء! وأعطى رجلاً من أصحابه غنماً بين جبلين! وساق في عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين!.

وكان معه من أصحابه كثير من أصحاب الأموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم، وبذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه، وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه، وحث على تجهيز جيش العسرة فجهَّزه عثمان بألف بعير، إلى غير ذلك، وكان ﷺ وهو الحريص علينا كما قال فيه ربه:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة).

---

٢٢٩ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

٢٣٠ : ابن سعد عن المغيرة رضَي اللّهُ عنهُ جامع المسانيد والمراسيل

يعلّمنا الهدى النبوي الكريم، والسَنن الإلهي القويم، فكان يدَّخر لكل زوجة من زوجاته قوتاً يكفيها لمدة سنة مرة واحدة، ويقول لنا:

﴿ كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ ﴾[231]

من الإثم أن يضيع الإنسان من يعوله بحجة عبادة الله، وبحجة طاعة الله، لأن هذه الحجج يجب أن تكون مطابقة لأحوال سيدنا رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ عنده أغنام لكنه كان حريصاً أن لا يزيد عددهم على المائة، كل ما زاد عن المائة يذبحه للضيفان، وكان له منائح ــ يعني أغنام ذات ضَرٍّ ولبن ــ يأكل من لبنها، وكان له دجاجاً، وتحكي السيدة عائشة رضي الله عنها عن أدب هذا الدجاج، وحتى عن وحش (حيوان برى) كان عند آل بيت النبى ﷺ فتقول:

﴿ كَانَ لآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ فَكَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اشْتَدَّ وَلَعِبَ فِي الْبَيْتِ،- وفى رواية: أَسْعَرَنَا قَفْزاً- فَإِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ سَكَنَ ،- وفى رواية : أَقْرَد- فَلَمْ يَتَحَرَّكْ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴾[232]

وكان له خيولاً، وكان له جمالاً يركبها، وكان له بغالاً، والبغل أهدئ من الجمل في الركوب والمشي، وكان له حميراً، وكان يُسمِّي كل واحدة من هؤلاء بإسم، سمَّي حماراً من هذه الحُمر بإسم يعفور، وكان حماراً مُعلَّماً، فكان النبي إذا أراد رجلاً من أصحابه يقول له: أريد فلاناً؟ فيمشي الحمار إلى أن يصل بيته فيضرب الباب برأسه، فيعلم الرجل أن الرسول ﷺ يريده فيمتطي الحمار ويرجع به إلى رسول الله ﷺ.

ومع ذلك كان ﷺ هديه الأساسي في الطعام أنه لا يشبع من طعام قط، لا يأكل إلى حدِّ الشبع، وأظن أنكم تعلمون جيداً أن معظم أمراض هذا الزمن سببها الشبع، وكان يُعلِّم أصحابه على ذلك، كان الهدى الذي سنَّه لأصحابه أنهم يخرجون مبكراً إلى العمل بعد صلاة الفجر فيقول لهم:

---

231 سنن أبي داود ومسند أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنه

232 مسند أحمد والطبراني، وفى عمدة القاري :كانوا (أى أهل المدينة لم أماكن فى بيوتهم) يؤوون فيه الوحوش ويتخذونها ويغلقون دونها الأبواب، والوحش أحد الوحوش وهي حيوان البر.

{ اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا }[233]

وبعد صلاة الظهر يأمرهم أن يقيلوا أي ينامون نوم القيلولة، فيقول:

{ اسْتَعِينُوا بِرُقَادِ النَّهَارِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ }[234]، وأيضاً:

{ قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَقِيلُ }[235]

- وكان اختياره ﷺ للجوع أمر ارتآه نافعاً لنفسه ولصحبه.

- ولم يكن اضطراراً لقلة الشيء، فقد قال ﷺ:

{ عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي ﷻ لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا، وَأَجُوعُ يَوْمًا، فَإِذَا جُعْتُ، تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ، وَشَكَرْتُكَ }[236]

اختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له، ولذا قال الطبرى كما حكاه عنه في فتح الباري: **لأن ذلك لم يكن لعوز وضيق، بل تارة للإيثار، وتارة لكراهية الشبع وكثرة الأكل.**

فكان ﷺ لايأخذ مما آتاه الله ﷻ إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله ﷻ.

{ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَاعَةٍ لا يَخْرُجُ فِيهَا وَلا يَلْقَاهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ: خَرَجْتُ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ

---

٢٣٣ سنن الترمذي وأبي داود عن صخر الغامدي رضي الله عنه
٢٣٤ الآداب للبيهقي ومصنف عبد الرزاق
٢٣٥ معجم الطبراني عن أنس رضي الله عنه
٢٣٦ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي إمامة رضي الله عنه

فَانْطَلَقُوا إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ رَجُلا كَثِيرَ النَّخْلِ وَالشَّاءِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالُوا لامْرَأَتِهِ: أَيْنَ صَاحِبُكِ؟ فَقَالَتْ: انْطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ بِقِرْبَةٍ يَزْعَبُهَا، فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَاءَ يَلْتَزِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُفَدِّيهِ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى حَدِيقَتِهِ فَبَسَطَ لَهُمْ بِسَاطًا، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى نَخْلَةٍ، فَجَاءَ بِقِنْوٍ فَوَضَعَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَفَلا تَنَقَّيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا، أَوْ قَالَ: تَخَيَّرُوا مِنْ رُطَبِهِ وَبُسْرِهِ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ }[٢٣٧].

وهذا ما تجده في قول الله: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرۡعَوۡا۟ أَنۡعَـٰمَكُمۡ ﴾ (٥٤طه) كُل وراعي هذه النعم، وكيف أرعاها؟ بشكر الإله:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بشكر الإله ... فإن الإله شديد النقم

{ فَانْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ لِيَصْنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقًا أَوْ جَدْيًا فَأَتَاهُمْ بِهَا، فَأَكَلُوا }[٢٣٨].

لماذا كان يجوع النبي ﷺ؟ حتى يُعلِّم أصحابه وأحبابه وأتباعه عبادة الجوع، وهل الجوع عبادة؟ نعم، فلا يستطيع أحدٌ أن يملك الدنيا بما فيها إلا إذا زهد فيها، ولا يزهد

---

٢٣٧ سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٣٨ سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتمام الحديث لفائدة فيه عظيمة:{ فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ لَكَ خَادِمٌ، قَالَ: لا، قَالَ: فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ فَأْتِنَا، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْتَرْ مِنْهُمَا، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْتَرْ لِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ خُذْ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفًا، فَانْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: مَا أَنْتَ بِبَالِغٍ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلا أَنْ تَعْتِقَهُ، قَالَ: فَهُوَ عَتِيقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلا خَلِيفَةً إِلا وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبَالا، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ }

فيها إلا إذا زهدت بطنه فيما هو فيها، وهذه هي العبرة، فكان ﷺ يجوع ليعلِّمهم أن هذا هو جهاد النفس الأول، وفى الأثر المشهور:

{ ياعائشة داومي قَرْعَ بَابِ الجَنَّةِ، قالت: بماذا ؟ قال : بِالجُوعِ }[٢٣٩].

وقد قيل: " إذا ذهبت البطنة جاءت الحكمة، وإذا إمتلأت المعدة خرجت الحكمة "، والإمام على ﷺ يقول في ذلك: " ما شبعت بطنٌ إلا همَّ صاحبها بمعصية " إذا الدم جرى في العروق والشرايين بعد الأكل يُفكر في أى شهوة يقضيها، وفي أى هوى ينفذه، ولذلك درَّب ﷺ أصحابه على الجوع.

ويمكن أن أقول لكم حديثاً قد تسمعونه ولا تدركون أساسه، فيروى بعض كُتَّاب السيرة أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يضع الحجر على بطنه من شدة الجوع، الأئمة الكرام حرروا الأمر ــ واللغة العربية كانت في بدايتها تُكتب بغير نقط، فتوصل إمامٌ من هؤلاء الأئمة الفحول إلى أن الكلمة هنا: كان يضع الحُجز، والحُجز يعني الرباط أو الحزام الذى كان يربطه العرب على أوساطهم، وكانت كلمة الحجز مثل كلمة الحجر لأنه كان لا يوجد نقط على الحروف، لكنه ﷺ لم يكن يضع الحجر، لماذا؟ لأنه كان يقول:

{ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[٢٤٠]

فكيف يربط الحجر من شدة الجوع؟!

ليس عنده جوع لأن الله ﷻ يطعمه ويسقيه، الله ﷻ تولاه، ومن تولاه مولاه كفاه، وبقوته ﷻ غذَّاه ونمَّاه، فكيف يحتاج إلى غذاء الناس؟!

ولذلك قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: والله ما أكل ﷺ إلا لنا، ليعلِّمنا كيف نأكل، وما شرب ﷺ إلا لنا ليعلِّمنا كيف نشرب، وما نام ﷺ إلا لنا ليعلِّمنا كيف ننام، لأنه ﷺ كانت تنام عينه ولا ينام قلبه، ولكنه كان يعلمنا الآداب الربانية في هذه الأحوال

---

٢٣٩ ورد فى الإحياء، ولم يجد العراقى له أصلاً، فهو أثر اشتهر بأنه حديث وليس بكذلك، وكذا فى كشف الخفاء.
٢٤٠ البخاري ومسلم ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

التي كان عليها صلوات ربي وتسليماته عليه.

كان ﷺ يأكل ما وجد، وكان أكثر ما يوجد في بيته التمر والماء، فأحياناً يأكل التمر والماء، وأحياناً يأكل خبزاً جافاً، وأحياناً يأكل الخبز ومعه إدام – يعني غُموس –.

وأحياناً كان يُتحفه جيرانه من الأنصار ببعض اللبن، وأحياناً كان يتحفه غيرهم ببعض الطعام، بل إن رجلاً من الأنصار وحده وهو سيدنا سعد بن معاذ ﷺ كان يرسل للنبي ﷺ في كل يومٍ وعاءاً من طعام، وكان يحمل هذا الوعاء أربعة رجال فيه ثريد ولحم، وكان يرسله سعد بن معاذ لأضياف رسول الله ﷺ، غير بقية الأنصار وغير من حوله من الجيران، وغير ما فتح الله عليه مما كان يأتيه من البلدان، لكنه ﷺ علَّمهم أمراً يا ليتنا نقيم عليه الآن، يقول سيدنا أنس ﷺ:

{ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ غَدَاءٌ وَلا عَشَاءٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ إِلا عَلَى ضَفَفٍ }[241]

وضفف أي ضيفان، ومع الضيفان يُعطي نفسه حقها من اللحم، ويكرمها في وسط هؤلاء الضيفان، فإذا لم يكن ضيفان فالجهاد الذي به تتربَّى الأفراد حتى ينالوا الفتح من رب العباد ﷻ، وجهاد النفس أوله الطعام والشراب: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (٣١الأعراف) وهذا أول جهاد، وهذه تحتاج إلى جهاد ليس له نهاية، حتى تتحقق بالعمل بهذه الآية للمرء العناية من الله ﷻ.

فكان ﷺ يأكل طعاماً إذا وجد، فإن لم يجد طعاماً يقول: نويت الصيام، وأنتم تعلمون أن نية صيام النفل تصِّح في النهار، ولكن صيام رمضان لا بد من النية قبل آذان الفجر لقول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلا صِيَامَ لَهُ }[242]

أما صيام النوافل فيجوز في أى وقت من النهار أني أنوى الصيام، ويجوز لمن صام نافلة أيضاً أن يفطر في أى وقت من النهار، لقوله ﷺ:

---
٢٤١ مسند أحمد وصحيح ابن حبان
٢٤٢ سنن الترمذي وأبي داود عن حفصة بنت عمر رضي الله عنها

{ الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ }[243]

ولم يكن ﷺ يُقيد نفسه بنوع واحد فقط من الطعام، كما لم يقيد نفسه كما قلنا قبل ذلك بنوع واحد من الثياب، يترك لنفسه السعة، أكل كل الأصناف التي تخطر على بالك وعلى غير بالك، ما دامت من حلال وأحلها الله ﷻ في كتابه ﷻ.

فكان ﷺ يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، وكان ﷺ لا يتورع عن مطعم حلال، إن وجد تمرا دون خبز أكله، وإن وجد لحماً مشويًّا أكله، وإن وجد خبز برٍّ أكله، أو شعير أكله، وإن وجد حلوى أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز أكله واكتفى به، وإن وجد بطِّيخا أو رطباً أكله.

أكل كل أنواع اللحوم، فأكل ﷺ لحم حمار الوحش، وأكل ﷺ لحم الضأن، وأكل ﷺ لحم الجمال سفراً وحضراً، وأكل ﷺ لحم الأرنب، وأكل ﷺ من دواب البحر، وأكل ﷺ القديد (وهو اللحم الجاف)، وكان ﷺ إذا أكل اللحم لم يخفض رأسه إليه بل يرفعه إلى فيه ثم ينهشه انتهاشاً[244]. وأكل ﷺ اللحم المشوى، وأكل اللحم المسلوق، وأكل اللحم المطبوخ، وكل هذه الأنواع وما استجد منها وما تطور منها، ليس فيه شيءٌ مادام اللحم من حلال، ومادامت هذه الطريقة التي يُصنَّع بها من حلال.

وكان يحب تطييب الطعام بما تيسر وسهل، وأن ذلك لا ينافي الزهد، ولذلك رجل من أصحاب رسول الله هو أبو موسى الأشعرى ﷺ دعا جماعة على طعام:

{ فَقُدِّمَ طَعَامُهُ، وَقُدِّمَ فِي طَعَامِهِ لَحْمُ دَجَاجٍ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ مَوْلًى فَلَمْ يَدْنُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: ادْنُ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ مِنْهُ }[245]

وبعض الشيعة في العراق لا يأكلون الأرانب، مع أنه ورد أن رسول الله ﷺ أكل

---

٢٤٣ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أم هانيء رضي الله عنها

٢٤٤ نهاية الأرب في فنون الأدب: طعام اليد الثريد، وطعام اليدين الشواء لأنه ينهش نهشاً.أهـ (أى يمسك باليدين ويقضم بالفم لأنهم كانوا ينضجون اللحم بالشواء شاة كاملة أو قطعا كبيرة، و المرق كذلك، فيمسكوا القطعة باليدين معا أو بواحدة أحيانا ثم يقضمون منه بأفواههم فهذا هو النهش، فقطع اللحم الصغيرة كانت عند (تقديد) تجفيف اللحم.

٢٤٥ سنن النسائي والدارمي عن عبد الله بن قيس ﷺ

لحم الأرانب، وأكل الأغنام، ورسول الله ﷺ كان يأكل لحم الدجاج والطير الذي يصاد، وكان لا يشتريه ولا يصيده، ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله.

فرسول الله ﷺ أكل من الأصناف التي نراها حولنا وأحلها الشرع الشريف لنا، لأنه ﷺ هو الشارع والمشرِّع لنا بهديه وحاله وفعاله لأمته صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان إذا عافَّ طعاماً يقول: أجدني أعافُّه، لا يحرمه ولكنه لا يجد قابلية لهذا الطعام، أحلَّ لنا الجراد وقال لنا:{ **أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ، الْحُوتُ وَالْجَرَادُ** }[٢٤٦]، لكنه كان عندما يُقدَّم له الجراد يقول:{ **لا آكُلُهُ، وَلا أُحَرِّمُهُ** }[٢٤٧]، لكنه لا يتغير ولا يصدر منه كلمة نابية ولا كلمة هاذية، وكل ما يقوله: أجدني أعافه، وكان قومه يأكلون بعض الزواحف ومنها ما يُسمى بالضبِّ وكان يعيش في الجبال والصحراء كالسحالى، لكنه كان يقول: { **لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ** }[٢٤٨]، وكان ﷺ : { **يَكْرَهُ مِنَ الشَّاةِ سَبْعًا: الدَّمَ، وَالْمَرَارَ، وَالذَّكَرَ، وَالأُنْثَيَيْنِ، وَالْحَيَا، وَالْغُدَّةَ، وَالْمَثَانَةَ** }[٢٤٩].

وكان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد ولا الكليتين، وكان ﷺ يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما، وكان ﷺ لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيه وأنه يكلم جبريل، وما ذم ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَبِيِّ ﷺ شِبَعاً قَطُّ }{ وإنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه، فإن أطعموه أكل، وما أطعموه قبل وما سقوه شرب}{ وكان ﷺ ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه

---

٢٤٦ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنه

٢٤٧ سنن أبي داود وابن ماجة عن سلمان رضي الله عنه

٢٤٨ الصحيحين البخاري ومسلم عن خالد بن الوليد رضي الله عنه

٢٤٩ سنن البيهقي ومصنف عبد الرزاق

أو يشـرب ﴾[250]

وعنها رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجِيءُ وَيَقُولُ:

﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ غَدَاءٌ؟ فَنَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَأَتَانَا يَوْمًا وَقَدْ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ – تمرمع سمن مع بقايا اللبن أو الدقيق فيدلك الجميع حتى يختلط - فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ، قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ أُرِيدُ الصَّوْمَ فَأَكَلَ ﴾[251]

وكان النَّبِيُّ ﷺ:

﴿ إِذَا أُتِيَ بِالشَّيْءِ سَأَلَ عَنْهُ أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَإِنْ قَالُوا: هَدِيَّةٌ مَدَّ يَدَهُ، وَإِنْ قَالُوا: صَدَقَةٌ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: خُذُوا ﴾[252].

وكان ﷺ يحب الذراع (من اليد إلى المرفق)، والسيدة عائشة رضي الله عنها عللت ذلك فقالت: لأن الرسول ﷺ كان لا يأكل اللحم كثيراً، وكان أول ما ينضج من اللحم الذراع.

وكان ﷺ حذراً في كل أموره، فعندما أهدته اليهودية بشاة وكانت تعرف أنه يحبُّ الذراع، وقدمت اليهودية له الذراع مسمومة، فقال لهم ﷺ:

﴿ ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الذِّرَاعَ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ﴾[253]

ولذا لم يأكل منها، والرواية التي تروي أنه أكل منها في صحتها أقوال للعلماء قالوا لأنها أخبرته أنها مسمومة فلم يأكل منها، وكان بعد ذلك صلوات ربي وتسليماته عليه أيضاً يعلمنا الحذر – عند مقتضاه – فإذا قدَّم له أحدٌ طعاماً هدية، فلا يأكل منه حتى يأكل منه أولاً صاحب الطعام:﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (٧١النساء).

---

٢٥٠ طبقات الشافعية الكبرى ونور اليقين. وغيرها وهى جملة أحاديث واردة عن عائشة رضى الله عنهما.
٢٥١ صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجة
٢٥٢ مسند أحمد والبيهقي عن معاوية القشيري رضي الله عنه
٢٥٣ الطبقات الكبرى لابن سعد عن جابر رضي الله عنه

أكل النبي ﷺ خبز الشعير: وأرجعنا العلم وأرجعتنا الأمراض إلى خبز الشعير الذي كان عليه البشير النذير ﷺ، فلم يأكل خبز بُرٍّ أو قمح إلا قليلاً، وإنما كان خبزه هو الشعير صلوات ربي وتسليماته عليه.

كيف كانت طريقة أكله؟

كان ﷺ يقول:{ **إِنَّ مِنْ بَرَكَةِ الطَّعَامِ الْوُضُوءَ قَبْلَهُ، وَالْوُضُوءَ بَعْدَهُ** }[٢٥٤]

والوضوء هنا هو غسل اليدين بالماء قبل الطعام وبعد الطعام، ويجلس، ولم يجلس ﷺ زهداً وورعاً لظروف عصره على شيء عال كالمنضدة الآن، وإنما كان يأكل على ما يُسمى بالسفرة، وهي الفرشة التي تقدَّم على الأرض، والناس الآن يعتبرون أن السفرة هي المنضدة، وهي شيءٌ آخر وليس فيها مانع.

النبي ﷺ كان في زمانه الناس في فاقة، فمشي على قدر أهل الفاقة، لكن وُجدنا في زمان زاد الخير فيه، فلا مانع أبداً، ولكن نزيد في الشكر لرب العباد ﷻ، فكلما زادت الخيرات كلما زدنا في الشكر لواهب هذه الخيرات والبركات ﷻ.

وكان ﷺ يجلس على السفرة ويمنع الأكل والإنسان نائمٌ سواءاً على ظهره أو على بطنه إلا للضرورة، والضرورة يعني مرض، لكن في الظروف الطبيعية لا يجوز، وأظن هذا أيضاً يتنافي مع قواعد علم الصحة، لأن الصحة تحتاج أن يأكل الإنسان وهو جالس،، ويبدأ النبي ﷺ الطعام كما علَّم الصبي: { **يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ** }[٢٥٥]، إذا كان الطعام كله سواء فلا أمد يدي لأمام من هو جالس أمامي، وآكل مما أمامي، ولكن بالنسبة للفاكهة بالذات كان يعمل ﷺ بقول الله فى سورة الواقعة: { وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ }.

في الطعام العادي كان يأكل مما يليه، وفي الفاكهة يتخير منها، ولا يضع النوى في

---

٢٥٤ الحاكم في المستدرك وسنن الترمذي عن سلمان ﷺ
٢٥٥ الصحيحين البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة ﷺ

نفس الطبق، وأظن أنها حكمة عالية لأن النوى قد يحمل جراثيم من الفم، لأن الفم موضع الجراثيم في الجسم، فإذا وُضع في نفس الطبق ينقل الجراثيم إلى هذا الطعام.

وإذا كان ﷺ في جمع يأمرهم أن لا يبدأوا حتى يبدأ كبيرهم، ويقول لهم: **{ فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ }**[256]، وينهاهم عن البدء حتى يبدأ، وفي ذات مرة أراد رجلٌ أن يبدأ بالطعام قبل بدايته، فأمسك بيده وقال: **{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ الَّذِي لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ }**.[257]

فإذا كان جمع لا نبدأ الطعام حتى يبدأ الكبير، كما كان هدى البشير النذير ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إذا وضعت المائدة قال:

{ بِسْمِ اللهِ }{ اجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً تَصِلُ بِها نِعْمَةَ الْجَنَّةِ }[258].

وكان ﷺ إذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامٌ يَقُولُ:**{ بِسْمِ اللَّهِ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ }**[259]

وكان ﷺ إذا رفعت مائدته قال: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ، وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا }**[260]

وإذا فرغ من طعامه قال: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ }**.[261]

وكان ﷺ إذا أكل أو شرب قال: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا }**[262]

---

٢٥٦ سنن أبي داود وابن ماجة عن وحشي بن حرب رضي الله عنه

٢٥٧ سنن أبي داود ومسند أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

٢٥٨ الإحياء ونور اليقين وطبقات الشافعية الكبرى. وحديث التسمية معلوم، أما { إجعلها نعمة مشكورة .} فلم يقع العراقى على تخريجها ، وقال الرمهرمزى فى (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) من كلام الحسين بن على.

٢٥٩ مسند الإمام أحمد

٢٦٠ عمل اليوم والليلة لابن السني والبخاري ومسند أحمد عن أبي إمامة رضي الله عنه

٢٦١ سنن الترمذي وأبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٢٦٢ سنن أبي داود وصحيح ابن حبان عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

وعن أبي أيوب ﷺ قال: { كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَرَّب طَعَامًا، فَلَمْ أَرَ طَعَامًا كَانَ أَعْظَمَ بركَةً مِنْهُ أَوَّلَ مَا أَكَلْنَا، وَلا أَقَلَّ بركَةً فِي آخِرِه، قُلْنَا: كَيْفَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لأَنَّا ذَكَرْنَا اسْمَ اللَّهِ ﷻ حِينَ أَكَلْنَا، ثُمَّ قَعَدَ بعْدُ مَنْ أَكَلَ وَلَمْ يُسَمِّ، فَأَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ }[263]

وعن عائشة ﷺقالت:{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ الطَّعَامَ فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ }[264]، وقالت: قال ﷺ:

{ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ }[265]

وكان ﷺ إذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلاً، وروي عنه ﷺ أنه قال: { إِذَا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ فَلا يَقُومُ رَجُلٌ حَتَّى تُرْفَعَ الْمَائِدَةُ، وَلا يَرْفَعُ يَدَهُ، وَإِنْ شَبِعَ حَتَّى يَفْرُغَ الْقَوْمُ، وَلْيُعْذِرْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُخْجِلُ جَلِيسَهُ فَيَقْبِضُ يَدَهُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الطَّعَامِ حَاجَةٌ }[266]، وقال: { إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا }[267]

وكان رسول الله ﷺ إذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم، فكان يقول: { اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ }[268].

وكان يقول إذا كانوا صائمين: { أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ

---

٢٦٣ مسند أحمدوشرح السنة
٢٦٤ سنن الترمذي وابن ماجة
٢٦٥ سنن لترمذي وأبي داود
٢٦٦ سنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمر ﷺ
٢٦٧ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أنس ﷺ
٢٦٨ سنن الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن بسر ﷺ

الأبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلائِكَةُ }[269]

وكان سيدي أحمد البدوى ﷺ يدعوا بعد الأكل لأهل الطعام فيقول:

" **اللهم هنِّي آكليه، واخلف على باذليه، واطرح لنا البركة فيه** " فلا مانع من أن ندعو به لأننا ندعو لله ﷻ، المهم أن تدعو لصاحب الطعام بدعاء جامع.

وكان ﷺ لا ينفخ في الطعام الحار، ولا يأكله حتى يبرد، فقد ورد:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الطَّعَامِ الْحَارِّ حَتَّى يَبْرُدَ} [270]، وقال ﷺ: **{ أَبْرِدُوا الطَّعَامَ فَإِنَّ الْحَارَّ لا بَرَكَةَ فِيهِ }**[271]

وهذا من الإعجاز النبوي، فقد علمنا أن هواء الزفير هو الذي يخرج في النفخ، وهذا الهواء كله ميكروبات، فإذا نفخنا في الطعام ليبرد ملأناه جراثيم وميكروبات، ولذا أمرنا النبي ﷺ أن نتركه حتى يبرد، أى يبرد تلقائياً.

وإذا أكلنا الطعام حاراً ساخناً أضرَّ بالجهاز الهضمي كله، بداية من الأسنان، فكان ﷺ لا ينفخ في الطعام، ولا يأكل الطعام حاراً.

وإذا كان في الطعام لحمٌ أمر أحد الحاضرين بالتقسيم والتوزيع، وفى الأثر: **{ يد الموزِّع - أو المفرق - في الجنة }**، لماذا التوزيع؟ لأننا لو تركنا كل واحد يأكل كالبوفيه المفتوح فيوجد من يستحي وقد يكون الطعام قليلاً فلا ينال نصيبه من اللحم مثلاً، ويوجد من يأكل ببطء ولا يستى مع من يأكل بسرعة، لكن أمرنا بأن نوزِّع الطعام على الحاضرين ونُدرب أولادنا وبناتنا على ذلك تطبيقاً لفعل سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وقد سمعت في الفضائيات أن بعض المتشددين أفتى بتحريم البوفيه المفتوح، لأن فيه إهدار للطعام، ولكن الأمر لم يصل للتحريم، لأن التحريم يجب أن يكون فيه نصٌّ في القرآن الكريم، أو في حديث رسول الله ﷺ، لكن إذا كان هذا الطعام يُلقى به فيدخل في دائرة أخرى، والمفروض في هذه الموائد كما يفعل بعض المطاعم والفنادق الكبيرة، يتفقون

---

٢٦٩ سنن أبي داود ومسند أحمدعن أنس ﷺ

٢٧٠ معجم ابن الأعرابي عن معاوية بن حديج ﷺ

٢٧١ المطالب العالية لابن حجر

مع بنك الطعام، باقي الطعام يقومون بحفظه ويعطونه لبنك الطعام يوزعه على الفقراء والمساكين، وبالتالي ليست هناك قضية لأن الطعام المتبقي ذهب لموضعه.

لكن أحرَّم كل شيء بهذه الطريقة فهذا هو الذي أضاع كثيراً من المؤمنين، وهو الذي عقَّد الناس في زماننا هذا من الدين، لأن كل شيء يقولون فيه: هذا حلال وهذا حرام، الذي يحلل ويحرِّم هو النبي ﷺ، وغير النبي ليس من شأنه التحليل ولا التحريم، هو فقط يردد قول النبي، لكن الحلال والحرمة لله ﷻ وللنبي ﷺ.

لكن ربما يكون هذا البوفيه المفتوح عند بعض الناس فيه توفير، لأن كل واحد يأخذ في طبق كما في أصوله ــ البروتوكول ــ لما يأكله بحيث أن لا يفيض منه شيئاً وهذا هو المطلوب، والطريقة الشنيعة الأخرى فهي خارج أساس هذا البروتوكول، فليس لنا شأنٌ بها لأننا نحكم بحسب القواعد التي تمّ بها عمل هذا البروتوكول أو هذا القانون، وكل واحد يأخذ ما يغذيه وما يكفيه.

ودائماً الأمر الطبيعي أن الإنسان إذا رأى طعاماً كثيراً يحدث عنده زهدٌ فيه، وكان هذا من ضمن أهداف هذا البروتوكول، وإذا وجد أمامه طعاماً قليلاً تُفتح الشهية أكثر، ويريد أن يستزيد من هذا الطعام، وقد كان رسول الله ﷺ يأمر بتوزيع اللحم على الحاضرين فيكون لكل نصيبه، وعلينا بعد ذلك فقط أن نأكل ونشكر الله ﷻ على هذه النعم التي أنعم الله ﷻ بها علينا.

هديه ﷺ في الشراب

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها عن شراب النبي ﷺ:

{ كَانَ أَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحُلْوَ الْبَارِدَ } [٢٧٢]

فكان أحياناً يشرب العسل، وأحياناً يشرب اللبن، وأحياناً يشرب العسل مع اللبن، وأحياناً كان يشرب العسل مع الماء، وكان ﷺ من دأبه كما ورد في الطب النبوي كل يوم بعد صلاة الفجر يأتي بكوب ماء ويضع فيه ملعقة عسل ويشربه، كوب من الماء

٢٧٢ سنن الترمذي ومسند أحمد

ومعه ملعقة عسل نحل كبيرة على أن تكون المياه غير مثلجة، لأن المياه ستترل للمعدة في أول اليوم فلا ينبغي أن تكون مثلجة، وتكون مياه عادية.

وكان ﷺ يمصُّ الماء ويقول لأصحابه:

{ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمُصَّ مَصًّا، وَلا يَعُبُّ عَبًّا فَإِنَّ الْكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ } [٢٧٣]

فالكباد أى وجع الكبد له علاقة قوية بعبِّ المياه –أى شربه دفعة واحدة– وخاصة المثلجة، والكثير من مشاكل أهل الكبد في عصرنا قد تعود إلى أن أحدنا يعرق عرقاً غزيراً ويدخل ولا يصبر حتى يهدأ جسمه ويشرب ماءاً مثلجاً وجسمه ساخن، فيؤثر هذا الخفض المفاجيء لحرارة الجسم الباطنة على أعضاء كثيرة ومنها الكبد، هذا لأنه خالف هدى النبي المختار ﷺ.

فقد كان ﷺ يأمر بمصِّ الماء عند الشرب، ومصِّ الماء أى يشربه مثل المصاصة بلطف، وعلى ثلاث دفعات وكل مرة يقول عند إبتدائها: بسم الله وبعدها الحمد لله، وكان لا يتنفس في الإناء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاثًا، وَيَقُولُ: إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ } [٢٧٤]، وكان أحيانا إذا شرب تنفس مرتين، وربما كان يشرب بنفس واحد[٢٧٥] حتى يفرغ، وكان ﷺ : **{ إِذَا أَدْنَى الإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَّى اللَّهَ، فَإِذَا أَخَّرَهُ حَمِدَ اللَّهَ، يَفْعَلُ بِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ }**[٢٧٦]، وربما يقول في الثالثة: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَالِحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا }**[٢٧٧].**{ وكان ﷺ يَسْتَقِي لَهُ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنْ بِئْرِ السُّقْيَا}** [٢٧٨]، وفي رواية: **{يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا**

---

٢٧٣ سنن البيهقي والجامع لمعمر بن راشد
٢٧٤ صحيح مسلم وسنن أبي داود
٢٧٥ تنفس مرتين للحديث {كَانَ إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ مَرَّتَيْنِ» (ت هـ) عن ابن رضي الله عنه، زبنفس واحد للحديث {إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَشْرَبْ بِنَفَسٍ وَاحِدٍ» (ك) عن أبي قَتَادَةَ رضيَ اللّهُ عنه (ز)، وبنفس واحد يحمل على عدم التنفس فى الإناء ولإباحة الشرب فىبنفس واحد أو نفسين خارج الإناء والوسعة رحمة للأمة.
٢٧٦ معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٧٧ شعب الإيمان للبيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم
٢٧٨ مسند أبي يعلي الموصلي عن عائشة رضي الله عنها

}[279].

وفى زاد المعاد لابن القيم: **"ولم يكن رسول الله ﷺ يشرب على طعامه لئلا يفسده، ولا سيما إن كان الماء حاراً أو بارداً فإنه رديء جداً ".**

و{ كَانَ لَهُ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ بِاللَّيْلِ }[280]، **{ وكان لرسول الله ﷺ مطهرة من فخار يتوضأ ويشرب منها، فكان الناس يرسلون أولادهم الصغار الذين عقلوا فيدخلون عليه ﷺ فلا يدفعون فإذا وجدوا في المطهرة ماءاً شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسامهم يبتغون بذلك البركة }**[281]، **و { كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَهُ خَدَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَىٰ بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ }**[282] **، و{ كَانَ يَبْعَثُ إِلَى الْمَطَاهِرِ فَيُؤْتَىٰ بِالْمَاءِ فَيَشْرَبُهُ يَرْجُو بَرَكَةَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ}**[283]، **{ وكان احبَّ الشراب له ﷺ الحلو البارد }**[284]

وكان يدفع فضل سؤره (ما يبقى من شرابه) إلى من على يمينه، فإن كان من على يساره أجلَّ رتبة قال للذي على يمينه: السُنَّة أن تُعطى فإن أحببت آثرته، روى ابن عباس قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمينه وخالد على شماله، فقال ﷺ:

{ الشَّرْبَةُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِداً، فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِسُؤْرِكَ عَلَيَّ أَحَداً، ثم قال ﷺ: مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَاماً فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْراً مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَناً فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيءٌ

---

٢٧٩ سنن أبي داود وصحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها
٢٨٠ (د ن ك) عن أميمة بنت رقيقة رضَي اللَّهُ عنهَا.
٢٨١ إحياء علوم الدين وطبقات الشافعية الكبرى
٢٨٢ (حم م) عن أنس
٢٨٣ (طس حل) عن ابنِ عُمَرَ
٢٨٤ عن عائشة سنن النسائى الكبرى

يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ ﴾[285]

وكان ﷺ يشرب قاعداً وكان ذلك عادته ﷺ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: ﴿ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾[286]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ شَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا وَقَاعِدًا﴾[287]، وكان ﷺ: ﴿ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُتْحِفَ الرَّجُلَ بِتُحْفَةٍ سَقَاهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ﴾[288]، وكان ﷺ يحمل ماء زمزم.

وكان ﷺ لا يشرب الماء إلا بعد تناول الطعام بما يعادل في زماننا ساعتين، وفى الأثر الذى يؤيده العلم الحديث: ﴿ لا تجعلوا آخر زادكم ماءاً ﴾، لا تجعل آخر شيء هو الماء، فالإنسان عندما ينتهي وتستعد المعدة لهضم الطعام وتفرز عصاراتها الهاضمة إن كانت منها أو من الصفراء أو البنكرياس أو غيره بحسب ما أكل الإنسان، فإذا نزل الماء بعد الأكل وقدى بدأ الهضم ! خفَّف الماء هذه العصارات وأصاب الإنسان بمرض سوء الهضم، وهذا يخالف هدى رسول الله ﷺ.

وهذا كان هدى النبي ﷺ في الطعام والشراب.

تلبية الدعوة

وكان ﷺ إذا دُعي يلبي ويقول:

﴿ مَنْ دُعِيَ فَلْيُجِبْ ﴾[289]

وكان ﷺ يلبي حتى الفقراء، فكانت امراة من الأنصار تدعوه هو ورفاقه بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وكان الطعام الذي تصنعه لهم ربما كثيرٌ منا لا يعرفه الآن، طعام اسمه السلق، نحن أكلناه منذ زمن ولكن شبابنا لا يعرفه الآن، وهو نبات عشبي يخرج عندنا في الزراعات، وكانت تدعوهم هذه المرأة عليه بدون لحم أو أي شيء، وكان يجيبها

٢٨٥ مسند أحمد وسنن الترمذي
٢٨٦ صحيح مسلم وسنن الترمذي
٢٨٧ مسند أحمد والنسائي
٢٨٨ حلية الأولياء لأبي نعيم
٢٨٩ سنن أبي داود ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

ﷺ ويذهب لهذه الفقيرة، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ:

{ كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ تَكُونُ الْقَائِلَةُ، وكَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ، فَكَانَتْ تَجْعَلُ فِي مَزْرَعَةٍ لَهَا سِلْقًا، فَكَانَتْ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ تَنْزِعُ أُصُولَ السِّلْقِ، فَتَجْعَلُهُ فِي قِدْرٍ، ثُمَّ تَجْعَلُ عَلَيْهِ قَبْضَةً مِنْ شَعِيرٍ فَتَطْحَنُهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ السِّلْقُ عُرَاقَةً، قَالَ سَهْلٌ: فَكُنَّا نَنْصَرِفُ إِلَيْهَا مِنْ صَلاةِ الْجُمُعَةِ، فَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَرِّبُ ذَلِكَ الطَّعَامَ إِلَيْنَا، فَنَلْعَقُهُ، قَالَ: فَكُنَّا نَتَمَنَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِطَعَامِهَا ذَلِكَ }[٢٩٠]

وكان ﷺ في فتح مكة قد دخل على بنت عمه أم هانئ وكانت دارها بجوار الكعبة وقال:

{ هَلْ عِنْدَكِ مِنْ طَعَامٍ نَأْكُلُهُ؟ فَقَالَتْ: لَيْسَ عِنْدِي إلا كِسَرٌ يَابِسَةٌ، وَإِنِّي لأَسْتَحِي أَنْ أُقَدِّمَهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: هَلُمِّي بِهِنَّ، فَكَسَّرَهُنَّ فِي مَاءٍ، وَجَاءَتْ بِمِلْحٍ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ إِدَامٍ؟ فَقَالَتْ: مَا عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إلا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، فَقَالَ: هَلُمِّيهِ، فَصَبَّهُ عَلَى طَعَامِهِ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ ﷻ ثُمَّ قَالَ: نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ، يَا أُمَّ هَانِئٍ لا يُقْفَرُ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ }[٢٩١]

وكان ﷺ إذا ذهب إلى دعوة وتبعه أحد، يقول لصاحب الضيافة:

{ إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ }[٢٩٢]

يشترط عليه من البداية، وجَاءَ رَجُلٌ قَدْ صَنَعَ طَعَامًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَكَذَا وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ، فقال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَكَذَا، وَأَشَارَ إِلَى عَائِشَةَ، قَالَ: لا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ،

---

٢٩٠ صحيح ابن حبان

٢٩١ معجم الطبراني عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه

٢٩٢ صحيح مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَائِشَةُ فَأَكَلا مِنْ طَعَامِهِ ﴾[٢٩٣].

فكان يشترط عليه أولاً حتى لا يضعه في موضع الحرج.

وكان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده، وكان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ ما كثرت عليه الأيدي، وكان ﷺ يكرر على أضيافه ويعرض عليهم الأكل مراراً.

هديه ﷺ في النوم

كان ﷺ ينام على جنبه الأيمن ذاكراً الله تعالى، وكان يضطجع على يده اليمنى ويضعها تحت خده ثم يقول:

﴿ اللَّهُمَّ قِنَا عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ ﴾[٢٩٤]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ فَنَفَثَ فِيهِمَا، وَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَصْنَعُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ﴾[٢٩٥].

وكان ﷺ يأمر نساءه إذا أرادت إحداهن أن تنام أن تحمد الله ثلاثاً وثلاثين وتسبح ثلاثا وثلاثين وتكبر ثلاثا وثلاثين[٢٩٦]، ويدعو دعاء النوم وينام.

وأدعية النوم كثيرة، وهذه الأدعية التي ذكرناها وغيرها جمعناها في كتاب

---

٢٩٣ سنن الدارمي عن أنس ﷺ

٢٩٤ سنن النسائي ومسند أحمد عن البراء بن عازب ﷺ

٢٩٥ صحيح البخاري وسنن الترمذي

٢٩٦ معرفة الصحابة لابن اسحق

(أذكار الأبرار) وفى كتاب (جامع الأذكار والأوراد) ففيها أدعية منتقاة من أدعية النبي ﷺ في كل هذه المواطن التي ذكرناها والتي لم نذكرها، وينام ﷺ، وكان ﷺ يقول:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلا يَنَامُ قَلْبِي }[٢٩٧]

وكان ينام ﷺ في أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم فيستاك ويتوضأ، ولم يكن ينام فوق القدر المحتاج، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه.

وكان ﷺ لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوَّك، وكان لا ينام إلا والسواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك، وكان ﷺ يستاك في الليل مراراً، ثم ينام في الثلث الأخير ليكون بعد ذلك مستعداً لصلاة الفجر.

لأن صلاة الفجر يقول فيها الله ﷻ:

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (الإسراء)

وكان ﷺ إذا تقلب في فراشه قال:

{ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَاهْدِنِي السَّبِيلَ الأَقْوَمَ }[٢٩٨]

وإذا استيقظ من نومه قال:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[٢٩٩]

وكان ﷺ ينام على الفراش تارة، وعلى الجلد تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وكان فراشه أدماً حشوه ليف.

وكان ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جُنُب غسل فرجه و توضأ للصلاة، وإذا أراد أن يأكل أو يشرب وهو جُنُب غسل يديه ثم يأكل ويشرب، وكان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، ولذلك كان ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلي من غير أن يتوضأ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٢٩٧ مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٩٨ مختصر قيام الليل للمروزي ومسند أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها
٢٩٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه

الباب السادس

بشريته ﷺ وآدابه

الفصل الأول: سمات بشريته

١- معرفة رضاه وسخطه ﷺ

٢- تحريك أعضاءه ﷺ حيث يتكلم أو يتعجب

الفصل الثاني: الآداب

١- آداب النبي ﷺ في الإستئذان

٢- آداب النبي ﷺ في السلام

٣- آدابه ﷺ في المصافحة والمعانقة والتقبيل

٤- آداب جلوسه واتكائه ﷺ

٥- قيامه ﷺ

٦- مشيه ﷺ

الفصل الثالث: مفاتيح فهم حديث الإمام علي رضي الله عنه

أولاً: آداب رسول الله ﷺ إذا دخل منزله

ثانياً: آداب رسول الله ﷺ إذا خرج من منزله وبرز للناس

ثالثاً: مجلسه ﷺ، وصف مجلسه

رابعاً: سيرته ﷺ مع جلسائه وآدابه معهم

خامساً: سيرته ﷺ في سكوته

الفصل الأول: سمات بشريته[300]

الحقيقة أن ما نتحدث به عن سيدنا رسول الله ﷺ يُعتبر كتاب جامع شامل لكل ما يحتاجه الإنسان في نفسه من أدبه مع ربه، ومن وسيلة للفتح والقرب من الله، ومن طريقة سديدة مرضية يصير بها عبداً مقرباً من حضرة الله، وفيه خير الآداب لمن أراد أن يترقى على أعلى الرتب عند الكريم الوهاب، ففيه أدب النبي الكريم مع صحابته، وأدبه الذي علَّم لصحابته، وفيه كل ما يحتاجه المرء في أمور دنياه، أو في تحقيق مراده عند مولاه جل في علاه.

ومما يدعوا لعظيم العجب ما رأيناه من سلفنا الصالح، وساداتنا المتقين والمقربين في تشبههم بكل الحركات والسكنات الظاهرة والباطنة على قدرهم بسيد الأولين والآخرين ﷺ.والصالحون والمقربون يعلمون علم اليقين أن سيدنا رسول الله ﷺ ظاهره البشرية، وباطنه صورة ربانية نورانية، وجعل الله ﷻ ظاهره صورة بشرية حتى يستطيعون الاقتداء به في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده وجلوسه ونومه وأكله وشربه وغيرها من أمور الحياة التي يحتاج الإنسان فيها أن يتشبه بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

معرفة رضاه وسخطه ﷺ

وجعله الله ﷻ صورة كاملة ليكون للمؤمنين أجمعين وحدة؛ حتى في حركاتهم الظاهرة؛ حتى في ظهور مشاعرهم على وجوههم؛ حتى في الحركات التي تظهر منهم عند رضاهم أو سخطهم أو غضبهم، فوحَّد الله ﷻ هذه المشاعر وجعلهم يقتدون فيها بنبيهم ﷺ، فكان ﷺ كما قال سيدنا كعب بن مالك ﷺ:

---

300 المعادي – الخميس ٢ من رجب ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٥/١م

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ دَارَةُ الْقَمَرِ ﴾[301]

أي الهالة التي حول القمرمن شدة سروره وانبساطه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان إذا غضب يظهر الغضب في وجهه، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَضِبَ احْمَرَّ وَجْهُهُ ﴾[302]

وعن سعيد الخدري ﷺ قال: **﴿ كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا، عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ﴾**[303]

وهذا ميزان المؤمن، فلا يزيد في الغضب عن ذلك، كما لا يزيد في الانبساط عن ذلك، لأن ميزانه حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وحتى نعلم علم اليقين ما مبعث غضبه ﷺ قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

﴿ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ ﴾[304]

فمثلاً: كان ﷺ يوزع الغنائم، فجاءه رجل وقال: اعدل يارسول الله، فقال ﷺ:

﴿ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ﴾[305]

ولم يزد عن ذلك، فلم يقابل اللفظ باللفظ، ولم يطلب من غيره أن يرد عنه إساءته في هذا اللفظ؛ لأنه ﷺ كان لا يغضب لنفسه، وإنما غضبه لربه ﷻ.

كيف كان يظهر الغضب في وجهه ﷺ؟ كان ﷺ مقوس الحواجب، غير أنهما غير متواصلين، فكان بينهما عرق يضرب بشدة ويظهر إذا اشتد غضبه ﷺ، ويحمر وجهه.

ونحن نعلم أن الإنسان إذا غضب فإن النفس تُترجم هذا الغضب إلى أفعال تفعلها

٣٠١ المعجم الكبير للطبراني
٣٠٢ معجم الطبراني والأنوار في شمائل النبي المختار
٣٠٣ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة
٣٠٤ الصحيحين البخاري ومسلم
٣٠٥ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الجوارح والأعضاء، فكيف كان ﷺ يُترجم غضبه، ويُنفس عنه؟

كان ﷺ إذا اشتد وجْده أكثر من مس لحيته، وأحياناً إذا اشتد وجْده مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فيُعرف بذلك شدة غمه، ليُعلم المؤمنين الطريقة المثلى للتنفيس عن الإنسان في ساعة الغضب، والتي بها يقتدي بسيد الأولين والآخرين، ولا يُغضب الله ﷻ، ولا يزيد عن ذلك شيئاً في غضبه صلوات ربي وتسليماته عليه.

هل نستطيع أن نفعل ذلك؟ إذا ملكنا أنفسنا فنحن إن شاء الله ﷻ بتوفيقه ومَنّه نقدر على ذلك، وإذا فلت زمام أنفسنا فحدّث ولا حرج عما هنالك!.

تحريك أعضاءه ﷺ حيث يتكلم أو يتعجب

وكان ﷺ إذا تكلم لا يسرد كسردنا، وإنما يتكلم بتؤدة وترتيل وتفصيل، كان يُحدّث حديثاً لو عدَّه العاد لعدَّه، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

{ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ }[٣٠٦]، وفي روايةأخرى: **{ كَان النَبِي ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ }**[٣٠٧]

وكان يُكرر كلامه ثلاثاً، ويُكرر السلام إذا ألقاه ثلاثاً، ويُكرر كل أقواله ثلاثاً لتُفهم عنه صلوات ربي وتسليماته عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال:

{ كَانَ النَبِي ﷺ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا }[٣٠٨]

وكان ﷺ يتبسم في حديثه، وقد روى أبن مسعود رضي الله عنه: **{ أن النبي ﷺكان يتبسم }**، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ**

---

٣٠٦ سنن الترمذي والصحيحين البخاري ومسلم
٣٠٧ الصحيحين البخاري ومسلم
٣٠٨ صحيح البخاري وسنن الترمذي

كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ }[309].

وكان ﷺ يرفع بصره إلى السماء إذا حدَّث، وكان ﷺ يطيل الصمت ويقلل الكلام ولا يتكلم بغير حاجة، وكان ﷺ يكني عما يستقبح ذكره، وكان إذا تكلم يُحرك يده، فإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فعن هند بن أبي هالة ﷺ قال:

{ كان رسول الله ﷺ إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَيَضْرِبُ بِبَاطِنِ رَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَاطِنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى }[310].

وإذا زاد عجبه من أمر يُسبح الله (سبحان الله) إن كان هذا الأمر في عالم الُملك أو في عالم الغيب، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ فقال:

{ سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرِ -يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ - حَتَّى يُصَلِّينَ، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ }[311]

خوفاً من هذه الفتن التي رآها في نومه ﷺ.

وكان ﷺ أحيانا يحرك رأسه عند الحديث، ويضرب يده على فخذه عند التعجب، فعن علي ﷺ: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال:

{ أَلا تُصَلِّيَانِ؟، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا }[312]

ولذلك كان السادة الوارثين – ومنهم الإمام أبو العزائم ﷺ – كل رجل منهم كان ضرَّابا على فخذيه، تشبهاً برسول الله ﷺ حتى في هذه الحركات، لأن الإنسان لو لم

---

٣٠٩ { كان يتبسم } أخبار أصبهان عن ابن مسعود، و {إذا تكلم } سنن الدارمي ومعجم الطبراني عن ابن عباس ﷺ.
٣١٠ معجم الطبراني والشمائل المحمدية للترمذي
٣١١ صحيح البخاري وسنن الترمذي
٣١٢ الصحيحين البخاري ومسلم

يرضَ أن يتشبه بحبيب الله ومصطفاه في أي أمر من هذه الأمور؛ فإن هذا لشر وسوء في نفسه، وكان ﷺ أحيانا ينكش الأرض بعود، فعن علي ﵁ قال: { كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ الأَرْضَ بِعُودٍ، فَقَالَ: لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ فُرِغَ مِنْ مَقْعَدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَقَالُوا: أَفَلا نَتَّكِلُ.قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ }[٣١٣]

وكان ﷺ أحياناً يمسح الأرض بيده فعن أبي قتادة قال: سمعت النبى ﷺ يقول:

{ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلْتَمِسْ لِجَنْبِهِ مَضْجَعًا مِنَ النَّارِ " فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَمْسَحُ الأَرْضَ بِيَدِهِ }[٣١٤].

وكان ﷺ يشير بإصبعيه السبابة والوسطى، فعن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

{ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ }[٣١٥] وفي رواية { بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى }[٣١٦]

وكان ﷺ أحياناً يشبك أصابعه فعن أبي موسى ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ }[٣١٧]

فكان هذا الهَدْى هو الذي رأيناه في الصالحين من عباد الله في دقة تشبههم بحبيب الله ومصطفاه، ولعل البعض يقول: وما في هذا الأمر لو تركناه؟ كانوا يقولون: لا تُصغرن من الخير شيئاً لعل رضا الله ﷻ فيه، ولا تحقرن من المعاصي والذنوب شيئاً لعل غضب الله ﷻ فيه،

لا تستقل في شيء مع الله ﷻ، لأن الله ﷻ له أمور يُبديها ولا يبتديها، ولا يعلم أسرارها ولا أنوارها إلا ذائقيها وعارفيها نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

٣١٣ الصحيحين البخاري ومسلم
٣١٤ معرفة السنن والآثار للبيهقي ومسند الشافعي
٣١٥ الصحيحين البخاري ومسلم
٣١٦ صحيح البخاري ومسند أحمد
٣١٧ الصحيحين البخاري ومسلم

وكان ﷺ يستعين بأصابعه، فيقول:

{ أنا وكافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هكَذا، وَأَشارَ بالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى }[318]

وكان يضرب الأمثال، واستقصاء ما رواه من الأمثال يحتاج إلى رسالة ماجستير أو دكتوراه لكثرتها:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت)

ومن جملتها قوله ﷺ:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِن كالنَّحْلَةِ، إِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّبًا، وَإِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ هشٍ لَمْ تَكْسِرْهُ }[319]

أين تقف النحلة؟ على الرياحين والزهور والورود والروائح الطيبة العطرة، وماذا يخرج منها؟ ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (٦٩النحل) كذلك المؤمن لا يقف إلا على المجالس الطيبة، مجلس علم أو مجلس حكمة، أو مجلس قرآن، أو مجلس ذكر، أو مجلس صلح، ولا يخرج من فيه إلا ما يُرضي الناس وما يُرضي خالقه وباريه:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٢٤الحج)

وكذلك المؤمن لو وقف على أي قضية لا يكسرها بل يجبرها ويجبر أهلها والقائمين بها والمتولين شئونها.

هذا كان هَدْى رسول الله ﷺ في بشريته الظاهرة التي ينبغي علينا أجمعين أن نحاول أن نتأسى بها على قدرنا حتى يفتح الله ﷻ علينا بما فتح به على عباد الله الصالحين أجمعين.

الفصل الثاني: الآداب

---

٣١٨ صحيح البخاري وسنن الترمذي عن سهل الساعدي ﷺ

٣١٩ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن عمرو ﷺ

الحبيب المصطفى بلغ ما بلغ به من القرب عند ربه بأدبه مع حضرته، فقد قيل: دخول الجنة بالعمل، والدخول على حضرة الله بالأدب، ولذلك عندما مدح الله حبيبه ومصطفاه في كتاب الله مدحه بحسن سمته وأدبه مع مولاه، فقد عرض عليه جمالات السماوات، وجمالات الجنة، وجمالات العرش والكرسي، وكل الجمالات العلوية، وقال فيه:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (النجم)

لم يلتفت إلى شيء، وحتى لا نظن أنه لم ير قال الله ﷻ:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم)

رأى الآيات الكبرى لكنها لم تشغله عن الكبير المتعال ﷻ.

فبُحسن أدبه ﷺ رُفع مقامه وقدره على جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وغيرهم عند ربه ﷻ.

ولذلك الباب الأعظم الذي ينبغي أن يستمسك به الأحباب المتعرضين لفضل الكريم الوهاب حُسن الأدب، وقد قيل: حُسن الأدب في الظاهر عنوان جمال الباطن.

أنت تزعم أن باطنك جمال وكمال وفيه خوف من الله وخشية لله!!!

ما الذي يدلنا على ذلك؟

حُسنُ أدبك الظاهر مع الله بين يدي خلق الله، ولذلك ينبغي على المريد السعيد أن يتجمل بالأدب الذي كان عليه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

والآداب لسعتها لا نستعرضها بجملتها وإنما نشير إلى ما كان عليه الحبيب في شأنها، فنشير أولاً إلى أدبه ﷺ في الاستئذان.

آداب النبي ﷺ في الإستئذان

فلم يكن ﷺ يستقبل باب مترل بوجهه، بل كان يُقبل من جانب الجدار، أي لا

يواجه الباب، حتى لا يقع نظره فجأة على ما لا يُحب أن يراه، فعن عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه قال:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ مَشَى مَعَ الْجِدَارِ وَلَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ وَلَكِنْ يَقُومُ يَمِينًا وَشِمَالا فَيَسْتَأْذِنُ، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلا رَجَعَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَكُنْ لأَبْوَابِهِمْ سُتُورٌ }[320]

وكان ﷺ يأمر من معه أن يُعلِّمون من لا يُحسن الاستئذان بأدب الاستئذان، اسْتَأْذَنَ رجل من بني عامر عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ: أَأَلِجُ؟، فَقَالَ ﷺ لِخَادِمِ:

{ اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ }[321]

لا كلام قبل السلام، فتعلَّم الرجل، وهذا الأمر نتهاون فيه جميعاً، ونخشى من الناس ولا نخشى من رب الناس عز وجل الذي أمرنا أن نوجِّه إخواننا إلى ما فيه خيرهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

{ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا، فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: أَنَا، أَنَا، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا }[322]

لا بد أن تذكر إسمك كاملاً، وأظن أن هذا الأدب ينبغي علينا جميعاً أن نلاحظه في الهاتف، لو اتصلت برجل ولو كنت تعرفه ويعرفك، ربما يكون نائماً، أو في حالة لا تسمح له بتبين صوتك، فينبغي لمن يتصل أن يقول: أنا فلان الفلانى، أو معك فلان الفلاني من بلدة كذا.

وحتى يُعلِّمنا ﷺ كراهة الوقوف أمام الباب، والكراهة الأعظم النظر من ثقب في الباب؛ يقول سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه:

---

٣٢٠ سنن البيهقي ومسند أحمد
٣٢١ سنن أبي داود ومسند أحمد
٣٢٢ صحيح البخاري وسنن أبي داود

﴿ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى بَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَمَ عَيْنَهُ خُصَاصَةَ الْبَابِ، فَبَصُرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَخَّاهُ بِحَدِيدَةٍ أَوْ عُودٍ لِيَفْقَأَ عَيْنَهُ، فَلَمَّا أَنْ بَصُرَ انْقَمَعَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ ثَبَتَّ لَفَقَأْتُ عَيْنَكَ ﴾[323]

لماذا تتجسس على الناس: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (١٢الحجرات)!

لماذا تنظر إلى عورات غيرك؟!.

وكان ﷺ إذا استأذن يقول: السلام عليكم أنا محمد رسول الله، ويُكررها ثلاث، وبين كل مرة والثانية يصمت ليسمع الرد، فإذا لم يسمع الرد بعد الثلاث يرجع، وقد جاء في أدب الاستئذان شرحاً للثلاث: الأولى يستنصتون، والثانية يستعدون، والثالثة يأذنون أو لا يأذنون.

وكان الأنصار أصحاب أريحية وألمعية ومحبة صادقة لخير البرية، يقول قيس بن سعد بن معاذ رضي الله عنهما:

﴿ زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنْزِلِنَا، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ سَعْدٌ رَدًّا خَفِيًّا، قَالَ قَيْسٌ: فَقُلْتُ: أَلا تَأْذَنُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ذَرْهُ: يُكْثِرُ عَلَيْنَا مِنَ السَّلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ سَعْدُ رَدًّا خَفِيًّا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وقال: قضينا ما علينا، وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ تَسْلِيمَكَ وَأَرُدُّ عَلَيْكَ رَدًّا خَفِيًّا لِتُكْثِرَ عَلَيْنَا مِنَ السَّلامِ ﴾[324]

آداب النبي ﷺ في السلام

وكان ﷺ إذا سلَّم عليه رجل يرد السلام ثم يقول: لبيك – أي إجابة لك – وكان

٣٢٣ سنن النسائي والبيهقي
٣٢٤ سنن أبي داود ومسند أحمد

سلامه كاملاً، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولَّما جاءه اليهود، وهم سبب كل المشاكل في الوجود، فما فيه أمريكا، وما فيه أهل الغرب الآن سببه تغلب اليهود عليهم وسيطرهم على مؤسساهم، فهم معدن الشر في الأرض كلها، فكانوا يأتون الرسول ﷺ ويقولوا: راعناً يا محمد أي أنت أرعن، فظن المؤمنون أنهم يقولون: راعنا أي انظر إلينا، فكانوا يقولون مثلهم، فقال لهم الله ﷻ في القرآن: (١٠٤البقرة)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ ﴾

لا تكونوا مثل هؤلاء القوم أهل الدهاء وأهل المكر وأهل الكيد، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فقال: عليكم، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلا يَا عَائِشَةُ، عَلَيكِ بالرِفْق وإِيَاكِي والفُحْش، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أولم تسمعي ما قلت، أنا رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في }[٣٢٥]

وكان ﷺ يُسلم على الصبيان، ويُسلم على النساء، وهناك جملة من الأحاديث في تسليمه على الصبيان، وتسليمه على النساء، منها ما رُوى عن أنس ﷺ:

{ أنه مر على صبيان فسلَّم عليهم ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ }[٣٢٦].

وعن أسماء بنت يزيد قالت:

{ مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا }[٣٢٧]

وعنها قالت:

---

٣٢٥ الصحيحين البخاري ومسلم
٣٢٦ صحيح مسلم وسنن الترمذي
٣٢٧ سنن أبي داود وابن ماجة

{ أن رسول الله ﷺ مرَّ في المَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ فَأَلْوَى بِيَدِهِ – أشار – بِالتَّسْلِيمِ }[٣٢٨]

وكان ﷺ أحياناً يشير بيده لمن يبعد عنه ولا يبلغه صوته، حتى نعرف أن كل ذلك وارد عن رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ أحياناً يترك رد السلام للعتاب، ونحن نعرف قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا عندما أعلن الرسول ﷺ التوجه إلى بلاد الشام لغزو الروم، وكان ذلك في وقت الحر الشديد، ووقت جني محصول التمر، وتخلف ثلاثة من أصحابه الصادقين، وأشهرهم كعب بن مالك الشاعر، وتخلف آخرون من المنافقين، وبعدما رجع جاءوا يعتذرون، فكذب المنافقون وتركهم ﷺ ولم يعبأ بهم، أما الثلاثة الصادقين فكان يقول أحدهم: يا رسول الله لم أكن في حال أفضل مما كنت فيه في هذه الآنات، في أطيب عيش وأرغد مال وأحسن حال، فيقول ﷺ: أما هؤلاء فقد صدقوا الله ﷻ فأمرهم إلى الله، ثم قال لأصحابه: لا تكلموهم ولا تسلموا عليهم ولا تردوا عليهم السلام ولا تخدمهم نساءهم حتى يأتيهم أمر الله ﷻ.

لماذا فعل ذلك رسول الله ﷺ؟ حتى يظهر فيهم الحال الذي قال فيه الله:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ (١١٨التوبة)

لكنهم لو استمروا معهم على ما كانوا معهم عليه فلن يحسوا بذنبهم، ولن يندموا على ما فعلوا، وهذا السر في أن الحبيب أمر أصحابه أن يتركوهم حتى يرجعوا إلى الصواب.

لذلك أنا أهجر أخي إذا وقع في المعصية ليشعر أنه أذنب فيرجع إلى الله، ويتوب

٣٢٨ سنن الترمذي

ليتوب عليه مولاه ﷻ.

والدليل على صدق هؤلاء القوم أن كعب بن مالك كان يسير يوماً في السوق فنادى عليه رجل وقال: أنا معي لك رسالة من ملك الروم، فأخذها فوجد فيها: بلغني أن نبيك قلاك، فتعال إليَّ تجد المال الوفير، وكذا وكذا، فقال: هذا أيضاً من البلاء الذي أنا فيه، أيصل البلاء أن يطمع فيَّ ملك الروم؟! انظر إلى الصدق!.

فأمر النبي أصحابه ألا يُلقوا عليهم السلام، وكان بينهم اثنين من كبار السن فاعتكفوا في بيوتهم، وكان أحدهما لا يستطيع أن يخدم نفسه فأستأذنوا رسول الله ﷺ أن تخدمه زوجته، فوافق بشرط ألا يقربها، وكان أقواهم كعب بن مالك، وهو الذي كان يتعرض للناس ويلقي السلام ولا يسمع الرد، يقول: كنت آتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟[329] مع أن شرط رد السلام أن يسمع الرد لكن هذا تأديب وتهذيب من الحبيب ﷺ.

كذلك كان ﷺ إذا رأى أمراً من شخص ولم يعجبه لم يرد عليه السلام ، فعن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال:

{ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، وَكَانَ فِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَرِيرٌ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ مَحْزُونًا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ جُبَّتَكَ وَخَاتَمَكَ، فَأَلْقِهِمَا، فَأَلْقَاهُمَا، ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْتُكَ آنِفًا فَأَعْرَضْتَ عَنِّي؟ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ فِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ }[330]

وكان ﷺ من شدة لطفه وأدبه إذا دخل على نائم وهناك مستيقظ يُلقي السلام على المستيقظ بحيث لا يُسمع النائم، أي بصوت خافت.

وكان ﷺ إذا بُلِّغ السلام عن أحد يقول فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال:

---

٣٢٩ الصحيحين البخاري ومسلم

٣٣٠ معجم الطبراني

{ إِنَّ أَبِي يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ السَّلامُ }

هذا كان هَدْى رسول الله ﷺ في السلام.

وأنتم تعلمون أن السلام اختاره له ولنا الله ﷻ:

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ (٤٤الأحزاب)

أما غير ذلك فبعد تقديم سلام الله، لا ينبغي لأحد أن يبدأ بصباح الخير، أو مساء الخير، أو أهلا وسهلاً، أو مرحباً إلا بعد سلام الله، لأن الله قال فيمن قال ذلك من المنافقين: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ (٨المجادلة) نبدأ أولاً بالسلام ثم قل ما شئت بعد ذلك من التحيات، وهذا الأمر يكون في المواجهة أو في الهاتف أو في أي أمر من الأمور، وأحكام السلام موجودة في الكتب الشرعية لمن أراد أن يستزيد فيها.

آدابه ﷺ في المصافحة والمعانقة والتقبيل

وكان من آدابه ﷺ إذا التقى بمسلم صافحه، ويقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا، كَمَا تَتَحَاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ، وَإِلا غُفِرَ لَهُمَا، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ }[331]

وقد ورد أن رجلاً من عنزة قال لأبي ذر ﵁ حَيْثُ سُيِّرَ مِنْ الشَّامِ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبو ذر: إِذًا أُخْبِرُكَ بِهِ إِلا أَنْ يَكُونَ سِرًّا، قُلْتُ: إِنَّهُ لَيْسَ بِسِرٍّ:

{ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَافِحُكُمْ إِذَا لَقِيتُمُوهُ؟ قَالَ: مَا لَقِيتُهُ قَطُّ إِلا صَافَحَنِي، وَبَعَثَ إِلَيَّ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَمْ أَكُنْ فِي أَهْلِي، فَلَمَّا جِئْتُ، أُخْبِرْتُ أَنَّهُ أَرْسَلَ لِي، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ، فَالْتَزَمَنِي –اعتنقني–

٣٣١ المعجم الكبير للطبراني والبيهقي عن سلمان ﵁

فَكَانَتْ تِلْكَ أَجْوَدَ وَأَجْوَدَ"} [332]

أما من يأتي من سفر فكان يعانقه ﷺ، وأحياناً يعانقه ويُقبِّله، جاء سيدنا جعفر بن أبي طالب من بلاد الحبشة، وكان وقت مجيئه تصادف مع فتح خيبر، فقام النبي ﷺ مسرعاً واحتضنه وقبَّله وقال ﷺ:

{ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ } [333]

جعل مجيء جعفر يساوي فتح خيبر، فانظر إلى وقع هذه الكلمة في القلب! حُسن الكلام هو سر هَدْي الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكان ﷺ حتى مع ابنته السيدة فاطمة إذا أتته في مترله يقوم ويحتضنها ويُقبلها ويُجلسها بجواره، وإذا ذهب إليها يزورها تقوم إليه وتحتضنه وتُقبله وتُجلسه بجوارها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ كَانَتْ فاطمة إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا، قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا، فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا } [334]

الإحترام:

حتى مع الإبنة أو الأباء ....

لِيُعلِّمنا أن دين الإسلام هو دين الأدب التام مع الخاص والعام.

هكذا كان الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

آداب جلوسه واتكائه ﷺ

أما آداب جلوسه ﷺ فكان أولاً: يجلس حيث انتهى به المجلس، يدخل فيجلس في

---

٣٣٢ سنن أبي داود ومسند أحمد
٣٣٣ الحاكم في المستدرك والمطالب العالية لابن حجر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
٣٣٤ الحاكم في المستدرك والبيهقي

المكان الخالي، وإذا أرادوا أن يقوموا له يقول لهم:

{ لا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا }[٣٣٥]

وإن كان فسَّر ذلك بعض العلماء العاملين فقالوا: إن القوم يقومون للملوك خوفاً منهم، والرسول ﷺ طلب من أمته ألا تقوم له خوفاً منه، وإنما إذا قامت تقوم توقيراً له، وأدباً له، واحتراماً له، وتبجيلاً له ﷺ، لكن ليس على سبيل الخوف، وليس على سبيل الرهبة، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

قيامي للحبيب عليَّ فرض … وترك الفرض ما هو مستقيم
عجبت لمن له عقل وفهم … يرى هذا الجمال ولا يقوم

وكان ﷺ يأمر أصحابه أن يجلسوا حيث انتهى بهم المجلس، وكان لا يوطِّن المجالس، أي لا يوجد مكان محدد لفرد، ولذلك كرَّه علماء الشريعة توطنة الأماكن حتى في المساجد، فلا يجوز تحديد مكان في المسجد لشخص بعينه ليجلس فيه أو يُصلِّي فيه، لأن هذه الأماكن لله والأولية لمن جاء، وكل من جاء يجلس حيث ينتهي به المجلس، لكن النبي ﷺ علَّمنا الأدب مع الكبار والكرام والغرباء والضيوف، يقول هند بن أبي هالة رضي الله عنه في وصفه للرسول ﷺ:

{ وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ }[٣٣٦]

إذا جاء رجل كريم من قوم يجب إكرامه، فكان ﷺ يراعي ذلك، جاءه سيدنا جرير وكان شيخ قبيلة من اليمن، وكان من الوجهاء، فنظر جرير فلم يجد موضعاً في مجلس رسول الله ﷺ، فجلس قريباً من الباب، فما كان من الحبيب ﷺ إلا أن أمسك بعباءته وقذفها إليه ليجلس عليها، وكان الرجل ذا أدب ووقار فأخذها ومسح بها عينيه ورفض أن يجلس عليها، أدب يقابله أدب لأنهم كانوا جميعاً أهل أدب.

فكان ﷺ يأمرهم أن يُكرموا الغرباء ويؤثروهم، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

---

٣٣٥ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي إمامة رضي الله عنه
٣٣٦ معجم الطبراني والبيهقي

﴿ بينما رَسُولُ اللَّه ﷺ جَالسٌ فِي الْمَسْجِد وَقَدْ أَطَافَ به أَصْحَابُهُ، إِذْ أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ، فَوَقَفَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ مَجْلساً يُشْبِهُهُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فِي وُجُوه أَصْحَابه، أَيُّهُمْ يُوَسِّعُ لَهُ، وكَانَ أَبُو بَكْر جَالساً عَنْ يَمِينِ رَسُول اللَّه ﷺ فَتَزَحْزَحَ لَهُ عَنْ مَجْلسه، وَقَالَ: هَهُنا يَا أَبَا الْحَسَنِ، فَجَلَسَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ أَبِي بَكْر، قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُ السُّرُورَ فِي وَجْه رَسُولِ اللَّه ﷺ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي بَكْر فَقَالَ مُثنياً على هذا العمل، إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لأَهْلِ الْفَضْلِ ذَوُو الْفَضْلِ ﴾[337]

وورد عن رسول الله ﷺ أنه جلس مرة متربعاً، ومرة القرفصاء، ومرة متوركاً كما كان يجلس في الصلاة.

وكان في الطعام يجلس متوركاً كجلسته في الصلاة، وأحياناً كان يجلس محتبياً أي يضع يديه على ركبتيه، أو ثوباً على ركبتيه ... كل هذه الجلسات وردت عن رسول الله، وأحياناً كان يتكئ بوسادة عن يمينه، وأحياناً كان يتكئ بوسادة عن يساره، وأحياناً كان يتكئ على بردته، فالمجال واسع ولا يجب أن نضيق على أنفسنا في هذا المجال، المهم أن نكون كما كان ﷺ، كان لا يقعد ولا يقوم إلا على ذكر الله ﷻ.

قيامه ﷺ

وكان ﷺ إذا قام من وسط أصحابه ويريد أن يُعلمهم أنه سيعود يترك شيئاً في موضعه، كأن يترك حذاءه أو عمامته أو أي شيء معه، فيعلمون أنه ﷺ سيعود.

وكان ﷺ لا ينتهي المجلس إلا دعا لأصحابه، وكان أغلب دعاءه في نهاية المجلس:

﴿ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا،

337 مسند الشهاب ومعجم ابن الأعرابي عن أنس

اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْثَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بذنوبنا من لا يخافك و لا يَرْحَمُنَا }[٣٣٨]

وكان ﷺ أيضاً لا ينتهي من الجلوس في أي مجلس إلا ويقول:**{ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ }**[٣٣٩]

وعندما بدأ بهن لأول مرة قالوا: يا رسول الله كلمات قلتها؟ فقال ﷺ:

{ كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَفَّارَاتٌ لِخَطَايَا الْمَجْلِسِ }[٣٤٠]

فإذا كان الإنسان قد ارتكب بعض الخطايا في المجلس ثم قالهن في ختام المجلس غفر الله ﷻ له كل ذنب ارتكبه في هذا المجلس.

مشيه ﷺ

أما مشيه ﷺ فكان يمشي دائماً وأبداً سريعاً في مشيته، مجتمعاً بجسمه كله، وهي ما نسميه بالمشية المعتادة في عصرنا، من يراه يرى أنه جاداً لا كسلاناً، وكان سيدنا أبو هريرة ﷺ يقول:

{ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ }[٣٤١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

---

٣٣٨ سنن الترمذي والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنه
٣٣٩ سنن أبي داود والدارمي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه
٣٤٠ سنن النسائي ومصنف ابن أبي شيبة
٣٤١ سنن الترمذي ومسند أحمد

{ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا مَشَى، مَشَى مُجْتَمِعًا لَيْسَ فِيهِ كَسَلٌ }[٣٤٢]

كان ﷺ يُعلِّمهم أنه يمشي على هذه الهيئة، ولذلك تعلَّم أصحابه ذلك، فعندما مات سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو رجل من هؤلاء الرجال، سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها وقد رُؤيت تبكي عليه: لِمَ تبكي على عمر؟ قالت: عمر رجل كان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً.

لأنه عندما أسلم تحولت الدعوة من السر إلى العلانية، وعندما هاجر أخذ معه أربعون من الفقراء والمساكين علناً، رجل كان إذا قال أسمع – جهوري الصوت – وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهذه الصفات تعلَّمها من الحبيب المصطفي ﷺ.

وكان ﷺ في أدبه في مشيه الذي علَّمه لنا إذا التفت يلتفت جميعاً، أي يلتفت بكله، ولذلك كان أصحابه يمشون خلفه وهم آمنون، وكان إذا أدبر أدبر جميعاً، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال:

{ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لا يَلْتَفِتُ إِذَا مَشَى، وَكَانَ رُبَّمَا تَعَلَّقَ رِدَاؤُهُ بِالشَّجَرَةِ أَوِ الشَّيْءِ فَلا يَلْتَفِتُ حَتَّى يَرْفَعُوهُ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْزَحُونَ وَيَضْحَكُونَ، وَكَانُوا قَدْ أَمِنُوا الْتِفَاتَهُ ﷺ }[٣٤٣]

وعن علي ﷺ قال:

{ كان رسول اللهّ ﷺ إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا }[٣٤٤]

وعن أبي هريرة ﷺ قال:

{ كان رسول اللهّ ﷺ يُقْبِلُ جَمِيعًا، وَيُدْبِرُ جَمِيعًا }[٣٤٥]

وكان أحياناً يمشي منتعلاً، وأحياناً يمشي حافياً، فعن عمران بن الحصين ﷺ قال:

---

٣٤٢ مسند الإمام أحمد، عن ابن عباس رضى الله عنهما.
٣٤٣ معجم الطبراني والطبقات الكبرى لابن سعد
٣٤٤ مسند أحمد والبيهقي
٣٤٥ مسند أحمد والطبراني

{ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْشِي حَافِيًا وَنَاعِلاً }[346]

وأحياناً في وقت المعارك كان يمشي القهقرى أي يرجع بظهره، كل أنواع المشي موجودة فلا نُحَجِّر واسع فضل الله ﷻ. وكان إذا مشى مع أصحابه أحياناً يأخذ بأيديهم، وكان من أدبه ﷺ أنه من يأخذ بيده لا يسحب يده من يده حتى يكون هذا الرجل هو الذي يأخذ حظه ويسحب يده، وأحياناً كان يأمر أصحابه أن يمشوا أمامه ويمشي خلفهم ويقول:

{ لا تَمْشُوا خَلْفِي وَخَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلائِكَةِ }[347]

وعن جابر رضي الله عنه قال:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلائِكَةِ }[348]

وروى أيضا قال: قال رسول الله ﷺ:

{ امْشُوا أَمَامِي وَخَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلائِكَةِ }[349]

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال:

{ خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَمْشِي بيْنَ يَدَيَّ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا }[350]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

{ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ }[351]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٣٤٦ مسند البزار وكشف الأستار
٣٤٧ اتحاف الخيرة للبوصيري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
٣٤٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد
٣٤٩ بغية الباحث للهيثمي
٣٥٠ مسند أحمد وصحيح ابن خزيمة
٣٥١ الصحيحين البخاري ومسند أحمد

الفصل الثالث

مفاتيح فهم حديث الإمام علي ﷺ [352]

أولاً: آداب رسول الله ﷺ إذا دخل منزله

قال الحسين ﷺ: فسألت عليا ﷺ – عن دخول رسول الله ﷺ، فقال:

{ كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ، مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَجُزْءًا لأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَلا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ، وَقَسْمُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَالأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِم عَنْهُمْ، وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغِي حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلا ذَلِكَ وَلا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ، رُوَّادًا وَلا يَتَفَرَّقُونَ إِلا عَنْ ذَوَاقٍ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً }[353]

{ كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ، مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ } لأن سيدنا رسول الله ﷺ كان لا يتحرك ولا يسكن في أي أمر إلا بإذن من الله ﷻ، فلا يتحرك لهوى نفس، ولا لشهوة، ولا لحظ، وإنما لتنفيذ مراد الله، أو ابداء شرع من شرع الله تتأسى به أمته في هذه الحياة.

{ فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَجُزْءًا

---

٣٥٢ المعادي – الخميس ٢ من رجب ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٥/١م

٣٥٣ سنن الترمذي والطبراني والبيهقي

لأَهْلِهِ وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ } كان ﷺ إذا دخل مترله يُقسم وقته إلى ثلاث، الجزء الأول: جزء لعبادة الله وطاعته من قراءة للقرآن أو ذكر لله أو التسبيح أو التحميد أو التقديس ... أي الإنشغال بالله.

الجزء الثاني: جزء لأهله، وهذا يشتمل أمرين: قضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم ومؤانستهم، ولا بد من الإثنين معاً، فكان ﷺ يقضي لهم مصالحهم، ولذلك كان ﷺ يدَّخر لكل امرأة من زوجاته التسع قوُهَا الذي يكفيها لمدة سنة حتى تطمئن، أما هو فكان لا يدَّخر طعاماً أو شيئاً لغد لُحسن توكله على مولاه ﷻ، حتى نعرف كيفية التعامل، فلا تعامل من معك بحالك، أو بما وصل إليه مقامك، فهم شيء وأنت شيء، تنَّزل لهم وعاملهم على قدرهم. وكان ﷺ يجتمع مع نساءه عند صاحبة النوبة يأتنس بهم ويُسر بهم، ويحكي لهم، وذات ليلة حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نسَاءَهُ حَدِيثًا، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ الْحَدِيثُ كأنه حَدِيثَ خُرَافَةَ؟ فَقَالَ:

{ أَتَدْرُونَ مَا خُرَافَةُ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلا مِنْ عُذْرَةَ، أَسَرَتْهُ الْجِنُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَكَثَ فِيهِنَّ دَهْرًا طَوِيلا، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الإِنْسِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنَ الأَعَاجِيبِ، فَقَالَ النَّاسُ: حَدِيثُ خُرَافَةَ }[٣٥٤]

الجزء الثالث: جزء لنفسه، يخلو به بالفتوحات والتجليات والتترلات والفيوضات التي تترل من عند الله، لأها تحتاج إلى خلو بال.

{ ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَلا يَدَّخِرُهُ عَنْهُمْ شَيْئًا } من باب الإيثار جعل هذا الجزء بينه وبين الناس، مع أن هذا الجزء كان في بيته، كيف؟ كان يُدخل الخاصة، وهم الأعلى في التقوى، والأرقى في المقام، والأعلى في المترلة عند الله، وليس الخاصة هم الوجهاء والأثرياء والأغنياء، وكان يُدخلهم ليُعَلِّمهم حتى يُعلِّموا غيرهم.

وهذا أدب من الآداب النبوية لأهل الطريق السديد في أي زمان ومكان، فالخاصة

---

٣٥٤ مسند أحمد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها

وظيفتهم أن يتعلموا ما لا يتعلمه غيرهم، ثم يُعلِّمون وينقلون هذا الكلام إلى غيرهم، وإلا أساءوا واحتاجوا إلى الإصلاح والأدب.

فكان ﷺ يرد بذلك على العامة والخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً من العلوم والأسرار والأنوار والحكم الإلهية التي أفاضها عليه الله، حتى قال ﷺ:

{ ما صُبَّ في صدري شيء إلا وصببته في صدر أبي بكر }[355]

لم يكتم شيء، وقد قال الله ﷻ:

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التكوير)

حتى الغيب لا يبخل به، فلا يوجد شيء سيحدث إلى يوم القيامة إلا وأخبرنا به ﷺ، ولا يوجد شيء في الآخرة إلا وحدَّثنا عنه، وهذا غيب.

{ وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ } وأهل الفضل هم أهل التقى والورع وأهل العلم والصلاح والشرف.

{ وَقَسَّمَهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ } الأورع والأخشى ثم الأخشى ثم الأخشى، ولا يُبيِّن ذلك لهم حتى لا يحدث تناحر وتنازع بينهم، وهذه الأمور كان يديرها ﷺ بلمح النبوة، وذكاء الرسالة، ونور البصيرة الإلهية التي أعطاها له الله ﷻ.

{ فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ } هؤلاء منهم مَن كان له سؤال واحد، ومنهم من كان له سؤالين، ومنهم من له أكثر من سؤال، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج.

{ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَالأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِم عَنْهُمْ } يتشاغل بهم في إجابة هؤلاء والرد على ما في صدورهم، وانشغالهم فيما يُصلحهم به ويُصلح بهم الأمة.

لا يوجد عنده وقت ليتكلم معهم في السياسة، أو أمور الدنيا، أو في المشاغل، أو

٣٥٥ تفسير روح البيان وتفسير الرازى وفى سفينة النجا والحاوى للفتاوى ولم يرد تخريجه.

في الشهوات، أو في القيل والقال، أو الغيبة والنميمة أو ما شابه ذلك من الأمور التي لا ينبغي أن يشتغل سالك طريق الله ﷻ بها كما يحدث الآن من الخاصة، لكن الخاصة مشغولون بما يريدون في طريق الله ليعطيه لهم، ثم عليهم أن يُعلِّموا غيرهم.

فهو ﷺ يشغلهم فيما يصلحهم وينفعهم ويصلح الأمة وينفعها إما بأن يفتح لهم باب الأسئلة ليفيض عليهم الأجوبة أو يبتدأهم بالإخبار عما ينفعهم وبيان الذي ينبغي لهم أن يعلموه من الأحكام والمواعظ والنصيحة والوصية بما يصلح شأنهم ويسعدهم في دينهم ودنياهم.

فما كان ﷺ يترك جزءاً من الزمن فارغا عما ينفع الأمة ويصلح أمرها، وما كان يترك أصحابه في فراغ من الوقت وبطالة من العمل، بل كان ﷺ يشغلهم بما يصلحهم وينفعهم ويصلح الأمة وينفعها وذلك لأن الله تعالى قال له:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ (الإنشراح)

أي فإذا فرغت من عمل فانصب لغيره، وليكن القصد والرغباء في جميع ذلك إليه سبحانه.

ومن هنا يعلم أن دين الاسلام دين جد وعمل لا هزل فيه ولا كسل.

﴿ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغِي حَاجَتَهُ ﴾

أنتم مندوبون عن هؤلاء، فكل رجل مندوب عن قومه أو بلده، فيجب عليه قبل المجيء أن يعرف طلبات قومه حتى يأخذ الردود ليريح صدورهم، وحتى تكون قد أعنت على دعوة الله ﷻ، وهذا تنظيم نبوي وضعه السيد السند العظيم ﷺ، ويجب على الجميع أن يخضع لهذا التنظيم.

﴿ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

يدخل في قول الله:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (٢٧إبراهيم).

{ لا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلا ذَلِكَ وَلا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ }

لا يقبل كلام أحد عن أحد، ونحن مطالبين بأن نسير على هذا المنهاج.

{ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ رُوَّادًا وَلا يَتَفَرَّقُونَ إِلا عَنْ ذُوَّاقٍ }

رواداً أي طلاب، وكان من أدبه ﷺ أنه إذا جاءه ضيف لا بد أن يقدم له شيئاً يأكله كتمر أوعجوة أو يشرب لبن، فيذوقون الإثنين، يذوقون طعاماً، ويذوقون علماً إلهياً، ونوراً ربانياً، وسمتاً وهدياً نبوياً.

{ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً }

أي دعاة أدلاء، لأنهم دخلوا بهذه الهيئة فخرجوا بهذه الكيفية.

إذاً هذا الحديث يُعلِّمنا:

- أدب الجلوس في بيت رسول الله ﷺ.
- وينسحب على ذلك أدب الجلوس في بيوت الصالحين والعلماء من ورثة رسول الله ﷺ.
- وما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم وطالب طريق الله إذا دخل بيوت السادة الصالحين العارفين.
- وما ينبغي أن يكون عليه الأدب في الخاصة الذين ينوبون عمن وراءهم، ولهم إخوان أنابوهم في الحديث عنهم وتحقيق رجاءهم.
- وهذه هي الآداب العامة والخاصة في بيت رسول الله ﷺ.

ثانياً: آداب رسول الله ﷺ إذا خرج من منزله وبرز للناس

قال الحسين رضي الله عنه: فَسَأَلْتُ أبي – علياً رضي الله عنه – عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ فَقَالَ

{ كَانَ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إلا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلا يُنَفِّرُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ الْقَوْمِ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَلا خُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ، مُعْتَدِلَ الأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ، لا يَغْفَلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفَلُوا أَوْ يَمِيلُوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ، وَلا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَلا يُجَاوِزُهُ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُؤَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً }[٣٥٦]

{ كَانَ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إلا فِيمَا يَعْنِيهِ } قال ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ مَا لا يَعْنِيهِ }[٣٥٧]

لم يقل الإيمان، ولكن الدرجة الأولى وهي الإسلام، فالذي يريد أن ينال درجة الإسلام لا يتكلم في شيء لا يعنيه، ويعنيه: أي يهمه وينفعه في الدنيا أو الدين.

قال العلامة ابن رجب في شرح حديث: " إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ ": معنى يعنيه أنه تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية: شدة الإهتمام بالشيء يقال: عناه يعنيه، إذا اهتم به وطلبه، وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به بحكم الهوى وطلب النفس بل بحكم الشرع والإسلام، انتهى.

وعن أنس رضي الله عنه قال: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النبي ﷺ، فَقَالَ رَجُل: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ أَوَلا تَدْرِي فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لا يَنْقُصُهُ }[٣٥٨]

---

٣٥٦ سنن الترمذي والطبراني والبيهقي
٣٥٧ سنن الترمذي والبيهقي
٣٥٨ سنن الترمذي والبيهقي

والكلام الذي لا يعنيه هو الكلام الذي لا يختص به الإنسان، كأن يتدخل الإنسان بين اثنين يتكلمان في أمر يخصهم، إلا إذا طلبا ذلك، أو يتداخل مع جماعة يُسرُّون حديثاً، ليس لك شأن بهذا الأمر، لأن هذا ليس من أدب الإسلام، فالمسلم شأنه مشغول بربه، ولا ينشغل بخلق الله.

وكذلك لو كان هناك شأن لا أستطيع أن أَبْلغه أو أُدركه لماذا أتدخل فيه؟! ونحن نرى أن المجتمع في هذه الأيام مشغول كله بالسياسة والإنتخابات والأحزاب وغير ذلك، ما شأننا وهذه الأمور؟!

إذا كونت لنفسك رأياً لا تُجبر عليه غيرك ولو كان ابنك، لكن ما نراه من اللدد والمجادلات، وفلان أفضل من فلان، ومميزات هذا أفضل، ولو سألت أحداً عن مميزات صحابي من صحابة رسول الله ﷺ لعجز وما استطاع أن يتكلم بحرف واحد!!.

فلا شأن لنا بمثل هذه الأمور التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع، وكل كلمة سنتفوه بها سيحاسبنا عليها الله:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق)

وخير لك من ذلك أن تشغل نفسك بذكر الله ﷻ، بدلاً من هذه المهاترات والمتاهات والعداوات التي تحدث بسبب الجدال.

هذا هَدْى رسول الله ﷺ، كان لا يتدخل إلا فيما يعنيه، وللأسف نجد الآن الكثير الذي يتدخل فيما لا يعنيه، ويرى أنه الخبير في كل الأمور فيتدخل فيها!!.

(وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلا يُنَفِّرُهُمْ) ويقول لنا ﷺ:

(الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلا خَيْرَ فِي مَنْ لا يَأْلَفُ)[٣٥٩]

وفي رواية أخرى:

(الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ)[٣٦٠]

٣٥٩ مسند الشهاب عن جابر بن عبد الله ؓ

علامة المؤمن أن يألف الناس، ويألفه الناس، يُحب الناس ويتكلم معهم، ويُحبه الناس وتتقرب منه، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف، فالذي تبعد عنه الناس لا خير فيه، لكن الخير في الذي يُحبه الناس.

{ وَيُكْرِمُ كَرِيمَ الْقَوْمِ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ }

وهذا من كريم خلقه ﷺ وذلك انه يكرم كريم القوم بما يناسبه من التكريم والحفاوة ويجعله واليا عليهم وأميرا مُدبّرا لأمورهم وهذا من تمام حسن نظره ﷺ وحكمة تدبيره وتنظيمه واعطاءه المراتب حقها.

وهذه صفة الإسلام، إكرام الكبير وتوقيره، والرحمة بالصغير والعناية به، قال ﷺ:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ }[٣٦١]

عندما ضاعت هذه القيم في مجتمعنا حدث التسيب، لكن ليس هذا من الإسلام، لأن الإسلام عبارة عن قيم إجتماعية، وانظر إلى أدب العباس ﷺ، قالوا له:

أيكما أكبر أنت أم رسول ﷺ؟ فقال ﷺ:

رسول الله ﷺ أكبر مني ولكني وُلدت قبله أو قيل أسنُّ منه.

آداب غريبة لأصحاب رسول الله ﷺ عندما تسمع لحديثهم، أدب غريب وعجيب لا ينطق به إلا قلب مليء بحب الحبيب ﷺ.

وكان ﷺ يُولِّي كريم القوم، لأنه ما دام أكرمهم فهو أعقلهم، وهو أعلمهم، وهو صاحب الشورى والرأي فيما بينهم، وهذا الكلام عاصرناه وكانت الأمور مستقرة بسبب هذه القيم.

{ وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِي عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَلاَ خُلُقَهُ }

وهذا مما يدل على عظيم عقله وسعة فكره وذلك أنه ﷺ كان يحذر الناس الذين

---

٣٦٠ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ

٣٦١ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن عبادة بن الصامت ﷺ

هم حديثوا عهد بالاسلام ولم يخبرهم ولم يجربهم في مهام الأمور ويحترس منهم ولكنه لا يطوى عنهم بشره وحسن مقابلته وطلاقة وجهه ﷺ.

وكذلك يُحذر الناس من أهل الشر، لأن أهل الإيمان دائماً طيبين، وقد يضحك عليهم المنافقين وطلاب الدنيا، ويستغلون سذاجتهم وحبهم للدين ويَدخلون لهم من هذا الباب، لكن النبي ﷺ قال:

{ الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ }[٣٦٢]

أي أن المؤمن عاقل ولبيب وحذر ولا يضحك عليه أحد، كان الإمام الحسين والإمام الحسن يتصدقان بالمائة ألف على الفقراء والمساكين، ويساوم أحدهم في السوق ويتجادل على الدرهم، فيقولون: يا ابن بنت رسول الله أنت تتصدق بالألوف وتساوم على هذا الدرهم؟! فيقول: حتى لا يُقال خدعنا ابن بنت رسول الله ﷺ!.

الدين يحتاج إلى الكياسة والحذر، والإنسان عندما يتّقي الله يجد نوراً في فؤاده ينظر به، يقول فيه ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٣٦٣]

فيعرف مَنْ أمامه في لحن القول، أو في فلتات لسانه، أو في تقاطيع وجهه، أو في هيئته عند الكلام ... يعطيه الله ﷻ نور كاشف يعرف به أن هذا الرجل غير صادق، وعندما يتتبع ذلك يجد أن قلبه لا يكذبه، وهذا شأن المؤمن في مثل هذه الأمور.

وكان ﷺ لا يطوي عن أحد بشره ولا خُلُقه حتى ولو كان من المنافقين ليتألفهم، جاء رجل من أجلاف العرب، وكان زعيم قبيلة كثيرة العدد، وكان مُطاع في قومه، حتى سموه الأحمق المُطاع، فاستأذن على النبي ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ:

{ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

---

٣٦٢ مسند الشهاب عن أنس ﷺ

٣٦٣ سنن الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَائِشَةُ: مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ }[٣٦٤]

النبي ﷺ يريد أن تدخل قبيلة هذا الرجل في الإسلام، وهذا الرجل قد يمنعهم من الدخول إلى الإسلام، فتألفه النبي ﷺ لذلك، وبعد أن يشرح الله صدورهم للإسلام سيتركونه ويتخلو عنه، وهذا كان من أدبه ﷺ الذي يقول فيه:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَنِي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ }،
ويقول ﷺ أيضاً: { مُدَارَةُ النّاسِ صَدَقَةٌ }[٣٦٥].

وهناك فرق بين المداراة وبين التزلف، فالمداراة تكون مع الذي أخاف من شره، أي أعامل إنساناً بالحسنى اتقاء شره، إن كان الشر منه، أو ممن وراءه، أو ممن حوله، لي أولمن حولي، أما التزلف فهو التودد إليه والتقرب إليه والتوسل إليه والتحبب إليه رغبة في نوال منفعة من وراءه، وهذا من النفاق، وهذه خصلة انتشرت في هذا الزمان.

{ وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ }

كان ﷺ من هديه إذا لم يجد رجلاً من أصحابه في المسجد لمدة ثلاثة أيام يسأل عنه، فإن كان مريضاً عاده، وإن كان غائباً دعا له، وإن كان محتاجاً واساه .... لا بد من التفقد.

نحن تحابنا في الله، فلا بد أن نتفقد بعضنا، والتفقد أصبح الآن سهلاً وميسوراً حتى ولو عن طريق الهاتف، ليس التفقد للمصلحة فقط، ولكن للإخوة الإيمانية.

فالتفقد من أخلاق الأنبياء، سيدنا سليمان ﷺ يقول فيه الله ﷻ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ (٢٠النمل)، لأن الطيور كانت خاضعة له فكان يبحث عنها، نبي وحوله على البساط خمسمائة ألف من الإنس، وخمسمائة ألف من الجن غير الوحوش والطيور، ونظر فلم يجد

٣٦٤ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٣٦٥ { إن الله } أمالي بن مردوية وأبي مطيع المصري عن عائشة ﵂، و {مدارة الناس } (حب طب هب) عن جابر.

هدهداً واحداً فقال:﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ (٢٠النمل).

وهذا دليل على الذكاء الغريب والملاحظة الشديدة.

وهذا يحتم علينا جميعاً مهما كانت الأعمال عليك لا بد أن تتفقد أهل بيتك؛ أولادك وبناتك وزوجتك، فلا تتعلل بكثرة المشاغل، ولا تتحجج بأنك وفرت لهم كذا وكذا، لا بد أن تتفقد أحوالهم تارة ظاهراً، وتارة من خلفهم حتى تتحسس جلية أخبارهم، وتستطيع أن تربيهم على النهج القويم الذي علَّمنا إياه النبي الرءوف الرحيم ﷺ.

ومَن لا يستطيع أن يتفقد أهل بيته كيف يستطيع أن يتولى أمر أُمَّة؟!

فالإنسان لا بد أن يتفقد كل مَن ولَّاه الله أمرهم، فلو أصبحت مديراً في مكان لا بد أن أتفقد كل هذا المكان، ومهما كانت ثقتي في أحد لا بد أن أتفقده، حتى يظل حريصاً.

﴿ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ ﴾

ليس عنهم ولكن عمَّا في الناس من الأحوال والأخبار، عن طعامهم، وعن أسواقهم، وعن مشاكلهم، حتى يقضي فيها برأيه.

﴿ وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ ﴾

لا يوجد مجاملات، فالذي ضيَّع الناس في هذا الزمان المجاملات، يعرف أن هذا الأمر غير سديد ولا رشيد لكن يصفه لصاحبه أن هذا الأمر لا يساويه شيء من قريب ولا من بعيد، وهذا من النفاق الذي ضيَّع مجتمعنا.

سيدنا رسول الله ﷺ لم يُعلِّمنا ذلك، كل ما علَّمه لنا حسن الكلام في النقد، فنبدأ أولاً بالمدح بما في الشيء من محاسن، ثم نذكر العيب، فلا بد من قول الحق:

﴿ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ﴾[٣٦٦]قل الحق ولوكان على نفسك، وهذا نظام الإسلام.

---

٣٦٦ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر ﷺ

{ مُعْتَدِلَ الأمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ }

يمشي على الوسطية من غير اختلاف، أي أن جميع أفعاله ﷺ وأقواله على غاية من الإعتدال محفوظ من أن يصدر عنه أمور متخالفة أو يعارض بعضها بعضاً وهذا دليل على كمال عقله واحكام أمره ﷺ، فالوسطية فيها السلامة كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣البقرة).

{ لا يَغْفَلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفَلُوا أَوْ يَمِيلُوا }

لا يغفل عن ذكر الله، إذا زرنا أخاً لنا ونخوض في الدنيا ويخوض معنا، فمَن سيذكر الله منا بعد ذلك؟! لا أحد، ولذلك كان من وصايا شيخنا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ: **"إذا جالست أحداً فلا تتحدث معه في أموره الخاصة وأمور دنياه إلا لدقائق معدودة؛ ثم اهبطا أنت وهو إلى وادي الآخرة"**.

انظرا في آية من كتاب الله، أو حديث من أحاديث رسول الله، أو ذكر الله، أو الصلاة على رسول الله، فلا نضيع الوقت في الدنيا، ولكن نُدخل أنفسنا في الأمر الجامع الذي يقول فيه رسول الله ﷺ عندما سُئل أَيُّ الأَصْحَابِ خَيْرٌ؟ فقال ﷺ:

{ صَاحِبٌ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[٣٦٧]

وكذلك لا يغفل ﷺ عما فيه مصالح أتباعه من تذكيرهم وارشادهم ونصيحتهم وتعليمهم مخافة أن يغفلوا فيزلوا أو يميلوا إلى الراحة والكسل ويبطئوا عن العمل فهو ﷺ يشد عزمه ويتعهدهم بالتذكير والنصح.

{ لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ } وهذه قوة النبوة، وإعانة رب البرية ﷻ لحضرته ﷺ، إذا رزقه الله ﷻ ومن حوله همٌ وجَّههم إلى الدعاء، وإذا لاقوا مشقة وجَّههم إلى الصبر، وإذا لاقوا عدواً وجَّههم إلى الاستعانة بالله وبذكر الله، ثم الاعتماد على السلاح وعلى رباطة الجأش وقوة الإيمان في القلوب.

إذاً لكل أمر عنده عتاد، إذا وجد قوماً أغناهم الله يوجِّههم إلى شكر الله، وإذا

---

٣٦٧ الإخوان لابن أبي الدنيا

وجد قوماً تركوا العمل يوجِّههم إلى العمل.

﴿ وَلا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَلا يُجَاوِزُهُ ﴾

هو الحق في قوله وفعله وعمله، إن كان مع نفسه، وإن كان مع أهله، وإن كان مع أمته، دائماً وأبداً هو الحق، وينطق بالحق، ويقول الحق، ويفصل بين الناس بالحق، ولا يتجاوز الحق قدر أنملة ولا طرفة عين أبد الآبدين.

فهو ﷺ على الحق المستقيم لا افراط ولا تفريط ولا تقصير عن الحق ولا مجاوزة للحق وذلك في جميع أموره وقضاياه.

﴿ الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ ﴾

ينتقي الأخيار من الأصحاب، ويقول ﷺ:

﴿ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ ﴾[٣٦٨]

﴿ وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً ﴾

أفضلهم من هو دائماً ينصح الناس، ويُوجِّه الناس، ويُقوِّم الناس، لأن هذا هو الذي أرسله به رب الناس:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُؤَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً ﴾

أعظمهم الذي يواسي إخوانه، يواسي الفقراء بالإنفاق، ويواسي المرضى بالزيارات والتخفيف، ويواسي أهل الأموات بالذهاب إليهم وتعزيتهم، ويواسي كل إنسان بما يليق به، لأنه دائماً يلتف بإخوانه، ويحاول أن يكون دائماً معهم على كل حال ويواسيهم ويعاونهم.

٣٦٨ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

ثالثاً: مجلسه ﷺ

ما أحوجنا إلى أدب المجالس، والكيفية التي كان بها ﷺ يجالس ويؤانس كل من حوله، وقد أهَّله الله ﷻ من البداية لذلك، فقد كان جده عبد المطلب يُفرَش له فراش بجوار الكعبة يجلس عليه، ويأتي بنوه فيجلسون حول الفراش ولا يستطع أحد منهم – حياءاً منه وهيبة له – أن يجلس بجواره على الفراش، فكان النبي ﷺ يأتي ويمشي حتى يجلس إلى جوار جده على فراشه، فأراد بعض أعمامه يوماً أن يمنعه، فقال جده: دعوه فإن إبني هذا يؤنس ملكاً، أي يؤنس الملوك وليس شيخ قبيلة أو كبير عائلة فقط.

والآداب ما أحوجنا إليها في جِلساتنا مع بعضنا، أو جلساتنا مع أهلينا وذوينا في بيوتنا، أو أي جلسة نجلسها في أي موضع من أرض ربنا، نحن في أمسِّ الحاجة إلى أن نهتدي ونقتدي بنبينا ﷺ في ذلك.

قال الحسين فسألته – أي علياً ﷺ – عن مجلسه ﷺ كيف كان؟ فقال:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَلا يُوَطِّنُ الأَمَاكِنَ، وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ لا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ فاوضه فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يردّهَ إلا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطَهُ وَخُلُقَهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا، وَصَارُوا فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ: علمٍ، وَحَيَاءٍ، وَصَبْرٍ، وَأَمَانَةٍ، لا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ، وَلا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ، مُتَفَاضِلِينَ مُتَعَادِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ، يُوَقِّرُونَ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ، وَيَحفظونَ الْغَرِيبَ }.

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ }

وقد وصفته بذلك السيدة عائشة رضي الله عنها، فقالت عنه ﷺ:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ }[٣٦٩]

والسالكون الصادقون، والعارفون المتمكنون وصفهم بذلك سيدنا رسول الله ﷺ حين سُئل: أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ فقال ﷺ:

{ مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عِلْمُهُ }[٣٧٠]

عندما تراه تذكر الله، لأنه ذاكر لله لا يغفل عن مولاه طرفة عين ولا أقل، وأكبر ذنب عند أهل المعرفة بالله هو الغفلة ولو لحظة عن ذكر الله، بينما العوام لا يعدون ذلك ذنباً، لكنهم كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

هفوة العارفين أكبر ذنب   فابذل النفس تُمنحن رضواني

دخل الإمام كمال الدين الأخميمي رضي الله عنه زائراً للسيد عبد الرحيم القنائي رضي الله عنه في روضته، وكان من أهل المكاشفة القلبية والبصيرة النورانية، وبعد انتهاءه من الزيارة قال الشيخ كمال الدين: يا سيدي أوصني، فأجابه السيد عبد الرحيم وهو في برزخه: يا بُني لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، فأنا كما ترى في روضات عالين، ولكني أقول: يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله.

كل لحظة تمر على الإنسان في غفلة عن ذكر الله سيندم عليها عند خروج النَفَس الأخير ليلقى الله عز وجل، لذلك شعار مجالس الصادقين والعارفين والسالكين هو ذكر الله عز وجل على الدوام.

{ وَلا يُوَطِّنُ الأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ }

في المساجد بعض الناس يتخذ له مجلساً محدداً، كأن يكون بجوار المنبر، أو بجوار حائط، ويظهر عليه الغضب إذا رأى أحد جالساً مكانه، بل ربما يخرج أحدهم عن حد

---

٣٦٩ صحيح مسلم وسنن الترمذي

٣٧٠ الأحاديث المختارة وشعب البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه

الإعتدال ويحاول أن يقيم من جلس في مكانه، وهذا نهى عنه رسول الله ﷺ.

فإن مجالس الله، إن كان مجلس علم أو مجلس ذكر أو مجلس فكر؛ ينبغي أن تكون كما قال رب العالمين:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾ (الواقعة)

ومن جاء للمجلس يعمل بسنة سيد الرسل والأنبياء أنه من دخل مجلساً فوجد فرجة يجلس فيها، فإن لم يجد يجلس حيث انتهى به المجلس، وهكذا كان يعلمهم ﷺ.

لو وجد فرجة فلا بأس، لكن إذا لم يجد فليجلس في آخر الصفوف، إذا أراد بعض القوم أن يُكرم الداخل فلا مانع أن يقوم له أو يُفسح له، لكنه لا يُقيم شخصاً من مكانه، إذا قام الشخص من نفسه فاز بالإيثار، وزادت له من الحق ﷻ الأنوار، لكن لا ينبغي على أي شخص مهما كان قدره ومكانه أن يُقيم شخصاً ليجلس مكانه، هذا هو الأدب المحمدي الذي علَّمه لنا حضرة النبي ﷺ.

﴿ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ لا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ﴾

وهذا كان الهدي النبوي السديد، كل من في مجلس رسول الله ﷺ يكون له حظ من نظراته، ونصيب من عباراته، وقدر من إشاراته، حتى كان يُهيَّء لكل رجل من الجالسين أنه أفضلهم وأكثرهم حظوة عند سيد النبيين والمرسلين ﷺ، يحكي في هذا الباب سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد بعثه رسول الله أميراً على الجيش وفيهم أبو بكر وعمر لمصلحة كانت تقتضيه وقد جلس يحدثه ويقبل عليه بالحديث قيل ﴿ **وأحمد رسول الله ﷺ أمره** ﴾[٣٧١] لما كان من حسن تصرفه حفاظا على الجيش لقلة عددهم، حتى وقع في نفس عمرو أنه مقدم عنده في المترلة – واسمعوا لرواية عمرو بنفسه قال:

﴿ لَمَّا قَدِمْتُ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ـ وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِني ـ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ، قُلْتُ:

٣٧١ عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه إلى دار السلاسل فسأله أصحابه أن يأذن لهم أن يوقدوا نارا ليلا فمنعهم، فكلموا أبا بكر أن يكلمه في ذلك، فقال: قد أرسلوا إلي لا يوقد أحد منهم نارا إلا ألقيته فيها، فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرف ذلك الجيش للنبي ﷺ شكوه إليه، فقال: يا رسول الله! إني كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، قال: فأحمد رسول الله ﷺ أمره، قال: فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: لم؟ قال: لأحب من تحب، قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبو بكر. (ع، كر). كنز العمال

إني لَسْتُ أسألُكَ عَنِ النساءِ، قَالَ: أَبوهَا إِذَنْ، قُلْتُ: فَأَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: حَفْصَةُ، قُلْتُ: لَسْتُ أسألُكَ عَنِ النساءِ، قَالَ: أَبوهَا إِذَنْ، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ فَأَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَالْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِنَّ هٰذَا يَسْأَلُنِي عَنِ النَّفْسِ }.وفى رواية: { **قال: عمر. فَعَدَّ** (رسول الله ﷺ) **رِجَالاً** – (أي فذكر ﷺ رجالاً آخرين بعد أسئلة أخرى له ومنهم أبوعبيدة) **فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي في آخِرِهِم.}** [٣٧٢]

ذلك من مودته وشفقته وعطفه وحنانته صلوات ربي وتسليماته عليه.

والعجب أن كثيراً من المسلمين الآن لا يستطيع أن يوزع الحنان والعطف والبر والشفقة والمودة على بنيه حتى لا يلحظ أحدهم أنه يُحبه أكثر من الآخرين، بينما سيد الأولين والآخرين كان يوزع الحنان والعطف والشفقة والرحمة والمودة على الأُمة كلها، ولا يلحظ أحدهم تفريقاً في المعاملة، ولا ميلاً في النظرة، ولا أي أثرة، لأنه ﷺ كما قال فيه ربه:{ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾** } (الأنبياء).

وأمرنا ﷺ في سبيل ذلك إذا كنا في مجلس أن لا يتناجى اثنان ويتركان الثالث بمفرده، وقال في ذلك:{ **إِذَا كَانُوا ثَلاثَةٌ فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ** }[٣٧٣]، وفي رواية:{ **فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ** }[٣٧٤]، نتناجى إذا كنا منفردين، أو في مكان آخر، لكن إذا كنا في مكان عام، أو في مكان خاص يجب أن يكون الحديث للجميع فيه طرف، حرصاً على سلامة الصدور، فإن أحرص ما كان يحرص عليه رسولنا ﷺ في مجالسه سلامة الصدور، وقد قال ﷺ:

{ إِنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَلا صِيَامِهِمْ، وَلَكِنْ دَخَلُوهَا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ، وَسَخَاوَةِ أَنْفُسِهِمْ }[٣٧٥]،

فأي أمر يؤذي الجالسين كان يتتره عن فعله سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

٣٧٢ عن عمرو بن العاص ، الرواية الأولى رواه ابن النّجّار والثانية (متفق عليه)
٣٧٣ الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن عمر ﷺ
٣٧٤ سنن أبي داود عن ابن عمر ﷺ
٣٧٥ شعب البيهقي والأولياء لابن أبي الدنيا

﴿ مَنْ جَالَسَهُ أَوْ فاوضه فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ ﴾

وهذا كان دأب رسول الله ﷺ، لا يعجل ولا يتعجل، بل يتأنى ويصبر حتى يستشعر الذي يحادثه أو يفاوضه بأنه زاد عن الحد فيستأذن من حضرة النبي ﷺ.

عندما نزل قول الله ﷻ لحبيبه ومصطفاه:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف)

يقول أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يجلس معنا أهل الصفة ولا ينصرف ولا يتركنا حتى نقول له: يا رسول الله قد أذِنَّا لك فانصرف راشداً.

وكان ﷺ إذا صافح رجلاً لم يكن يسحب يده، بل يظل يمدها حتى يسحب الآخر يده، وكان ﷺ إذا جلس مع قوم في أي شأن أو مصلحة – وهو صاحب التمام والكمال – يتركهم حتى يُكملون حديثهم، ويستوفون موضوعهم، لأنه ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المسداة صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إلا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ﴾

إما أن يُعطيه هذه الحاجة ولو كان هو ﷺ في أمسِّ الحاجة إليها، فمثلاً .. رأت امرأة من الأنصار أن النبي ﷺ في حاجة إلى بردة – عباءة – يتدثر بها، وليس عنده، فصنعت له عباءة وأهدتها له، واسمعوا لسَهلَ بنَ سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ يروى القصة ويقول:

﴿ جاءتِ امرأةٌ ببُرْدةٍ قالت: يارسولَ اللهِ، إني نَسَجتُ هذه بيدي أكْسوكَها. فأخَذَها النبيٌّ ﷺ محتاجاً إليها، فخَرَجَ إلينا وإنها إزارُه، فقال رجلٌ من القومِ: يارسولَ اللهِ اكسُنيها، فقال: نعم، فجلسَ النبيٌّ ﷺ في المجلسِ، ثمّ رَجَعَ فطواها ثمّ أرسلَ بها إليه، فقال لهُ القومُ: ماأحسنتَ، سألتَها إيّاهُ، لقد علمتَ أنهُ لا يَرُدُّ سائلاً فقال الرجُلُ: واللهِ ماسألتُها إلاّ لتكونَ كفَني يومَ أموتُ، قال سَهل: فكانت

كفنَهُ ﴾[376]

وإن لم يجد يرده بقول يسير، لأنه لم يكن فظ ولا غليظ، ولا يقول قولاً هجرا ولا فاحشاً ولا بذيئاً، فإن الله ﷻ عصمه من ذلك وخلّقه بالخُلق القويم والهدي المستقيم صلوات ربي وتسليماته عليه، حتى وصل به الحال أن رجلاً جاء إليه يسأله، فقال ﷺ:

﴿ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالاً. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ.ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ ﴾[377]

فكان ﷺ هذا حاله وهذا دأبه مع خلق الله أجمعين.

﴿ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطَهُ وَخُلُقُهُ﴾ وقد قال ﷺ: ﴿ إِنَّكُمْ لا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلْيَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ﴾[378]

وقد قال الرجل الأعرابي:

أبُنـــي إن الـــبر شيء هـــين　　　　وجه طليق وكلام لين

ماذا يكلفك العبوس؟ يُكلفك إفساد الصحة، وإذهاب بهجة النفس!

وماذا يُضفيه عليك السرور؟

انشراح الصدر وبهجة القلب وصحة وعافية الجسم، وقد أكد أطباء الأبدان أن الإنسان إذا ضحك تحركت كل العضلات الموجودة في وجهه، فتكون رياضة روحية وجسمية ونفسية للإنسان، ماذا على الإنسان الذي يريد وجه الله أن يقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ في بسطه وفي أخلاقه صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٣٧٦ صحيح البخاري عن سهل بن سعد
٣٧٧ الأحاديث المختارة ومسند البزار عن عمر بن الخطاب ﷺ
٣٧٨ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

﴿ فَصَارَ لَهُمْ أَباً، وَصَارُوا فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءً ﴾

لا يُفرق حتى بين ابنته، جاءته ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَقَالَتْ:

﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ مَجِلَتْ يَدَيَّ مِنَ الرَّحَى، أَطْحَنُ مَرَّةً، وَأَعْجِنُ مَرَّةً، فقال ﷺ: إِنْ يَرْزُقْكِ اللَّهُ شَيْئًا يَأْتِكِ، وَسَأَدُلُّكِ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَزِمْتِ مَضْجَعَكِ، فَسَبِّحِي اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي ثَلاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنَ الْخَادِمِ ﴾[٣٧٩]

العدالة الكاملة للحبيب الأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه، لأنه على خُلُق الحق، والحق أحق أن يُتبع.

وصف مجلسه

﴿ مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ: علمٍ، وَحَيَاءٍ، وَصبْرٍ، وَأَمَانَةٍ ﴾

لا يُدار فيه إلا العلوم، تلاوة القرآن، أو فهم آية من كتاب الرحمن، أو حديث ألهمه به ربه ﷻ في شريعته، أو شرح لحكم شرعي، أو تذكير بقصص الأنبياء السابقين، أو درس في التفكر في آثار قدرة الله ﷻ في الكائنات.

هو مجلس علم، ولذلك قال الله في شأن هذا المجلس:

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ (١٥٣آل عمران)

مجالس الرسول ﷺ من الآخرة وليست من الدنيا، لا تُذكر فيها الدنيا، ولا شهواتها، ولا أهواءها، ولا نزواتها، ولا كل ما يدور في شأنها، لأن أهل هذه المجالس مشغولين بالكلية بالله، أو بالدار الآخرة التي ينتقلون إليها ليحظوا بلقاء الله جل في علاه.

ومجلسه مجلس حياء:

---

٣٧٩ مسند أحمد والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها

لا يظهر فيه عورات، ولا فلتات لا تنبغي في اللسان، ولا ألفاظ تخدش الحاضرين، ولا تنكيت على بعض الجالسين، وإنما المجالس كلها حياء من الله، وحياء من حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وطلب العلم ومجالس العلم أهم دعامة لها تحتاج إليها هي الصبر، وقد قال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: لكل شيء دعامة ودعامة الإيمان الصبر، وقد ورد عن الإمام علي ﷺ أنه قال:

{ الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ }[380]

فطلب العلم هو أعز بضاعة يتقرب بها العبد إلى مولاه في هذا الزمان، ويحتاج إلى صبر وتصبر دائم.

حصِّـــل العلـــم بعــــزم صـــادق لا تكـــن في العلـــم كســـلان ملـــول

والمجالس كما قال ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ }[381]

يجلسون في المجلس فإذا قاموا من المجلس: كانوا جميعاً كأنهم لم يجلسوا كتماناً لما استمعوا إليه في المجلس من الأحاديث الخاصة، ولا ينشرون إلا ما أمر النبي ﷺ بنشره، وهذا ما يتعلق بشرع الله، أو بكتاب الله، أو بما ينبغي فعله من العبد نحو مولاه جل في علاه.

ولذلك كان شعار الصالحين دوماً في مجالسهم: نحن قوم نجلس مع الله فإذا قمنا من المجلس فكأننا لم نجلس، حفظاً للسر وكتماناً له.

وعندما تتصفح سِيَر الصحابة الكرام –حتى الأطفال والنساء منهم – تعجب إلى خُلُقهم العظيم في كتمان الأسرار، لأن من أراد أن يكون من الأبرار لا بد أن يحفظ الأسرار، حتى يجعله الله ﷻ خزانة عليه لأسرار الله ﷻ في هذه الدنيا الدنية، فكانت المجالس بالأمانات لا يُذاع منها ولا يُشاع منها شيء.

---

٣٨٠ الإلماع إلى علم أصول الرواية للقاضي بن عياض
٣٨١ مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

﴿ لا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ ﴾ لأنهم عملوا بقول الله: (٢الحجرات)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾

كانوا لا يتنازعون عنده ﷺ في أي أمر، لقوله ﷺ:

﴿ لا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ ﴾[382]

لا ينبغي أن يكون هناك تنازع بين شخصين، أو بين فئتين في مجلس النبي ﷺ، أو من ينوب عن حضرة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

بل كانوا لا يتكلمون إلا همساً، فعندما نزلت هذه الآية قالوا: مع أن سيدنا عمر ﷺ كان جهوري الصوت إلا أنه كان لا يتكلم إلا مساررة، حتى كان ﷺ يستبين كلامه، تأدباً بالأدب الذي أدَّهم به الله جل في علاه.

﴿ وَلا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ ﴾ لا تُنتهك فيه الحرمات، أي الأعراض والمسالب والمخازي، لا يُقال فلان فعل كذا، أو فلان أصاب كذا، أو فلان حاله كذا.

﴿ وَلا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ ﴾ أي لا تُشاع فلتاته، أي لو جرت في المجلس فلتة من رجل في كلمة، أو فلتة من رجل في تصرف يسترونه ولا يُشيعونها عنه، لأنه ﷺ كان يُعلِّمهم ويقول لهم:

﴿ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[383]

﴿ مُتَفَاضِلِينَ مُتَعَادِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى ﴾ ميزان التفاضل وميزان العدل بين أصحاب المجالس النبوية قول الله ﷻ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات)

ليس كميزان الدنيا، بالأموال أو الجاه أو السلطان أو العائلات أو الأحساب أو الأنساب، وإنما كان سلطان التقوى هو الذي يتفاضلون به، وهذا هو نهج السادة

---

٣٨٢ الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ

٣٨٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

الصالحين أجمعين إلى يوم الدين.

{ مُتَوَاضِعِينَ }

وهذا كان خلة سيدنا رسول الله ﷺ، ما زاد الله عبداً بتواضع إلا رفعة، والتواضع لين الجانب لإخوانه، ونفي الكِبْر، فأخطر مرض يحجب الإنسان عن الأسرار الإلهية والأنوار الربانية الكِبْر، ولذلك يقول الله ﷻ فيه:

﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ (٥٦غافر)

الذي عنده شيء من الكِبر لا يبلغ شيئاً مما عند الله ﷻ، ومن أراد أن يحظى بفتح الله وعطاءات الله لا بد أن يكون متواضعاً كما كان سيدنا رسول الله والصالحين من عباد الله أجمعين. بل إن جهاد النفس الذي كان يوجّه له العارفون المريدين كان الغرض الأعظم فيه انتزاع الكِبر والعُجب من نفس الإنسان حتى يصير متواضعاً على نهج النبي العدنان ﷺ.

{ يُوَقِّرُونَ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ }

وهذا الذي قال فيه البشيرالنذير ﷺ:

{ لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ }[٣٨٤]

وأي مجتمع اختلفت فيه هذه القيم تعرض للخلل، وضاع فيه وجاهته ونضارته وحضارته، لأن حضارة الأمم تُقام بالقِيم، ولا قيم إلا التي جاء بها الإسلام، وأولها توقير الكبير، والعطف على الصغير ورحمته، ويكفي قوله ﷺ:

{ لَوْلا شَبَابٌ خُشَّعٌ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ، لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا }[٣٨٥]

رحمة الله تأتي بسبب الأطفال الصغار، والشيوخ الكبار، والبهائم السائمة التي لا

---

٣٨٤ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

٣٨٥ سنن البيهقي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

تغفل عن ذكر الله ﷻ طرفة عين ولا أقل، وحبَّب النبي ﷺ الشباب في ذلك فقال:

{ مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ }[386]

أي كالحديث الآخر:

{ وكَمَا تَدِينُ تُدَانُ }[387]

ما يعمله الشباب مع الشيوخ يدخره الله ﷻ لهم عندما يصيرون شيوخاً، ويوجِّه الشباب للعناية بهم كما اعتنوا هم بمن قبلهم من الشيوخ: (الفتح)

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾

{ وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ }

عندهم إيثار، كلهم يأتون إلى رسول الله ﷺ ولهم مصالح تجول في صدورهم، لكنهم كان كل واحد منهم يُؤثر أخاه على نفسه، ويجعله يبدأ بعرض حاجته قبله، وأنتم تعلمون أن الله ﷻ مدح الأنصار فقال:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر).

{ وَيَحفظونَ الْغَرِيبَ }

يحفظون له غربته، يُقدمونه، ويواسونه، ويجعلون له الوجاهة في المجلس، ويُقدمون له واجبات الضيافة، ويهتمون به غاية الإهتمام حتى يشعر أنه في بلده وفي وطنه.

تلكم سيرة النبي ﷺ في مجلسه.

رابعاً: سيرته ﷺ مع جلسائه وآدابه معهم

قال الحسين ﷺ: سألت أبى – علياً ﷺ – عن سيرة النبى فى جلسائه؟ فقال:

---

[386] سنن الترمذي ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

[387] المطالب العالية لابن حجر عن أبي هريرة ﷺ

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، وَلا صَخَّابٍ وَلا فَحَّاشٍ، وَلا عَيَّابٍ وَلا مُشَاحٍ – وفى نسخة صحيحة: ولا مداح، ولا مزاح– يَتَغافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِي، وَلا يُؤْيِسُ مِنْهُ راجِيهِ وَلا يُخَيِّبُ فِيهِ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ: الْمِراءِ ، وَالإِكْثارِ، وَمَا لا يَعْنِيهِ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلاثٍ: كَانَ لا يَذُمُّ أَحَداً، وَلا يَعِيبُهُ، وَلا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، وَلا يَتَكَلَّمُ إِلا فِيمَا رَجا ثَوابَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَساؤُهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا لا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ ليستجلبونهم، وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ، وَلا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلا مِنْ مُكَافِئٍ وَلا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ ﴾

سيدنا الحسين ﷺ وأرضاه لأنه كان أشبه الناس بحضرة النبي ركز في حديثه مع والده عن مجالس رسول الله ﷺ، وصف المجلس، وكيف كان رسول الله ﷺ يعامل أهل المجلس الخاص؟ وكيف كان يعامل أهل المجلس العام؟ وكيف كانوا هم مؤدبين ومهذبين في هذه المجالس؟ وهذه هي البدايات الصحيحة لمن أراد طريق الله ﷻ، أن يجلس في مقعد صدق:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥ ﴾ (القمر)

ومقعد الصدق قال فيه إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: "أن يصدق الإنسان في نيته وفي إرادته وفي جلسته بين يدي المرشد الدال بالله على الله" ليس مقعد صدق في السماء، ولكن في السمو ورفعة المكان، يجلس مع الذي جاء بالصدق وصدَّق به الداعي إلى الله

بالله، أي يجلس معه لله، لا لعلة ولا لغرض ولا لمنفعة ولا لمصلحة عاجلة ولا لدنيا زائلة، وإنما يجلس معه لا يبغي إلا وجه الله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) طُلاب الوجه العلي.

هؤلاء أهم ما ينبغي لهم الآداب في أنفسهم، ومع الحبيب، ومع الأحباب، لا بد من جملتهم، بعض الأحباب يتجمل بالأدب مع المرشد، ويتخلى عن الآداب مع الأحباب، وهذا مسكين، لكن لا بد أولاً من الأدب مع الأحباب.

إذا جالست أي أحد من الأحباب فيجب أن أتخذ رسول الله ﷺ قدوتي، فأكون دائم البشر، سهل الخُلُق، لين الجانب، أحذف من قاموس تعاملي إن كان باللسان أو بالأعضاء الفظاظة والغلظة ورفع الصوت والفُحش والعيب، وإذا مدحت أمدح المؤمن المدح الذي يُثني به على الله، ويشكر الله على فضل الله وعلى عطاء الله، كيف؟

أُذكِّره بفضل الله عليه أولاً، فأقول له: أنا أرى أن الله متفضل عليك وأعطاك كذا وكذا، وأن الله متوليك بعنايته، سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما مدحوه قال لهم: **"أنتم تُثنون على فضل الله ﷻ الذي تفضل به عليّ"** يرى أن كل النعم التي فيه من الله ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣النحل)، إذا كان شكر أو ثناء يكون لله لأنه صاحب هذه الأفضال وصاحب هذه العطايا جل في علاه.

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دائِمَ الْبِشْرِ ﴾

كان يتبسم دائماً، لا يتكلم إلا تبسم، ولا يرى أحداً إلا تبسم.

﴿ سَهْلَ الْخُلُقِ ﴾

لين الخلق، ليس فيه جفاء ولا غلظة، ولا حدة في الطبع، وإنما فيه سهولة وليونة ومرونة، وهذا من علامات الذوق الرفيع والأدب البديع.

﴿ لَيِّنَ الْجَانِبِ ﴾

يستطيع كل أحد أن يتعامل معه ويأخذ منه ما يُريد، لا بخيل ولا شديد وإنما دائماً يلين لأصحابه، ويقول لهم:

﴿ و لينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ﴾[388]

كان ﷺ يأتيه الغلام الصغير فيأخذ بيده فلا يسأله إلى أين، فيمشي الغلام، ويمشي النبي وراءه حتى يصل إلى البيت الذي يريده!!!

انظر إلى هذا الجمال النبوي!! لا يقول له الحبيب ﷺ : إلى أين تذهب؟ أو حتى: من أنت؟ أو ابن من أنت؟ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لُطْفًا بِالنَّاسِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْتَنِعُ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ مِنْ عَبْدٍ وَلا أَمَةٍ وَلا صَبِيٍّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْمَاءِ، فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، وَمَا سَأَلَ سَائِلٌ قَطُّ أُذُنَهُ إِلا أَصْغَى إِلَيْهِ، وَلا يَنْصَرِفُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ، وَمَا تَنَاوَلَ آدَمِيٌّ يَدَهُ قَطُّ إِلا آتَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمْ يَدَعْهَا مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَدَعُهَا مِنْهُ ﴾[389]

كأنه معنِي بقول الفرزدق في مدح الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين:

ما قال لا قط إلا في تشهُّده   لولا التشهُّد كانت لاءه نعم

﴿ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ ﴾

والفظاظة الخشونة والجفوة، ولا غليظ في كلامه، ولا في سلوكه، ولا في معاملته.

﴿ وَلا صَخَّابٍ ﴾

أي لا يرفع صوته عند الحديث، بل كان ﷺ هاديء الصوت حتى في خُطَبِه المنبرية، فلم يكن جهوري الصوت.

﴿ وَلا فَحَّاشٍ ﴾

لا يخرج من لسانه كلمة فاحشة قط، لأنه ينطق كلام الله، حفظ لسانه لكلام الله فلم ينطق به غير ما يُحبه مولاه، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن، أينبغي لمن يقرأ كلام الله

٣٨٨ عن أبى أمامة رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبراني، الترغيب والترهيب
٣٨٩ المطالب العالية لابن حجر وحلية الأولياء لأبي نعيم

أن ينطق بهذا اللسان قولاً يُغضب الله؟! أو قولاً يُثير به خلق الله؟! اجعل اللسان وقفاً على الكلام الذي يُرضي الرحمن، واستحضر دائماً قول الله ﷻ في مُحكم القرآن:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق)

﴿ وَلا عَيَّابٍ ﴾

لم يكن يعيب أحداً أياً كان، بل كان يلتمس لأصحابه الأعذار، وكان يكره أن يستمع عيباً في حق رجل أو امراة من المسلمين والمسلمات ليُدرب المؤمنين والمؤمنات على حفظ الحرمات، وأعظم الحرمات التي ينبغي أن نحفظها حرمة إخواننا المسلمين، وكما قال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام عندما التف الحواريون إلى مريم المجدولية، وأراد كل واحد منهم أن يقذفها بحجر، ويقذفها بكلام من لسانه، فقال عليه السلام: "**من كان منكم بغير خطيئة فليقذفها**".

الذي يرتكب الأخطاء لماذا يرمي غيره بالأخطاء؟! مَن الذي ليس فيه عيب؟!

الشيخ ابن الفارض ﷺ كان في صحراء مكة وتاه فيها خمسة عشر عاماً، وفي ذات يوم أخذ يردد ويقول:

مـن ذا الـذي مـا سـاء قـط؟! ومــن لــه الحسـنى فقــط؟!

قال: فسمعت هاتفاً يقول:

محمـــد الهـــادي الـــذي عليــه جبريـــل قـــد هـــبط

لا يوجد غيره، لكننا كما قال الرجل الصالح الشيخ الإدريسي ﷺ لأحبابه: "**سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير فإن انتظار الصحة بطالة**" نحن نمشي إلى الله وكلنا عرج، وكلنا مكسورين، وكلنا ذنوب، وكلنا عيوب، ولا يوجد أحد خالٍ من هذه الأمور، فلماذا نعيب على غيرنا؟! إذاً نلتمس لهم الأعذار ما دمنا نرتكبُ الأوزار، ونسأل لنا ولهم الستار أن يسترنا وهم كما يستر النهار بالليل والليل بالنهار، فكان ﷺ لا يعيب أحداً قط.

{ وَلا مُشَاحٍ – وفى رواية – **ولا مداح ولا مزاح }**

أي لا يمدح أحداً بما ليس فيه، وكان ينهى عن ذلك، عندما رأى رجلاً يمدح رجلاً بما ليس فيه قال له:

{ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ }[٣٩٠]

لأنك ستغره، لكن إذا أردت أن تمدحه فبالإعتدال، والمؤمن كل أحواله تدور حول الإعتدال، لا يزيد في المدح، ولا يتزلق في الذم، وإنما دائماً وأبداً إذا مدح أخيه يمدحه مدحاً يُزكيه به، وفي نفس الوقت يجعله لا يركن ويترك العمل، أو يتوقف عن السعي لتحقيق الأمل، بل يجعل هذا المدح دافعاً له للعمل للوصول إلى ما يبتغيه من كريم الأمل عند الله ﷻ.

{ يَتَغَافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِي }

إذا رأى في المجلس منظراً لا يُعجبه يتغافل عنه ويتظاهر أنه لا يراه، وإذا سمع كلاماً لا يُعجبه يتظاهر بأنه لا يسمعه، وهذامن جميل أدبه صلوات ربي وتسليماته عليه، وكما قلنا أنه ﷺ كان إذا مشى لا يلتفت إلى وراءه، وقد علم أصحابه رضوان الله تبارك عنهم ذلك من حضرته فكانوا يأمنونه وهم يمشون وراءه، لأنهم يعلمون أنه لا يلتفت.

وهذا الأمر نحن أحوج إليه في بيوتنا، مَن وقف على كل صغيرة وكبيرة مع صغاره سيُصاب بما لا يُعد ولا يُحد من الأمراض العصرية، وأولها التوترات العصبية والأمراض النفسية، ومن وقف مع كل صغيرة وكبيرة مع زوجه فلن تستقيم لهم الحياة، وسيتحول الأمر بينهم إلى شد وجذب وخلافات لا تنتهي، فلا بد للإنسان أن يغض طرفه، ويتغافل عما لا يشتهيه إن كان مع زوجه، أو كان مع أبناءه، شرط ذلك ألا يكون ذلك في معصية لله ﷻ، لكن ما نتكلم عنه الأمور العادية التي لا تسبب للإنسان سخط الله، ولا غضب الله، ولا مخالفة شرع الله ﷻ.

فكان ﷺ يتغافل عما لا يشتهي بالحكمة وبالكياسة النبوية، ولا ينجح رجل في

٣٩٠ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي موسى ؓ

بيته، ولا قائد في عمله إلا إذا استخدم هذه الكياسة النبوية وتغافل عما لا يشتهي، لكن أي قائد يريد أن يحاسب على النقير والقطمير فإنه سيجلب على نفسه مشاكل لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، لكن لا بد له أن يتغافل عما لا يشتهي، وهذا خُلق إلهي:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (٤٥فاطر)

يترك الله العباد حتى يثوبوا إلى الرشاد ويرجعوا عن الكفر والعناد، ويتَّبعوا هَدْى خير العباد سيدنا رسول الله ﷺ.

{ وَلا يُؤْيِسُ مِنْهُ رَاجِيهِ وَلا يُخَيَّبُ فِيهِ }

أي شخص يرتجي منه أمر لا ييئس منه، وهذا الأمر في زمانه وعصره وإلى يوم القيامة وفي الآخرة وفي الجنة إن شاء الله:

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به … إلا وجدت جواراً منه لم يُضم
ومن تكن برسول الله نُصرته … إن تلقه الأُسد في آجامها تجم

لا يوجد أحد ينادي رسول الله ﷺ ويُخيب رجاه، لو ناديت عليه في شدة أو ملمة وقلت يا رسول الله، فستجد الفرج من عند الله ﷻ، يقول ﷺ ما معناه:

{ ما من ألم يُصاب به العبد المؤمن إلا وأجد ألم ذلك عندي }

أي ألم لأي مؤمن في أي زمان أو مكان، فهو ﷺ لا يخيب رجاء أحد أبداً، يقول بعض الأحباب: من لازم الأعتاب ما خاب، والذي يلازم باب الله ﷻ فدوماً مفتوح له الباب، أنا لا أقول كما يقول البعض: من داوم القرع على الباب فُتح له، لكن أقول: ومتى سُدَّ هذا الباب حتى يُفتح؟! الباب مفتوح أبداً:

وأنت باب الله أي امريء … أتاه من غيرك لا يدخل

هو باب الله فلا يُخيب راجيه في الدنيا ولا في الآخرة ولا في الجنة، لأنه ﷺ:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة)

ما حدود حريص عليكم؟!.

{ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ: الْمِراءِ وَالإِكْثَارِ وَمَا لا يَعْنِيهِ }

ما الذي يجب أن نتركه في المجالس؟ المراء هو الجدال، وقد هذبنا وأدبنا ﷺ وقال لنا ﷺ:

{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِراءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا }[391]

وقال في الجدال الذي نشأ في عصرنا:

{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ }[392]

ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ في أحوال الصالحين: "ومدامهم يُجلى بغير جدال" لا يوجد جدال باللسان وأيضاً لا يوجد تنازع بالقلب والجنان: (النساء)

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

{ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ: الْمِراءِ وَالإِكْثَارِ }

كان ﷺ نزْر الكلام، وهكذا الصالحين، وحبَّب في ذلك ﷺ وقال:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ }[393]

المؤمن قليل الكلام، لا يتكلم إلا نزراً إذا كان هناك ضرورة، وفي رواية أخرى:

٣٩١ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي إمامة ﷺ
٣٩٢ سنن الترمذي وابن ماجة عن أبي إمامة ﷺ
٣٩٣ سنن ابن ماجة والبيهقي عن أبي خلاد ﷺ

{ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ: الْمِرَاءِ وَالإِكْبَارِ وَمَا لا يَعْنِيهِ }[٣٩٤]

والإكبار يعني الكِبر، وقد قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[٣٩٥]

وقال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

ألا مـــن يكـــن في قلبـــه بعـــض ذرة   مـــن الكِـبر والأحقــاد مــا هــو ذائــق

الذي يحرم الإنسان من الذوق مرض الكِبر والعياذ بالله.

{ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ: الْمِرَاءِ وَالإِكْثَارِ وَمَا لا يَعْنِيهِ } قال ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }[٣٩٦]

هذا حسن الإسلام، فما بالك بحُسن الإيمان؟ وما بالك بحُسن الإحسان؟ من حُسن الإيمان شغله بالكلية بخالقه وباريه، ومن حُسن الإحسان عدم الاشتغال بالدنيا والآخرة عن خالقه وباريه.

{ وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلاثٍ: كَانَ لا يَذُمُّ أَحَدًا }

دائماً المؤمن يرى حسنات إخوانه وسيئات نفسه، فينظر بعين الرضا:

وعـين الرضـا عـن كـل عيـب كليلـة   ولكـن عـين السُـخط تُبـدي المسـاويا

مرَّ المسيح ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ومعه الحواريين بكلب ميت تخرج منه رائحة منتنة، فقالوا: ما أنتن رائحته، فقال المسيح: ما أجمل بياض أسنانه! هم ينظروا إلى شر ما فيه، وهو ينظر إلى خير ما فيه، وهكذا نظرة الأخ لأخيه، ينظر في الأخ إلى خير ما فيه، ويحاول إذا كان فيه غير ذلك أن يُقومه بلين ورحمة ومودة وبطريقة لا تؤذي أخيه، وهذا المنهج الذي اختاره الحبيب الأعظم صلوات ربي وتسليماته

٣٩٤ معرفة الصحابة لأبي نعيم عن هند بن أبي هالة ﷺ
٣٩٥ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٣٩٦ سنن الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

عليه.

{وَلا يَعِيبُهُ}

لا يعيب أحداً من الخلق أياً كان، لأن الذي يعيب على الصنعة فهو بذلك يعيب على الصانع ﷻ، والإنسان لم يصنع نفسه، فإذا عبت على القصير فإنك عبت على المُصور: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (٣التغابن) وإذا عبت على النعم فقد عبت على الواهب ﷻ، ولكن عب على نفسك:

{طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ}[٣٩٧]

وهل المؤمن انتهى من جهاد نفسه حتى ينظر إلى عيب غيره؟! لا شأن للمؤمن بهذه الأمور.

{وَلا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ}

لا يبحث عن المستور، وهذه جريمة الناس في هذا الزمان، يبحثون عن الأشياء المستورة ليكشفوها، .... الأخ الذي يبحث عن عورة أخيه .... وصفه الله في قرآنه بأنه شرٌّ من الغراب: ﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ (٣١المائدة).

وستراً لعورات الأحبة كلهم   وعفوا عن الزلات فالعفو أرفق

سألوا أبو الدرداء ﷺ وكان له أخ قد زلّ: فلان أخاك زلّ في كذا فماذا أنت صانع؟ فقال لهم ﷺ: أرأيتم إن وقع أخاكم في بئر ماذا أنتم فاعلون؟ قالوا: نمد أيدينا إليه لننقذه، قال: كذلك أخاكم إن وقع في الذنب، وقال في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ: "كن أقرب إلى أخيك عندما يكون قريباً من إبليس" لا تتركه للشيطان يصطاده وينسج عليه خيوطه وحبائله، لكن اقترب منه لترده إلى طريق الله، ولا تجعله يقع في أَسْر عدو الله وهو الشيطان الرجيم.

---

٣٩٧ شعب البيهقي ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

{ وَلا يَتَكَلَّمُ إلا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ }

يُفكر ثم ينطق، لا ينطق ثم يُفكر، لأن الذي ينطق ثم يُفكر يقع في أخطاء، ثم يلوم نفسه ويعتذر، ويظهر بمظهر غير حميد، الروية مطلوبة، فكر وقدِّر لنفسك، فإذا كان الكلام لك فأمضه، وإذا كان عليك فأخفه، وقد قال بعض الصالحين: "من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه".

{ وَإِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ }

عندما وُصف رسول الله ﷺ بهذه الأوصاف كانت له هيبة، ومن هذه الهيبة أنه إذا تكلم أطرق جلساؤه، لأن له هيبة في النفوس، يستمعون بآذان قلوبهم: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝﴾ (الحاقة) ويودون أن الحديث لا ينتهي.

{ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ }

هيئتهم عند سماع حديثه ﷺ كمن وقف على رأسه طائر يريد أن يصطاده، فلا يتحرك بل يسكن تماماً حتى يتمكن من اصطياد هذا الطائر، لا حركة ولا همهمة ولا همسة، كانوا يكتمون ما لا غِنى لهم عنه في مجلسه ﷺ تأدباً مع حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان ﷺ إمامهم في ذلك، فقد قيل في وصفه: "كان إذا جلس بين أصحابه لا يمد رجليه في وسطهم، كان يمد رجليه فإذا دخل أحدهم يضم رجليه، ولا يُخرج شيئاً لا من أنفه، ولا من أُذنه، ولا من فمه، ولا من عينه وهو جالس بين إخوانه، قالوا في ذلك: "كان يحفظ أطرافه" وقد علَّمهم ذلك، وتعلموا ذلك.

{ فَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا لا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ }

يتكلمون مع بعضهم همساً.

{ وَمَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ }

أدبهم مع بعضهم أن يستمعوا لمن يتكلم حتى ينتهي من حديثه، أين ذاك في مجالس المسلمين الآن؟! وهذا أدب علَّمهم إياه رسول الله ﷺ.

{ حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ }

بمعنى إذا أرادوا أن يتكلموا يُراعوا الترتيب، الأول فالأول في الدخول، أو الأكبر فالأكبر بحسب السن، أو الأتقى فالأتقى بحسب الرؤية، المهم تقديم ذوي التقديم، لأن هذا مقام كريم بين يدي النبي العظيم ﷺ.

{ يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ }

كان ﷺ من أدبه العالي يتنزل لهم ويعاملهم كأنه أحدهم:

فيضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه.

ولذلك دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، فَقَالُوا لَهُ:

{ حَدِّثْنَا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: مَاذَا أُحَدِّثُكُمْ؟ "كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، بَعَثَ إِلَيَّ فَكَتَبْتُهُ لَهُ، فَكُنَّا إِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الآخِرَةَ، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ، ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هَذَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ }.[398]

ساعات خفيفة يشاركهم فيها من أجل الأُنس والتنزل ليألفوه.. لا يجوز أن تأخذ الحديث كله في العلم، لأن ذلك يسبب مللاً .. لكنه ﷺ كان يتنزل لهم ويألفهم ويأنس بهم فيشاركهم في بعض هذه الأحاديث.

{ وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ }

إذا جاء غريب ليس من القوم، وحديث عهد بالإسلام، فكان يصبر له، وتحكي كُتب السيرة وقائع كثيرة في هذا الأمر، لأن الغريب لم يتعلم بعد، ولم يتهذب، ولم يتأدب، ويأمر أصحابه أن يُهذبونه، ويؤدبونه، ويُعلمونه.

{ حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ ليستجلبونهم }

كان أصحابه لشدة أدبهم يكفون عن السؤال حياءاً من حضرته، فكانوا يأتون بالغرباء فيسألوا حضرة النبي ليستفيدوا هم من أسئلة هؤلاء الغرباء.

398 أخرجه التِّرْمِذِي، في"الشّمائل" عن زيد بن ثابت ،المسند الجامع.

{ وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ }

يشجعهم النبي ﷺ على قضاء مصالح إخوانهم، ومعاونته ومساعدته ليبلغ هذه المصلحة وهذه المنفعة.

{ وَلا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إلا مِنْ مُكَافِئٍ }

أي مقابل، إما أن يكون إنساناً آمن بالنبي ﷺ وثبت إيمانه، فيستمع لمديحه وثناءه عليه، لأنه عرف أنه صادق الإيمان، لكنه لا يسمع للمنافقين، لأن الله ﷻ قال له في شأنهم:

﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ ﴾ (٤المنافقون)

فكان لا يستمع إليهم ﷺ ولا يُشجعهم على الكلام.وإما أن يكون المكافيء إنساناً أسدى له النبي ﷺ خدمة وأراد أن يشكر النبي عليها، فلا مانع من أن يسمع الثناء من هذا الرجل ويوجه الثناء إلى الله ﷻ.

لكن لا يسمع الثناء من الكافر ولا من المنافق، وكان ﷺ يقول:

{ اللهم لا تجعل لكافر علي يدا فيحبه قلبي } [٣٩٩]

{ وَلا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ }

لا يقطع حديث أحد حتى يتزيد في الحديث عن الحد، فيوقفه، أو يستأذن فيقوم، وفي رواية أخرى: **{ وَلا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُور }** أي يتجاوز الحد في الإثم فيتكلم في غيبة أونميمة، فيستأذن ﷺ ويقوم.

آداب المجالس يجب أن نُطبقها في مجالسنا أجمعين، إن كانت مجالسنا في المساجد، أو في بيوتنا، أو في مصالحنا، أو في أي مكان، فهذا هوبداية السلوك الصحيح إلى الله ﷻ، لقول الله جل في علاه:

﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨ ﴾ (الأنعام).

---

٣٩٩ رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس: من حديث معاذ بن جبل، تخريج أحاديث الإحياء العراقي

خامساً: سيرته ﷺ في سكوته

قال الحسين ﷺ: فسألت أبي علياً ﷺ: كيف كان سكوته ﷺ؟ فقال:

{ كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: الْحِلْمُ، وَالْحَذَرُ، وَالتَّقْدِيرُ، وَالتَّفكِيرُ - وفى رواية - الحكم، والحذر، والتقدير، والتفكر، فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةُ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ، وأما تذكره – أو قال تفكره-: فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى و جُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ فِي الصَّبْرِ فَكَانَ لا يُغضِبُهُ شيء وَلا يَستَفِزُّهُ، وجمع له الحذر فى أربع: أخذه بالحسن، والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ }.

وفى رواية الطبرانى – كما فى (مَجمَع الزوائد) – وجمع له الحذر ﷺ فى أربع:

{ أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ،
، وَتَركُهُ القَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ،
وَاجْتِهَادُهُ الرَّأْيَ فِيمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ،
وَالْقِيَامُ لَهُمْ فِيمَا جَمَعَ لَهُمْ مِنَ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ }.

{ كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: الْحِلْمُ، وَالْحَذَرُ، وَالتَّقْدِيرُ، وَالتَّفكِيرُ }

وفى رواية: **{ الحكم، والحذر، والتقدير، والتفكر }**

حتى سكوت سيدنا رسول الله ﷺ كان له فيه نية، وله فيه عبادة لرب البرية:

نحن نعلم أنه ﷺ كان لا يغفل عن ذكر الله، ومع ذلك يوصف بالحلم: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ (التوبة) فكان ﷺ حليماً لأنه كان يدعوا الناس إلى الله وإلى دين الله.

وأول شروط الداعي إلى الله الحلم مع خلق الله، فيحتاج إلى أن يأخذهم بالروية وبالتؤدة وبالهوادة وباللين وهذا يحتاج إلى الحلم العظيم حتى لا يتركونه ولا يفرون منه، وعلى هذا كان ﷺ.

والحذر مبني على تقدير الأمور:

فكان لا يمشي في أموره عشوائياً، ولكن يُرتب الأمور ترتيباً جيداً، فيُرتب لكل أمر منافعه ومضاره وما سيأتي فيه وبه من الخير، وما سيتعرض له من الشر، وهذا تفكير النبهاء والنجباء والقادة الحكماء، لأن أي أمرمن الأمور لا بد للإنسان أن يُقلبه على كل وجوهه حتى تكون الخطة محكمة في هذا الأمر.

والتقدير هو تجهيز الكيفية التي بها يحصل هذا الأمر ويتم به المراد، وهذا بلغ فيه ﷺ الغاية العظمى.، والتفكر كان عبادة الأنبياء:

وأنتم تعلمون أن أول عبادة لرسول الله في غار حراء كانت التفكر، فكان يتفكر ﷺ في خلق الله، ويتفكر في آلاء الله، ويتفكر في الكيفية السديدة التي بها يشد الخلق شداً إلى حضرة الله، والكيفية التي بها يُرسخ الإيمان في قلوب الصادقين من أتباعه.

هذه الأمور هي التي كانت تشغل رسول الله ﷺ، شرحها الإمام علي شرحاً بسيطاً فقال:

{ فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةُ النَّظَرِ وَالاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ }

تقديره أي ينظر للموضوع من جميع جهاته على السواء، ويشاور، وكان ﷺ أكثر الناس مشورة لأصحابه، ليُدرِّبهم على المسلك السوي الصحيح في مواجهة كل أمور حياتهم، وكل أمور دينهم إن شاء الله.

{ وأما تذكره – أو قال تفكره- فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى }

أي في الدار الآخرة والدار الدنيا، وأن الدار الدنيا دار إلى زوال، وأن الآخرة هي دار القرار، وهذا هو الدافع الأساسي للإنسان للإتجاه إلى حضرة الرحمن ﷻ.

{ وجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ فِي الصَّبْرِ فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيء وَلَا يَستَفِزُّهُ }

وفي رواية: **{ وجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ والصَّبْرِ}**

ولذلك لم يكن هناك شيء يُخرجه عن مشاعره، أو شيء يُغضبه بحيث يفعل ما لا يُستحب، وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ، فهنا يقوم ولا يثبت لقيامته

شيء.

﴿ وجمع له الحذر فى أربع: أخذه بالحسن ﴾

لأنه يُقلب الأمور على وجوهها فيأخذ بأحسن الأشياء.

﴿ والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ ﴾

وفى رواية الطبراني:

﴿ وجمع له الحذر ﷺ فى أربع: أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادُهُ الرَّأْيَ فِيمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالْقِيَامُ لَهُمْ فِيمَا جَمَعَ لَهُمْ مِنَ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.

بهذا نكون قد استوفينا حديث الشمائل الذي ورد عن رسول الله ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع

أول العابدين ﷺ

حقيقة العبادة

الغاية من العبادة

منهاج النبي ﷺ للعابدين

تهجده ﷺ

وقت قيامه ﷺ

صفة صلاته ﷺ

هيئات صلاته ﷺ النافلة في الليل

صلاته ﷺ في الضحى

الباب السابع

أول العابدين ﷺ [400]

الحقيقة من توفيق الله أننا ونحن نتحدث عن سيدنا رسول الله ﷺ كان موضوع الحديث الذي انتهينا إليه في هذه الحلقة عن عبادة رسول الله ﷺ، ووافق ميعادها شهر رمضان، ورمضان شهر العبادة، وما أحوج المؤمنين جميعاً إلى معرفة المنهج السديد في عبادة الله، وحُسن التأسي فيه بسيدنا رسول الله ﷺ.

والله ﷻ بيَّن لحبيبه ﷺ ما ينبغي عليه في عبادة الله في قوله ﷻ:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الحجر)

ما العلاج لذلك؟ وكلنا نشكو في هذا العصر من ضيق الصدور، ومن الأمراض والأحوال التي تُسبب المضائق للخلق أجمعين، أجاب رب العزة:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الحجر).

إذاً علاج الضيق والهم والغم والكرب والشدائد التسبيح والتحميد والسجود لله ﷻ، ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي نزه الله ﷻ أن ترى غيره فعالاً، واحمد الله على عطاياه، واشكر الله بالإكثار من السجود لله ﷻ.

نزه الله أن ترى شريكاً له في فعله، وإذا رأيت الكل من الله وبالله فاحمد الله على جميع عطاياه، ثم اشكر الله ﷻ على ما وهبك من فضله وخيره على الدوام فكن له من الساجدين على الدوام.

هذا الدواء كم مدته؟ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر)

---

٤٠٠ المعادي – الخميس ٥ من رمضان ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٧/٣م

استمر على هذا الدواء حتى يأتيك اليقين، واليقين إما أن نقف عند معناه الشرعي واللغوي وهو الموت، أي اعبد الله على كل حالاتك حتى تلقى الله ﷻ، لأن الرسول ﷺ عرَّفه بذلك، فعندما مات أحد أصحابه ﷺ وهو عثمان بن مظعون ؓ وكان حبيباً لديه، قال فيه ﷺ:{ **أَمَّا هُوَ –أي عثمان- فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ, وَإِنِّي لأَرْجُو الْخَيْرَ لَه** }[401]، فأراد ﷺ باليقين الموت.

وقال ﷺ متحدثاً عن ذاته كما أمره ربه:

{ **مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ وَأَكُونَ مِنَ التَّاجِرِينَ, وَلَكِنْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ, وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ, وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** }[402]

وإما بلسان أهل العرفان:

فاليقين أن يصل الإنسان إلى موت النفس وحياة القلب وحياة الروح، فإذا ماتت النفس عن شهواتها وحظوظها ولذاتها وأهوائها عاش القلب في عالم اليقين.

وعالم اليقين أي عالم الحقائق التي لا تقبل الظن ولا الوهم ولا الخيال ولا الشك، العوالم اليقينية أو العوالم الإلهية كعالم الملكوت وعالم الجنة والعوالم القدسية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنعام).. فاليقين لمن غابت عين حسه عن رؤية الأشياء، ونظر بعين قلبه على باطن المبدعات، وإلى قدرة الله ﷻ المنطلقة في الكائنات، هذا يصل إلى علم اليقين، وهذا يقول فيه ﷺ:

{ **لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات** }[403]

---

401 صحيح البخاري ومسند أحمد عن أم العلاء بنت الحارث ؓ
402 حلية الأولياء لأبي نعيم وأخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني
403 أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة، تخريج أحاديث الإحياء العراقي

حقيقة العبادة

العبادة معناها التقرب والتزلف والتذلل إلى الله عز وجل، كل شيء فيه قول أو عمل يجعل المرء يتقرب به إلى الله، ويتزلف به إلى الله، ويتذلل به إلى الله فهو عبادة، ولذلك تستلزم العبادة لمن يؤديها أن يكون قائماً في مقام العبودية، أي متحلياً بالذل والفقر والإفتقار والحاجة الماسة إلى غِنى الغَني، وإلى فتح الفتاح، وإلى إعزاز العزيز، وإلى علم العليم عز وجل ... يشعر في كل أنفاسه بأنه يحتاج إلى الله عز وجل، حتى في حركة أعضاءه وحواسه، لأن الإنسان لا يتحرك ولا يسكن إلا بإذن من يقول للشيء كن فيكون.

هذه العبادة التي ينبغي أن نكون عليها أجمعين على الدوام لله عز وجل، لأن كل الكائنات قائمة في هذا المقام: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء)

الغاية من العبادة

الغاية من العبادة الإقرار بالعبودية وبالحاجة وبالفاقة إلى عطاء الله، وإلى قدرة الله، وإلى معونة الله وتوفيق الله ورعاية الله عز وجل، هذا الجوهر ينبغي أن يتحقق في أي عبادة، فإذا تحقق هذا الجوهر في الصلاة فاعلم علم اليقين أنها مقبولة إن شاء الله، إذا صلَّى المرء ما شاء الله ولم يشعر في ركعة منها أو في لحظة منها أنه يحتاج إلى مولاه، أو أنه فقير إلى عطاياه، أو أنه لا يستطيع أن يفعل أي فعل أو يتحرك أي حركة إلا بإذن الله، إذا لم يشعر بهذه المعاني فإنه يؤدي الصلاة حركات ظاهرة خالية من الخشوع الذي يقول فيه الله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾(المؤمنون)

ولذلك كان يقول الحبيب ﷺ في سجوده: ﴿ اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ

اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[٤٠٤].

ويقول ﷺ أيضاً في سجوده: ﴿ **اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي، وَبِكَ آمَنَ فُؤَادِي** ﴾[٤٠٥].

كل العبارات عبارة عن تذلل وإقرار لله ﷻ بالعبودية، لأن العبادة تحتاج إلى العبودية لله ﷻ، هذه العبودية لله كل الكائنات قائمة بها، ولا يعصى إلا الإنسان، ولذلك هو الذي عليه المعول في هذه الأكوان، وهو الذي اختصه الله ﷻ بالأنبياء والمرسلين ليقيم عليه الحجة بعد الحجة: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (١٦٥النساء)، حتى تُقام الحجج.

أما الكائنات كلها فمذللة ومسخرة ومُقرة ومعترفة بعظمة الله وقدرته ، وكلها تُسبح الله ﷻ وتحمده على ما أولاها من عطايا جمة لا يحيط بأحدها أحد إلا إذا علَّمه مولاه جل في علاه.

منهاج النبي ﷺ للعابدين

وضع رسول الله ﷺ منهجاً للعابدين، هذا المنهج مرتبط بآيات الله، وبما علَّمه مولاه، فعندما ذكر الله ﷻ بركات أهل الجنة قال في حقهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ (التوبة).

٤٠٤ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ
٤٠٥ الحاكم في المستدرك والبزار عن عبد الله بن مسعود ﷺ

أول صفة قبل العبادة التائبون، لا بد أن يدخل الإنسان على العبادة مجملاً بمقام التوابين حتى يُحبه الله ﷻ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة)

وما جُعلت الطهارة قبل بداية الصلاة إلا تذكيراً للمرء بالتوبة قبل لقاء الله.

فالإنسان قبل أن يناجي الله إن كان في الصلاة أو في تلاوة كتاب الله أو في ذكر لله أو تسبيح أو تحميد أو تقديس لله لا بد أن يبدأ أولاً بالتوبة النصوح لله ﷻ حتى يدخل على الله وقد أُحيط بإطار محبة الله.

والتوبة هنا ليست مرة واحدة، بل تكون التوبة مع كل أوبة، كلما يئوب إلى مولاه يُقدم التوبة بين يدي الله، كلما يريد أن يرجع إلى طاعة الله وإلى عبادة الله بأي عبادة سنَّها لنا رسول الله لا بد أن يبدأ قبلها بالتوبة لله ﷻ، ولذلك استحسن سلفنا الصالح أجمعون أن الإنسان التقي النقي عندما يريد أن يبدأ جلسة مع الله إن كانت تلاوة قرآن أو ذكر لله لا بد أن يبدأها أولاً بالتوبة والاستغفار لله ﷻ ثم بعد ذلك يناجي الله، ويُقبل على حضرة الله، حتى أصحاب الأوراد الطويلة استحسنوا أن يبدأ صاحب هذا الورد أولاً بمائة مرة استغفار لله، ثم يدخل بعد ذلك على أي ذكر لله ﷻ.

إذا دخل الإنسان ميدان العبادة:

فإنه يمتثل لمنهج النبوة، ومنهج النبوة هو أقوم المناهج وأقواها وأفضلها عند الله تعالى وأهداها، وأعدلها في آداء الحقوق وأكملها.

وهو أبين طرق التقرب إلى الله تعالى وأقربها، ومهما جاء العابد بمشاق العبادات وأتى بعظائم من الطاعات لا يقربه ذلك إلى الله تعالى زلفى كما تقربه السنة المحمدية التى سنها رسول الله ﷺ في الطاعات والعبادات وأولاها: أن يقوم الإنسان العابد لله بآداء جميع الحقوق التي كلَّفه بها مولاه دون أن يشغله حق عن أداء حق، ولا يحمله أداء واجب على إهمال واجب آخر، لا يتفرغ لأداء حق الله ثم يترك حق الزوجة، أوحق الأولاد، أو حق الكسب الحلال، لا بد أن يؤدي جميع الحقوق لله ﷻ، فالثلاثة الذين أرادوا أن يتفرغوا لطاعة الله، فذهبوا إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ:

﴿ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ

لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ﴾[406]

ونوى سيدنا عثمان بن مظعون – وكان حبيباً إلى حضرة النبي – أن يقوم بهذه الأعمال التي ذكرها هؤلاء كلها في نفسه، وإذا بحضرة النبي ﷺ يُخاطبه ويقول:

﴿ يَا عُثْمَانُ أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي؟ فَقَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَقمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ ﴾[407]

لو جاءك ضيف في نهار رمضان هل تتركه وتقرأ وردك من القرآن؟! لا يصح، لأن الضيف له حق، والقرآن قد تعوضه في اليوم التالي، قال ﷺ في الرواية الأخرى:

﴿ إِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ﴾[408]

أي الذي يزورك له حق عليك، فالشرط الأول في منهج الحبيب أن يُعطي الإنسان لكل حق حقه، يُعطي حق الله، ويُعطي حق الزوجة، ويُعطي حق الأولاد، وحق البدن، وحق الجيران، وحق الأهل، وحق الأقارب ... يقوم بالحقوق كلها كما ينبغي، فهذا هو المنهج الذي يقول فيه الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

---

٤٠٦ صحيح البخاري وابن حبان عن أنس ﷺ
٤٠٧ مسند أحمد وسنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها
٤٠٨ الصحيحين البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو ﷺ

الأمر الثاني: أن يتخير العابد لنفسه منهجاً يُطيقه، ولا يُحمل نفسه فوق طاقته فلا يستطيع أن يُكمل عبادته وينقطع، فقد كان ﷺ كما قيل في شأنه:

{ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً }[409]

أي يداوم عليه، ورأى ﷺ بعض أصحابه يفرضون على أنفسهم أعمالاً شاقة عليهم فقال:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ }[410]

حتى أنه ﷺ في هذا المنهاج أمر المؤمن أن يضع له منهجاً يناسب كل مراحله حتى يكبر سنه ويوهن جسده ويلقى الله، كان سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص جلداً وفتياً في طاعة الله جل وعلا، فكان يقوم الليل على الدوام، ويصوم النهار، ويختم القرآن كل يوم وليلة مرة، ومتفرغ لطاعة الله، فأراد أبوه أن يُهدِئ من روعه في عبادة الله فزوَّجه، فترك زوجه، وكان عمرو يتعهدها فسألها مرة: كيف حال عبد الله معك؟ قالت: نعم الرجل عبد الله لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً، فحاول معه فلم يستطع، فذهب إلى حضرة النبي ﷺ فأخبره، فقال له ألقني به، فقال ﷺ لعبد الله:

{ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ قُمْ وَنَمْ وَصُمْ وَأَفْطِرْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمُرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ، قَالَ: فَشَدَّدْتُ على نفسي ولم أقبل رخصة النبي ﷺ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ

[409] الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
[410] صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها



اللَّهِ دَاوُدَ. قُلْتُ: وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ؟ قَالَ: نِصْفُ الدَّهْرِ﴾[٤١١]

وصدق الذي لا ينطق عن الهوى، فطال العمر بعبد الله، وأصبح رجلاً كبيراً وكهلاً وشيخاً وضعيف البنية، فكان يقول: يا ليتني أطعت رسول الله وأخذت بنصيحته!!.

ودائماً عندما ترى الإنسان في فترة الإقبال على العبادة له شره كشره الطعام ويريد أن يستكثر، لكن النفس لها شره ولها فترة كسل وملل، فخير الأمور الوسط، لأنه إذا حدث الكسل والملل وتوقف - كما يحدث من كثير من الناس - بالكلية أُصيب بالأمراض الجسمانية والنفسية، فمعظم الأمراض الجسمانية والنفسية سببها التوقف عن العبادات التي يعملها الإنسان ويُديم عليها.

إذا كان الإنسان في حالات المرض الشديد يصف له الطبيب - وخاصة في الأمراض النفسية - أدوية شديدة، ويحذره من تركها مرة واحدة ولكن بالتدريج، وكذلك إذا أقبل الإنسان على العبادات وفتح لنفسه الأمر ولم يراع الوسطية تحدث له صدمة باطنية داخلية عندما يتوقف عن هذه العبادات بالكلية، تُعكر صفو حياته، وتعكر صفاء نفسه، وتعكر علاقاته مع الآخرين، ولذلك قال ﷺ:

﴿ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ، وَلا ظَهْرًا أَبْقَى ﴾[٤١٢]

المنبت هو الذي يضرب دابته حتى تسبق من معه، حتى تقف أو تموت من أثر الضرب، فيسبقه الذين معه، ويظل هو لا أرضاً قطع لأنه وقف، ولا ظهراً أبقى لأنه لم يستطع أن يُكمل، لذلك قال ﷺ:

﴿ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ ﴾[٤١٣]

---

٤١١ صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
٤١٢ سنن البيهقي ومسند الشهاب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
٤١٣ صحيح البخاري وسنن النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

أي اجعل لك وقت في أول النهار، ووقت في آخر النهار، ووقت في وسط الليل، ونسق نفسك على ذلك، قال الله تعالى:

{ ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا }[414]

فالإنسان لا يُكلف نفسه فوق طاقته من العبادات، وإياك ثم إياك أن تفعل العبادات وأنت تشعر بالكسل والملل، فإن هذا لا ينبغي في دين الله قط، أي التكلف، قال ﷺ:

{ أَلا وَإِنِّي بَرِيءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ }[415]

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ:

{ مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرقد }[416]

وقال ﷺ:

{ إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ }[417]

فالعبادة تحتاج أن يكون الإنسان في حالة النشاط، وفي حالة الإقبال، وفي حالة السرور على الله ﷻ، كما كان رسول الله ﷺ، وكما كان الصالحون من عباد الله.

ما الذي جعل رسول الله ﷺ يُطيل العبادة؟ حبَّب الله ﷻ إليه العبادة، وأخذ نفسه بالرفق في طريق العبادة، ولذلك كان يقول عندما يحين موعدها:

{ أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلالُ }[418]

---

٤١٤ حلية الأولياء لأبي نعيم ،والزهد للإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٤١٥ تاريخ دمشق لابن عساكر عن الزبير بن أبي هالة ﷺ

٤١٦ الصحيحين البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٤١٧ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٤١٨ معجم الطبراني وسنن أبي داود

ليس أرحنا منها، ولكن أرحنا بها لأن الصلاة فيها الراحة، ويقول ﷺ:

{ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ }[٤١٩]

وقرة العين أي غاية المنى في الصلاة؛ لأنه يناجي فيها الله جل وعلا، ويتمتع فيها بالأنوار العالية والمشاهد الراقية مع حضرة الله جل في علاه.

وكان على هذا الدرب ولا يزال الصالحين من عباد الله، سيدنا إبراهيم بن أدهم ﷺ كان يقول عن عبادته: "نحن في لذة لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بسيوفهم" لذة طاعة الله ونعيم عبادة الله ﷻ.

وكان بعضهم يقول عن عبادته: "لو كانت الجنة كالحال الذي نكون فيه مع الله في العبادة لكانت شيئاً طيباً" هذا من حلاوة العبادة التي يتمتع بها مع الله جل وعلا؛ لأنه أخذ نفسه بالرفق والتؤدة وعدم الملل، وهذا كان المنهج النبوي لسيدنا النبى ﷺ.

تهجده ﷺ

نأخذ مثالاً لعبادة رسول الله ﷺ ليتضح لنا فيه منهجه المبارك الذي أشرنا إليه في عبادته لمولاه وهو قيام الليل.

ذهب معظم المحققين إلى أنه فريضة على رسول الله ﷺ لقول الله تعالى له:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ (المزمل)

ونافلة لأمته، لكن هناك نص آخر في سورة الإسراء يقول فيه الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾

هل هناك تعارض بين النصين؟ لا يوجد تعارض، لأن النوافل كما بيَّن رسول الله

٤١٩ سنن النسائي ومسند أحمد عن أنس ﷺ

ﷺ في حال الأمة يوم لقاء الله ﷻ يوم القيامة تُستكمل بها الفرائض، فقد قال ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ }[٤٢٠]

إذاً نوافلنا تعتبر فرائض لأننا سنُكمل بها الفرائض، على سبيل المثال: حدث خرق في الثوب الذي تلبسه، فجئت له برقعة منه جعلتها فيه، هذه الرقعة أصبحت جزء من الثوب، فكذلك النوافل إذا استُكملت بها الفرائض أصبحت منها.

متى تكون نافلة؟ إذا استوفيت الفرائض، ومن منا يستطيع أن يستوفي الفرائض بدون النوافل؟! لا يوجد إلا رجل واحد وهو رسول الله ﷺ، ولذلك قال له الله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ لأنك الوحيد الذي استكملت الفرائض، لكن غيرك يستكمل بالنوافل الفرائض:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي، ثُمَّ يَنْصَرِفُ مَا كُتِبَ لَهُ إِلا نِصْفُهَا، ثُلُثُهَا، رُبُعُهَا، خُمُسُهَا، سُدُسُهَا، ثُمُنُهَا، تُسُعُهَا، عُشْرُهَا }[٤٢١]

والباقي من أين يأتون به؟ من النوافل:

{ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ }[٤٢٢]

وعلى هذا يكون تخصيصه ﷺ لكون التهجد نافلة له باعتبار أن تطوعاته ﷺ هي خالصة له في رفعة درجاته وكثرة حسناته وعلو مقامه لكونه لا ذنب عليه، فالتهجد في حقه هو نافلة له خالصة بخلاف الأمة فإن لهم ذنوباً وهي تحتاج إلى كفارات، ولهم تقصيرات وهي تحتاج إلى مكملات، فتطوعاتهم الزائدة على فرائضهم يحتاجونها لتكفير

---

٤٢٠ سنن الترمذي والنسائي عن أبي هريرة ﷺ
٤٢١ مسند أبي يعلي الموصلي والنسائي عن عمار بن ياسر ﷺ
٤٢٢ سنن الترمذي والنسائي عن أبي هريرة ﷺ

ذنوبهم أو لتكميل ما انتقصوا من فرائضهم.

فصاحب مقام النفل الأكمل والفضل الأول هو سيدنا محمد ﷺ الذي أعطاه الله تعالى أعلى رتبة في النافلة ورتَّب على ذلك المقام المحمود الذي تحمده عليه الخلائق كلهم الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة العامة العظمى، فعن عبد الله بن ﷺ قال:

{ إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلانُ، اشْفَعْ يَا فُلانُ، اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ }[٤٢٣]

وهذا كذلك في الصيام، ولذلك يقول الإمام أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب لطالبي طريق المحبوب: "إن من الناس من يتم له صيام شهر رمضان واحد في عمره كله" لِمَ؟ لأن هذا خرقه بالكذب، وهذا بالنميمة، وهذا خرقه بالغيبة، قال ﷺ:

{ الْغِيبَةُ تَخْرِقُ الصَّوْمَ وَالاسْتِغْفَارُ يُرَقِّعُهُ }[٤٢٤].

هذا امتنع عن الطعام والشراب، لكنه أكل لحم أخيه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (١٢الحجرات)، وقال سيدنا عمر ﷺ على المنبر:

" إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها "[٤٢٥].

إذاً رسول الله ﷺ صلاة الليل له نافلة، لكننا نحن نُكمل بها الفرائض.

وقت قيامه ﷺ

كان ﷺ يقوم الليل، وقيام الليل يمتد من بعد صلاة العشاء إلى مطلع الفجر، ولذلك نحن جميعاً نقيم الليل في رمضان بعد صلاة العشاء، وهذا حتى يختار كل مؤمن

---

٤٢٣ صحيح البخاري
٤٢٤ البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة، وتمامه { فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَجِيءَ بِصَوْمٍ مُرَقَّعٍ فَلْيَفْعَلْ }.
٤٢٥ الإحياء وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء وربيع الأبرار ونصوص الأخبار

الوقت الذي يناسب قواه، ويناسب تمام يقظته وحضوره مع حضرة الله، ولا يعتقد أنه باختياره هذا الوقت هو الأفضل من سواه، فإنه لا أفضلية إلا بالتقوى، والتقوى لا يعلمها إلا الله، هو وحده المطلع على القلوب ﷻ:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات)، فكان ﷺ في غير رمضان ينام بعد العشاء مباشرة فقد ورد عنه ﷺ:

{ أنه كان إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ رَكَعَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَوْتَرَ بِسَجْدَةٍ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى يُصَلِّيَ بَعْدَ صَلاتِهِ بِاللَّيْلِ }[426].

لا يتحدث مع أحد بعد صلاة العشاء إلا لضرورة، كمسألة في الدين أو أمر ضرورة يحتاجه الخلق منه.

ثم ينام، وكان يُصلي صلاة الليل مع منتصف الليل، كصلاة التهجد التي نصليها في العشر الأواخر من رمضان، ومنتصف الليل ليس الساعة الثانية عشرة، ولكن الليل يبدأ من أذان المغرب حتى أذان الصبح ثم نقسم عدد الساعات على إثنين.

ولم يثبت عنه ﷺ صلاة واحدة محددة بل كان ينوع.

فقد ورد أنه صلى ثمانية، وورد أنه صلى عشرة، وورد أنه صلى إثنتا عشرة، وورد أنه صلى إثنين، وورد أنه صلى أربعة ... لماذا؟

رفقاً بأمته حتى يأخذ كل إنسان ما تيسر له وما يستطيعه:

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (١٦التغابن) والمهم القبول.

فكان ﷺ إذا استيقظ من الليل يتوضأ ثم ينظر إلى السماء ويقرأ أواخر سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إلى آخر هذه الآيات قبل بداية الصلاة.

ثم يدعو دعاء الاستفتاح، وهناك أدعية كثيرة واردة عن رسول الله ﷺ مثل:

{ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ

[426] مسند أحمد والطبراني عن عبد الله بن الزبير ﷺ

الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَوْ لا إِلَهَ غَيْرُكَ ﴾[٤٢٧]

أدعية كثيرة، المهم أن تأخذ واحداً منها.

وبعد الدعاء كان ﷺ يستفتح بركعتين خفيفتين، وانظر إلى الحبيب ﷺ في الرياضة الإلهية يعلمنا قواعد الرياضة البدنية، فيبدأ بركعتين خفيفتين، ولا يبدأ بالشدة أولاً، وهذا كان هدى رسول الله ﷺ على الدوام، فهو الحكيم الأعظم لله ﷻ.

واستحسن كثير من الصالحين:

أن يقرأ الإنسان في الركعة الأولى بآية الكرسي بعد الفاتحة، وفي الركعة الثانية بآخر آيتين من سورة البقرة لقوله ﷺ:

﴿ الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ ﴾[٤٢٨]

قيل: كفتاه عن قيام هذه الليلة؛ فكأنه قامها.

وقيل: كفتاه كل شر وكل هم وكل أمر يخشاه في هذه الليلة.

المهم أنها تكفيه، ولذلك كانوا يستحسنون ذلك.

صفة صلاته ﷺ

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها واصفة صلاته:

---

٤٢٧ الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ

٤٢٨ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ

﴿ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ﴾[429]

سمة صلاة الليل لرسول الله ﷺ كانت إطالة القيام والتلاوة، وإطالة الركوع، وإطالة السجود، الإكثار من الدعاء فيها، لأنها بين يدي الله فيها مناجاة لله، والذي لا يستطيع أن يقرأ من حفظه يستطيع أن يقرأ من مصحف، والحمد لله العصر يسر لنا الأمور، فهناك مصحف للتهجد نضعه على حامل ونقرأ منه، وهناك مصحف الكتروني يوضع على حامل أيضاً، فلا مانع من القراءة في المصحف إذا كان الإنسان غير حافظ، المهم:

﴿ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ﴾[430]

المهم المداومة ولو ركعتين، والمقامات الإلهية ذكرها الله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

أعلى مقام في هذه المقامات مقام (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) يقول فيه ﷺ:

﴿ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[431]

٤٢٩ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٣٠ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٣١ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الله عَجَلَك لا يريد عدد، بل يريد مدد، ولذلك كان سيدي أحمد البدوي ﷺ يقول لمريديه: "ركعتان في جوف الليل خير من ألف ركعة بالنهار" المهم المداومة، وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ نَبيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فقَالَ ﷺ:

{ أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا }[432]

الصالحين أهل الفتح من الأولين والآخرين سر فتحهم المداومة، الله عَجَلَك يريد المداومة، إذا أردت أن تكون من الصالحين المعنيين بقول رب العالمين: (يونس)

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

لا بد أن تداوم.

{ أَخْلِصْ دِينَكَ، يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ }[433]

كان ﷺ يديم على صلاة القيام وحديث السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً }[434]

تقصد صلاة التهجد: وهي في النصف الثاني من الليل.

كان النبي يُصلي عند السيدة عائشة إحدى عشر ركعة، لكن هناك روايات أخرى عن زوجات النبي الأخريات غير هذا العدد حتى نعرف أن هناك سعة عن رسول الله ﷺ، المهم الذي يجب أن يلاحظه المرء في هذا الأمر قوله ﷺ:

{ لا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ }[435]

وقوله ﷺ:

---

٤٣٢ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٣٣ شعب البيهقي والحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل ﷺ
٤٣٤ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٣٥ سنن الترمذي وأبي داود عن طلق بن علي ﷺ

{ اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا }[436]

تعمل بالحديثين:

- بمعنى إذا تعودت على قيام الليل فأخر الوتر إلى ما بعد القيام كما كان يفعل الصديق رضي الله عنه.
- وإذا كنت تخشى من عدم القيام فخذ بالعزيمة كما كان يأخذ الفاروق عمر رضي الله عنه، فكان يُصلي الوتر بعد العشاء، وإذا قمت للقيام فصلِّ ركعة واحدة تصير مع الوتر شفعاً ثم صلِّ ما شئت واختم بركعة الوتر.

فآخر صلاة الليل وتر، كما أن آخر صلاة النهار وتر وهو المغرب لحكمة يعلمها رب البرية عز وجل.

واستحسن ﷺ ومن حوله من أصحابه والصالحون أجمعون أن يكون الجزء الأخير من الليل قبل الفجر للاستغفار والدعاء:

﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ (آل عمران)

هذا وقت الاستغفار والدعاء، وعندما ذهب أبناء يعقوب إليه وقالوا:

﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ ﴾ (٩٧يوسف)

فقال لهم: **﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾** (٩٨يوسف)

فسُئل النبي ﷺ في ذلك فقال:

{ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ وَالدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ، وَقَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي، يَقُولُ: حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ }[437]

٤٣٦ الصحيحين البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

٤٣٧ جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه

وقت السحر يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ }[٤٣٨]

إذاً وقت ما قبل الفجر:

- يستحسن أن يقضيه المسلم في الدعاء لأنه وقت إجابة، ويقضيه في الاستغفار لله تعالى حتى تحين صلاة الفجر.

وانظر إلى حضرة النبي ﷺ حتى نوضح منهجه كما تقول السيدة عائشة والسيدة أم سلمة والسيدة زينب وغيرهن من زوجات النبي في وصف حالاته:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَجَعَ مِنَ الْمَسْجِدِ، صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ مَالَ إِلَى فِرَاشِهِ وَإِلَى أَهْلِهِ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ قَضَاهَا، ثُمَّ يَنَامُ كَهَيْئَتِهِ }[٤٣٩]

- يعطي لكل ذي حق حقه.
- لا بد في العبادة أن يكون القائم بها متوسطاً.
- ويقوم بكل الحقوق لجميع أهلها كما كان ﷺ.

٤٣٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٣٩ شرح معاني الآثار للطحاوي عن عائشة رضي الله عنها

هيئات صلاته ﷺ النافلة في الليل

كانت هيئة صلاته ﷺ النافلة في الليل على أنواع ثلاثة:

أولها:

أنه ﷺ كان أكثر صلاته قائماً.، فعن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:

{ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ – نافلته - قَاعِدًا، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا }[٤٤٠]

وثانيها:

أنه ﷺ كان يصلي قاعداً ويركع قاعداً، كما ورد عن السيدة عائشة ﵂:

{ كَانَ يُصَلِّي لَيْلا طَوِيلا قَائِمًا، وَلَيْلا طَوِيلا قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ قَائِمًا رَكَعَ قَائِمًا، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ قَاعِدًا }[٤٤١]

وثالثها :

أنه ﷺ كان يقرأ قاعداً فإذ بقي يسير من قراءته قام فركع قائماً، كما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي – أي النافلة - جَالِسًا، فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَدْرُ مَا يَكُونُ ثَلاثِينَ، أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً، قَامَ فَقَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ يَفْعَلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ }[٤٤٢]

وكان ﷺ يرشد للحفاظ على المداومة:ط

---

٤٤٠ صحيح مسلم وسنن الترمذي
٤٤١ صحيح مسلم وسنن أبي داود
٤٤٢ صحيح مسلم وسنن الترمذي

فمن نام عن حزبه من الليل فليأتي به ما بين صلاتى الفجر والظهر، فيقول ﷺ:

{ مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ }[٤٤٣]

صلاته ﷺ في الضحى

وكان ﷺ أيضاً يُصلي صلاة الضحى، ولم يكن له عدد محدود، ولا وقت معين، فكان يُصليها من بعد الشمس بثلث ساعة إلى قبل الظهر بثلث ساعة، وأحياناً كان يُصلي الفجر ثم يمكث يذكر الله حتى تطلع الشمس، وبعد الشمس بثلث ساعة يقوم إلى الصلاة، ويقول ﷺ في هذا الوقت:

{ مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ }[٤٤٤]

{ بَعَثَ ﷺ النَّبِيُّ بَعْثًا قِبَلَ نَجْدٍ فَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ لَمْ يَخْرُجْ: مَا رَأَيْنَا بَعْثًا أَسْرَعَ رَجْعَةً وَلَا أَفْضَلَ غَنِيمَةً مِنْ هَذَا الْبَعْثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ أَفْضَلُ غَنِيمَةً وَأَسْرَعُ رَجْعَةً، قَوْمٌ شَهِدُوا صَلاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ جَلَسُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ حَتَّى طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ فَأُولَئِكَ أَسْرَعُ رَجْعَةً وَأَفْضَلُ غَنِيمَةً }[٤٤٥]

أكثر من هؤلاء في السرعة والغنيمة من عند الله، وكانوا يسموها الغنيمة الباردة، أي التي لا تأتي عن طريق ضرب برمح أو سيف، ولكن تأتي عن طريق ذكر باللسان، وطاعة لله ﷻ بالأبدان.

---

٤٤٣ صحيح مسلم وسنن الترمذي غن عمر بنالخطاب ﷺ

٤٤٤ سنن الترمذي عن أنس ﷺ

٤٤٥ جامع الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

وهى الغنيمة الإلهية من السكينة والطمأنينة والخشوع والخضوع والرضا عن الله وحلاوة طاعة الله ... وغيرها من الغنائم التي يفيضها الله ﷻ على عباده الصالحين الذين يحرصون على هذه الأوقات.

- وكان ﷺ أحياناً يصلي الضحى ركعتين.
- وأحياناً يصليها أربع ركعات.
- وأحياناً يصليها ست ركعات.
- وأحياناً يصليها ثماني ركعات.
- وأحياناً يصليها اثني عشر ركعة.
- كل هذا وارد عن رسول الله ﷺ، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي مِنَ الضُّحَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ }[٤٤٦]

وقالت السيدة أم هانيء بنت أبي طالب بنت عم رسول الله:

{ لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ وَسَتَرَتْهُ أُمُّ هَانِئٍ وَأُمُّ سَلَمَةَ، فَاغْتَسَلَ وَصَلَّى الضُّحَى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ }[٤٤٧]

وعن سيدنا أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

{ من صلى الضُّحى ثِنْتَيْ عشْرَةَ ركعةً بَنَى اللّه له قصراً في الجنة من ذهب }[٤٤٨]

إذاً لا حد لأقلها، ولا حد للزيادة في شأنها، كل إنسان يعمل في شأنها بقول الله:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (١٦التغابن)

٤٤٦ مسند أحمد
٤٤٧ المعجم الكبير للطبراني
٤٤٨ سنن الترمذي وابن ماجة عن أنس

لكن يقول فيها ﷺ:

﴿ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا، يُقَالُ لَهُ: الضُّحَى، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُدِيمُونَ عَلَى صَلاةِ الضُّحَى؟ هَذَا بَابُكُمْ فَادْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ﴾[449]

ويقول ﷺ:

﴿ مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ رَكْعَتَيِ الضُّحَى لا يَقُولُ إِلا خَيْرًا، غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ ﴾[450]

- هذه بعض الآداب المتعلقة بالصلاة، فكان ﷺ يحافظ على هذه النوافل لله ﷻ.
- أما الصيام فقد ذكرناه بالتفصيل في كتابنا: (الصيام شريعة وحقيقة).
- والحج ذكرناه في كتابنا: (زاد الحاج والمعتمر).
- والأذكار ذكرناها في أكثر من كتاب من كتبنا وخاصة كتاب: (أذكار الأبرار) والدعاء ذكرناه في كتابنا: (مفاتح الفرج) وجمعنا الأذكار والأدعية والأوراد فى كتابنا (جامع الأذكار والأزراد).

نسأل الله ﷻ أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وأعمالنا ويجعلنا من عباده الصالحين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

449 معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

450 سنن أبي داود ومسند أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه

الباب الثامن

جمالات الحبيب

المعنوية ﷺ

أخلاق الصالحين

حديث القرآن عن أخلاق النبي ﷺ

الباب لمكارم الأخلاق

سبيل دعوته

طريق تجميل الأخلاق

الباب الثامن

جمالات الحبيب المعنوية ﷺ [451]

نحن جميعاً في أمس الحاجة إلى جمالات الحبيب ﷺ، وفي منتهى الشوق لبلوغها لتمام صورته وجمال تربيته الأخلاقية، فهو الذي ربَّاه مولاه، لم يربه أب ولا أم، ولا مدارسة في كتاب، ولا دراسة في معهد أو جامعة، ولا مجالسة لذوي وجاهة وجاه، وإنما كما قال ﷺ مجيباً لخير رفيق وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما قال: يا رسول الله لقد طفت بلاد الشام وبلاد العجم وبلاد اليمن ولم أر مثل أدبك، فمن أدبك؟ فقال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَنِي وَأَحْسَنَ أَدَبِي، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ }[452]

فالله ﷻ فصَّل في قرآنه الأدب الذي يحبه من خلقه لينالوا قربه ورضاه، وبيَّن ذلك لحبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه، فقام بذلك، ونشَّأ نفسه على ذلك، وصار مثالاً كريماً طيباً لكل ذلك، ولَّما وجد الله ﷻ منه ذلك أثنى عليه ومدحه فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم)

مدحه الله وأثنى عليه لحُسن تأدبه بكتاب الله، وصيرورته على الأدب الذي اختاره الله ﷻ للمقربين في كتاب الله، فصار ﷺ هو المثال الحي الناطق بحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله لكتاب الله ﷻ.

فهو كتاب الله ﷻ المتحرك، وهو كتاب الله ﷻ الظاهر بالمظاهر، ليتخلق به

451 المعادي – الخميس ٩ من شوال ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٩/٤م
452 أدب الإملاء والاستملاء لابن السمعاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

المقربون، وليتحقق بأوصافه المحبون، فينالوا ما نال، ويصلوا إلى غاية منتهى ما وصل إليه عند الله ﷻ.

وبيَّن الله ﷻ لأهل الكمال أصل هذه الأوصاف، وسر هذه الخلال التي بثَّها في كتاب الله، وكان عليها حبيب الله ومصطفاه، فقال عز شأنه في القراءة القرآنية الأخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِ عَظِيمٍ﴾ (٤القلم) (خُلُقِ) مضاف، و (عَظِيم) مضاف إليه، أي أنت على خُلُق العظيم، والعظيم هو الله ﷻ، أي أنت على أخلاق الله، فأصل هذه الأخلاق التي في كتاب الله هي أخلاق الله، التي جعلها نبراساً للصادقين والصالحين من عباد الله، بها يبلغوا أعلى مقامات قربه ورضاه جل في علاه، ولذا قال ﷺ محبباً في هذا المنهاج الكريم، ومُلمعاً إلى هذا المقام العظيم:

{ إن للـه مائة وبضعة عشر خلقاً من أتى بواحد منها دخل الجنة }[٤٥٣]، قيل: **" ويتعين على المؤمن التخلق بأخلاق الله تعالى والتعلق بأسمائه وصفاته "**

أخلاق الصالحين

ولذا كان أهل المقامات العالية من الأولياء والصديقين والشهداء والصالحين هم الذين بزُّوا وانفردوا في التخلق بأخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وانظر في دواوين المقربين، وفي سِيَر الصالحين، تجد هذه الحقيقة رأى العين:

- هذا الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي ﷺ أراد نفر من حُسَّاده أن يمتحنوا جمال أخلاقه:

فأوعزوا إلى رجل سفيه أن يتبعه ويمشي وراءه يسبه ويشتمه، فمشى الرجل وراءه يسبه ويشتمه حتى وصل إلى قريب من منزله، وإذا بالإمام علي زين العابدين يلتفت إليه وقال له: يا هذا إن كان بقي عندك شيء فهاته حتى لا يسمعك الصغار فيُسمعونك ما تكره، فأُخزي الرجل، وكان الحاقدون والحاسدون يتَّبعونه، فقالوا:

٤٥٣ الأول فى الإحياءو تعريف الأحياء بفضائل الإحياء والثانى تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي وعون المعبود فى شرح سنن أبى داود.

ما هذا؟! فقال رضي الله عنه:

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيبا

- وهذه أخلاق الحسين، وهذه أخلاق عبد الله بن العباس ابن عم الحسين، وهي أخلاق النبي الأمي الذي علَّمه الله عز وجل ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما.
- تبع رجل عبد الله بن العباس وآذاه بقوله، فلما وصل قريباً من مترله نادى على خادمه وقال له:

يبدوا أن هذا الرجل له حاجة فاقضي له حاجته، وأعطي له كذا – مبلغاً ضخماً من المال – وقال له: يا أخي خذ هذا فإن هذا ما معنا، وإن كان لا يفي بحاجتك، وإن كان معنا أكثر من هذا أعطيناك جزاء ما فعلت معنا.

فما كان من الرجل إلا أن ظهر عليه الخزي، وظهر عليه الذل، لأن هذه معاملة الكرام الذين يقول الله عز وجل في وصف إمامهم صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة:

{ وَلا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا }[٤٥٤].

والحديث في هذا المجال عن الصالحين لا يسعنا الوقت فيه وإن جلسنا إلى مطلع الفجر، لأن هذا ميدانهم، وهذا مضمارهم في السباق إلى القرب من ربهم عز وجل.

وإياك أن تظن أن مضمار السباق هو العبادات:

لكن مضمار السباق هو:

الأخلاق على قدم سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، والتي هي منبعها وأصلها كتاب الله، وحقيقتها التخلق بأخلاق الله جل في علاه.

٤٥٤ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك

حديث القرآن عن أخلاق النبي ﷺ

والله ﷻ وصف نبيه وأخلاقه في كتابه، حتى لم يُبق وصفاً لواصف:

كل ما نحتاجه أن نحاول أن نأخذ ملمحاً في آية وصفها بها ربه، أو فهماً في عبارة أثنى عليه به ربه، ولن نصل إلى منتهى الفهم، ولن نصل إلى غاية المراد في الآية، لكن كلٌ يأخذ على قدره بما شرح الله به صدره.

وما أخذ الأولون والمعاصرون ومن بعدهم إلى يوم الدين من بحار العلوم الإلهية التي أفاضها الله على قلب سيد الأنبياء والمرسلين إلا قدر نقطة صغيرة من محيط الله ﷻ الأعظم الذي لا يحيط به الأولون ولا الآخرون، فلا يقول أحد: أنا بلغت الغاية في هذا الميدان، أو ما قلته في هذا الأمر لم يقله أحد من الأولين والآخرين!!.

الإمام ابن الفارض ؓ كان يتغنى دوماً في حب الله، وفي الثناء على مولاه، وفي مناجاة الله، فلما مات رآه أحد أحبابه في المنام وقال: يا سيدي لِمَ لم تمدح رسول الله ﷺ في نظمك؟ والنظم هو الشعر الحكمي وهو غير الشعر العام، يقول فيه النبي ﷺ:

{ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً }[455].

فقال له الشيخ ابن الفارض وهو في عالم البرزخ:

أرى كل مدحٍ في النبيِ مقصَّرا ... وإن بالغ المُثنِي عليه وأكثرا
إذا اللهُ أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى؟!

إذا كان الله أثنى عليه، فمن يستطيع أن يقارب ثناء الله ﷻ؟!

حاشا لله ﷻ، ولذلك كان الإمام أبو العزائم ؓ عندما يتحدث عن رسول الله ﷺ يقول: أبين على قدري بما شرح الله صدري.

أما كمالات هذا الدري المنير الممنوحة من العلي الوهاب ففوق الإدراك والتصوير،

455 سنن ابن ماجة والبيهقي عن أبي بن كعب الأنصاري ؓ

وما أنا حتى أبين قدر رسول الله ﷺ، ثم يقول:

على قدري أصوغ لك المديحا	ومدحك صاغه ربي صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى	أوفي قدرك السامي شروحا
ولكني أحبك ملء قلبي	فأسعد بالوصال فتىً جريحا

فلا يوجد من الأولين ولا الآخرين إلى يوم الدين من يستطيع أن يوفي بعض قدر سيد الأولين والآخرين ﷺ، وإنما نطوف طوفاً على قدر الوقت، وما يسمح به الله للحاضرين على آيات كتاب الله تعالى التي تتحدث عن أخلاق سيد الأنبياء ﷺ.

انظر إلى تأديب الله لحبيبه ﷺ، مرة يقول له: (الأعراف)

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾

ومرة يقول: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾(١٣المائدة) ومرة يقول: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ (٨٥ الحجر) كل هذه التوجيهات – وما أكثرها في آيات كتاب الله – تدلك على الغايات العظيمة التي منحها الله لحبيبه ومصطفاه، لتفقه أن الأخلاق الإلهية منحة ذاتية من رب البرية لمن اختاره من أهل الخصوصية، لا تحتاج إلى مدارس للتعليم، ولا مناهج للإتباع، وإنما حب صادق لله، وإخلاص القصد في وجه الله، بسِّر ذلك تُفاض هذه المنح عليك من حضرة الله.

ولذلك يقول إمام الصوفية وسيد طائفتهم الإمام الجنيد ﷺ: "إنما قال الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ لأنه لم يكن له همة إلا في الله" فسر بلوغ المرتبة أنه لم يكن له همة إلا في الله، ولا نية إلا في وجه الله، ولا قصد إلا في رضاه، ولا يرجوا من الكونين سواه، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يقول ولا يفعل إلا طلباً لوجه الله، بسر ذلك أفاض الله ﷻ عليه أوصافه الإلهية، وخصاله ﷺ الربانية، لأنه لا يريد بذلك إلا وجه الله جل في علاه.

لكن الذي يتخلق بهذه الأخلاق يرجوا شيئاً من الخلق أو من الدنيا الفانية فهذا تصنع وتكلف، وقد قال ﷺ:

{ أَلا وَإِنِّي بَرِيءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ }[٤٥٦]

قد يتصنع الإنسان الحلم لغاية في نفسه، فإذا لم ينل الغاية ظهر مكنون ما في نفسه، لكن الحبيب انظر إليه لتعلم قدر منح الله عليه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

{ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلا حَقٌّ }[٤٥٧]

لكن من تصنَّع إذا غضب لا يستطيع أن يحافظ على هذا الخُلُق، ولذلك كانوا يقولون: (اغضب الرجل تعرفه) تعرف إن كان متصنع أم منحة، إذا غضب تعرف ما في مكنونه، فإذا كان المكنون والباطن ليس فيه إلا حضرة الرحمن، فيكون ظاهره كباطنه، وباطنه خير من ظاهره، وهذا ما كان عليه الحبيب، وما عليه أهل الخلة والمعية الذين دخلوا في زمرة الحبيب ﷺ، وهذه منحة إلهية:

تخلق بأخلاق الإله وحافظن ... على منهج المختار في العُقد تُنسق

يكفي أن تعلم أن رسول الله ﷺ ما مدحه الله وأثنى عليه بهذا القول الكريم إلا بعد أن جمع له كل أخلاق النبيين والمرسلين السابقين وزاده عليهم:

فاق النبيين في خلق وفي خُلُق ... فلم يدانوه في علم ولا كرم

---

٤٥٦ تاريخ دمشق لابن عساكر، والسابع من فوائد البحيري عن الزبير بن أبي هالة رضي الله عنه
٤٥٧ سنن أبي داود والدارمي

إذا رأيت في كتاب الله مدح أنبياء الله واصفياء الله ورسل الله تجد المدح كله في مدى تخلقهم بأخلاق الله، فمدح إبراهيم بقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ (النجم) وإسماعيل بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ (٥٤مريم) وداود بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ (ص) ونوح بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإسراء) كل أنبياء الله منحهم الله صفة كريمة من أوصاف الله، وجمع كل هذه الأوصاف وزاد عليها لحبيبه ومصطفاه، فالأنبياء عظماء، وهم عظماء الأولياء، ولكل عظيم صفة أو أوصاف منحها الله ﷻ له، وهو ﷺ فوق كل هؤلاء العظماء: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم) أي أعلى من كل ذو خُلُق عظيم من الأنبياء والمرسلين السابقين لأن الله ﷻ جمع له وزاده من عنده وقال له: (النساء)

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

علمك ما لم تكن تعلم عن الأنبياء والمرسلين وعلومهم وأسرارهم وحقائقهم ومقاماتهم وقربهم من الله، ثم بعد ذلك كان فضل الله عليك عظيماً.

الباب لمكارم الأخلاق

إذاً الأخلاق المصطفوية منحة إلهية، والباب إليها صدق النية، وصفاء الطوية، والإخلاص في القصد في كل قول أو فعل أو حركة أو سكنة لرب البرية.

الطريق واضح، ليس بكثرة الأذكار، ولا بالقيام ولا القعود، لكن بالصفاء والنقاء والإخلاص لنور الله ووجه الله جل في علاه، قال ﷺ:

(طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَنجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ)[458]

وفي رواية أخرى:

(إِنَّ لِلَّهِ ضَنَائِنَ مِنْ خَلْقِهِ يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، وَإِذَا تَوَفَّاهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، أُولَئِكَ

٤٥٨ شعب الإيمان للبيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن ثوبان ﷺ

الَّذِينَ تَمُرُّ عَلَيْهِمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَهُمْ فِيهَا فِي عَافِيَةٍ ﴾[459]

لأنهم أخلصوا القصد لله عَجَلّ:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص)

هؤلاء في رعاية الله وعناية الله لأنهم أخلصوا القصد لله، والنية لوجه الله عَجَلّ.

ما الذي يعين أيضاً على بلوغ المراد؟

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)

جاهد نفسك لتملأ قلبك بالرحمة لكل كائنات الله، لا أقول لخلق الله، ولكن لكل كائنات الله، حتى الطيور في أكنافها، حتى الوحوش في غاباتها، حتى الأسماك في بحارها، حتى المؤذيات فلهم نصيب من رحمة الحبيب حدثتنا السير في شأنها.

والوارث له حكم مورثه:

فلا بد أن يكون معك رحمة لكل هؤلاء، لذلك جهادك الأعظم في التخلص من الفظاظة والغلظة والقسوة والزجر لكل خلق الله، وهذا أمر يحتاج إلى جهاد شديد.

وانظر إلى هذا النبي ﷺ ليس معه دراسات أكاديمية، ولا كُتب في مكتبة، ولا درس من السابقين، ولا تعلم من المعاصرين، وقاد أُمَّة كلهم كالوحوش المفترسة في الغلظة والقسوة والفظاظة، يكفي أن الرجل منهم كان يدفن إبنته حية وتستغيث به ولا يسأل في شأنها! ماذا صنع بهم؟

هذبهم، وأدبهم، ورقق مشاعرهم وأحاسيسهم، ولطف قلوبهم، وعطَّف أحوالهم، حتى صاروا كما تحكي كُتب السِير عنهم رحماء أرقاء بكل ما تحت أديم السماء، وما على ظهر هذه البطحاء.

---

٤٥٩ معجم الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

الرقة التي بلغت بالرجل أنه ينصب فسطاطه – خيمته – في الفسطاط، وتأتي يمامة فتصنع لها عشاً على فسطاطه وتبيض، وأبلغه عيونه بأن الأعداء يتجهزون في الإسكندرية، وأمر الجيش بالرحيل لملاقاة الأعداء في الإسكندرية، فأخبره من حوله أن هناك يمامة باضت على خيمته، فقال لهم: دعوا الخيمة كما هي، ولا تروعوها حتى لا ينكسر بيضها حتى نرجع من معركتنا!!

أين تعلموا ذلك؟ ومن الذي أكسبهم ذلك؟

هذا النبي الشفوق العطوف الرءوف الرحيم ﷺ، الذي أتت إليه اليمامة ترفرف بأجنحتها عليه وتحدثه، ولا يعلم حديثها إلا هو بما علَّمه ربه، فقال:

{ مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا }[٤٦٠]

وكانت الحيوانات تذهب إلى حضرته وتضع فمها على أذنه وتشكو له، شكا إليه جمل في أذنه، فقال ﷺ:

{ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ فَجَاءَ شَابٌّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: أَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ }[٤٦١]

مَن الذي ورَّثهم هذه الخلال؟

سيدنا رسول الله ﷺ!

ولذلك تحول من راع للغنم إلى راع للأمم، لأنه استطاع أن يقود هذه النفوس الجانحة وهذه الأفراد الجامحة وينزع منها الغل والحقد والحسد والشدة والغلظة ويجعلها تلين في ذات الله؛ حتى كانت الدموع تملأ المجلس الذي يجلسون فيه مع رسول الله ليستمعون حديثه العذب، تنهمر الدموع سحاً على وجوههم لرقة قلوبهم عند سماع حديثه صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٤٦٠ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

٤٦١ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه

سبيل دعوته

وبيَّن ﷺ الطريق الوحيد والسبيل الأوحد الذي تُبَلَّغ به رسالته منذ عصره وأوانه إلى يوم الدين فقال ﷺ:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ }[462]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ }[463]

كل واحد فينا ينبغي أن يعتقد تمام الاعتقاد أنه بمجرد انتسابه لهذا الدين، وانتمائه لسيد الأولين والآخرين ﷺ أن يكون صورة من حضرته في أخلاقه الكريمة مع أهل بيته، زوجه وأولاده وخدمه، ومع ذوي قرابته، ومع جيرانه، ومع رفقاءه في المسجد ،ومع زملاءه في العمل ... يكون صورة كاملة من سيدنا رسول الله ﷺ، وفى الأثر :

{ الولدُ سرٌّ أبيه }[464]

لِمَ ينال الولد ميراثاً من أبيه؟ لأنه صورته، وعندما يراه أحد يتعرف عليه ويقول هذا ابن فلان، لأنه أشد الناس به شبهاً، وأقرب الناس له صورة، وإذا كان هناك انسجام بين الولد وأبيه ترى الولد يتشبه بأبيه حتى في حركاته وسكناته، حتى في طريقة حديثه ،حتى في ترتيب أموره ... في كل أحواله، ولذلك يستحق الميراث.

والنبي ﷺ قال لنا الله ﷻ في شأنه: (٦الأحزاب)

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾

إذاً هو أبوهم، فلذلك من أراد أن يرث في ميراث الرسول ﷺ الذي قال فيه ﷺ:

---

٤٦٢ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه

٤٦٣ مسند الشهاب وكشف الأستار عن أبي هريرة رضي الله عنه

٤٦٤ اشتهر بين الناس بأنه حديث وليس كذلك، المقاصد الحسنة للسخاوى، واللآلئ المنثورة فى الأحاديث المشهورة.

{ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دَرَاهِمَ وَلا دَنَانِيرَ وَإِنَّمَا وَرَّثُوا هذا العِلْمَ }[٤٦٥]

فلا بد أن يكون صورة من أخلاق حضرته: صورته المعنوية، وصورته الاخلاقية، وصورته النورانية! يكون صورة من رسول الله، حتى من يراه يقول هذا الرجل أشبه الناس برسول الله ﷺ في أخلاقه وأحواله، وهذا سر ميراث الصالحين.

بِمَ ورثوا رسول الله ﷺ في تركته الإلهية؟

بالتخلق بأخلاقه ﷺ القرآنية، كانوا كلهم على هذه الشاكلة، وكان كل جهادهم في التخلق بهذه الأخلاق، ولذلك كانوا يقولون لمن يدربونهم على الجهاد: " ليست الكرامة أن تطير في الهواء فإن الطيور تفعل ذلك، ولا أن تمشي على الماء فإن الأسماك تفعل ذلك، ولا أن تقطع بين المشرق والمغرب في لحظة فإن الشياطين تفعل ذلك، ولكن الكرامة أن تغير خلقاً سيئاً فيك بخُلُق حسن".

هذه هي الكرامة:

تُكرم نفسك بأن تغير أخلاقك بأخلاق الحبيب ﷺ، إلى أن تصبح لوحة فيها الأخلاق الكريمة التي أرسل الله ﷻ بها الحبيب للعالم أجمع.

أي اجعل نفسك – بلغة العصر – مندوب مبيعات، إذا كان مندوب المبيعات على خُلُق طيب فإنه يقوم بدعاية جيدة لشركته، وينشر مبيعاتها، ويوسع عملاءها، لكن إذا كان صورة سيئة فإنه سيكون صورة شاذة لشركته!!!

وهذه هي المصيبة التي حلت في هذا الزمان بعالم الإسلام:

كثرت النماذج السيئة من الفئات الظلمانية، والجماعات المتشددة على غير هدى من خير البرية، والذين نشروا الذبح وسفك الدماء بإسم السماء!!

هؤلاء شوهوا صورة الإسلام في العالم أجمع!!

وهل هذه هي الصورة التي جاءنا بها وأمرنا بها سيد الأولين والآخرين ﷺ؟ لا،

٤٦٥ رواه أبو الدرداء، تفسير السمرقندي، ويؤيد الحديث { إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة} أخرجه النسائى عن أبى الزناد وروى عن أبى بكر باختلافات وقيل الصدقة فى العلم الذى تركوه أو المال والعلم.

فالصورة التي أخبرنا بها إمامنا الإمام أبو العزائم قال فيها:

"آل العزائم أطباء رحماء لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر فما بالك بالمؤمن المطيع؟!".

طريق تجميل الأخلاق

للأسف نجد من يُنفر المؤمنين، وينال سخط المحيطين، وصورة سيئة في كل مكان يذهب إليه في الدنيا، ومثل هذا يشوه صورة الحاضرين والسابقين إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ، لذلك لا بد أن يكون الواحد فينا صورة طيبة لحبيب الله ومصطفاه،كيف؟

جمِّل خُلُقك، ليس بتجميل الجسم، ولكن جمِّل قلبك، طهره ونظفه لله، واجعله مشغولاً بالكلية بحضرة الله!!

واترك الجيفة التي فيه، فكل مشاكل الأحباب من الجيفة التي وضعوها في القلب، والتفكير في طلبات الجيفة، وكل همك في الجيفة في الدنيا الدنية، مع أنك لو كنت مع الله فإنه سيكفيك كل شيء، قال الإمام علي رضي الله عنه:

أترضى بصراف ولو كان كافراً ضميناً ولا ترضى بربك ضامناً

تطمئن أنك تأخذ كل شهر من الصراف كذا ولو كان يهودياً أو غيره، ولا تطمئن إلى وعد الله!! والرجل المندوب عن حضرة الله يقول:

"كن أوثق بما في يد الله منه بما فى يد نفسك" ربما ما في يدك يتركك ويذهب لغيرك"

لكن ما عند الله مضمون ومأمون!!

لكن الشك موجود في القلوب!!!

والجيفة التي وضعناها طمست كل الحواس الروحانية الموجودة في القلوب!!

فتجعل الإنسان لا يرى بنور الإيمان، ولا يستمع لكلام الرحمن، ولا ينتصح بكلام النبي العدنان، لكن كل همه مع أهل النيران الذين يمشي معهم.

إذا أراد الإنسان أن يتخلق بالأخلاق النبوية القرآنية الربانية:

فعليه أولاً :

بطهارة القلب بالكلية من الدنيا الدنية.

أصحاب رسول الله كان من دعائهم:

"اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا"

ونحن كأننا نقول: اللهم اجعلها في أيدينا وفي قلوبنا!!

لا بد من خروج الدنيا، قال ﷺ:

{ قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَعِزَّتِي لا أَجْمَعُ لِعَبْدِي أَمْنَيْنِ وَلا خَوْفَيْنِ، إِنْ هُوَ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي، وَإِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي }[٤٦٦]

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ (٤الأحزاب)

رجل من الأكابر المشهورين الكبار هو الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو من أعظم قادة التصوف في العالم كله، يقول:

"زيد لي – وُلد لي – إثنى عشر ولداً، ما زيد لي أحدهم إلا وكبرت عليه أربع تكبيرات"

أي لا تشغلني به عنك يا رب، ولكن اشغلني بك، لأن الإنسان الذي يختاره الرحمن ليكون من عباد الرحمن لا يشتغل قلبه بغير مولاه طرفة عين ولا أقل.

سيدنا إبراهيم الخليل:

---

٤٦٦ مسند الشاميين للطبراني، وحلية الأولياء لأبي نعيم عن شداد بن أوس ﷺ

- عندما رزقه الله بالولد بعد ثمانين عاماً، وقبل أن ينشغل به أمره أن يبعده عنه، ويتركه في مكان ليس فيه ماء ولا طعام ولا بشر.
- وبعد أن بلغ وأصبح شاب عظيم وقبل أن ينشغل به أمره أن يذبحه، لماذا؟ لأن الله يغار أن تشتغل قلوب الأحرار بغير الواحد القهار ﷻ.

نقوم لأولادنا بالواجبات، لكن القلب محل الهبات والعطاءات والتجليات والقرب والنفحات؛ خاص بخالق الأرض والسماوات وهو الله ﷻ:

لا تُعلـــق بالقلـــب غـــير إلـــه   قـــد تجـــلى في العـــالمين عـــلاه

إياك أن تُعلق في القلب غير الله طرفة عين ولا أقل:

متى تكون ذكرت الله؟

ذكر فيه رفعة ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ (البقرة)؟

إذا لم يكن في القلب سوى الله في هذه اللحظة، وإذا نسيت غيره:

اذكـــر الله إن نســـيت ســـواه   قـــل بقلـــب في الـــذكر يـــا الله

لكن إذا ذكرت الله وأنت مشغول بالوظيفة وبالمال وبالولد وبالمنصب وبغيره:

فقد أشركت مع الله، قال ﷻ:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[٤٦٧]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤٦٧ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

الباب التاسع

نماذج من كريم أخلاقه ﷺ

ميزان الأحوال

أولاً: كريم معاشرته ﷺ

كريم معاشرته لأهل بيته ﷺ، كريم معاشرته ﷺ مع الناس كلهم

كريم ملاطفته ﷺ للصبيان

ثانياً: جمال تواضعه ﷺ، ثالثاً: سعة كرمه وجوده ﷺ

رابعاً: عظيم عفوه وحلمه ﷺ

خامساً: غضبه لله

سادساً: جمال حياته ﷺ

سابعاً: الرحمة العظمى لجميع العالم

رحمته ﷺ بالأهل والعيال:، رحمته ﷺ بالصبيان

رحمته ﷺ باليتيم، رحمته ﷺ بالحيوان:، رحمته ﷺ بالطيور

ثامنا: تفقده ﷺ لأصحابه

تاسعاً: صدقه ﷺ الوعد وحفظه للعهد

عاشراً: شجاعته ﷺالخارقة، حادي عشر: صدقه وأمانته ﷺ

ثاني عشر: عدله ﷺ في سيرته وعدالته في أمته

نصيحة لطلاب القرب من الله عز وجل

الباب التاسع

نماذج من كريم أخلاقه ﷺ[468]

جمالات رسول الله ﷺ الخُلقية خُصَّ بها وتفرد بها عن كل البرية، وهذه خصوصية إلهية لا يشاركه فيها أحد من الخلق من السابقين ولا اللاحقين، ولا ينبني عليها أصل من أصول القرب إلى حضرة الله، ولا مقام صحيح يتقرب به العبد إلى مولاه جل في علاه.

أما الذي عليه المرام، والذي يتوقف عنده كل السائرين إلى حضرة الملك العلام، وعليه تبنى المقامات الإيمانية، وعليه تتوقف العطاءات من رب البرية، فهذا يتجلى في أخلاقه ﷺ التي خُصَّ بها دون النبيين والملائكة المقربين والخلق أجمعين:

فاق النبيين في خلق وفي خُلُق ... فلم يدانوه في علم ولا كرم

ميزان الأحوال

ولذا فإني أضع كما وضح لي من مناهج الصالحين للأحبة ميزان يزنون به أنفسهم ليعرفون مكانتهم عند الله، ويزنون به غيرهم ليعلموا حاله ومكانه عند الله ﷻ، هذا الميزان هو التخلق بأخلاق النبي ﷺ.

الناس جميعاً يهتمون بالعبادات الظاهرية الشكلية، والله ﷻ ينظر إلى طهارة القلوب وخلوها من الشهوات والحظوظ والأهواء والدنيا الدنية، وميزان العطاء، وميزان الخَلْق ليس فيه كثير غَنَاء، لأنه ميزان بحسب الهوى، فالمريد الصادق دائماً ينظر إلى خُلقه، ويزنه بخُلق رسول الله ﷺ، إذا أبت نفسه أن يكون على كمال أخلاق الحبيب فليعلم علم

---

[468] المعادي – الخميس ٨ من ذي الحجة ١٤٣٥هـ ٢/١٠/٢٠١٤م

اليقين أنه إذا أصر على ذلك ليس له في مقامات القرب نصيب، كيف يتعصب لنفسه ولا يتعصب للحبيب الذي صنعه الله على عينه وأمرنا أن نتأسى به ﷺ؟! فيزن الإنسان نفسه بذلك.

من جملة هذه الموازين ما ورد عن وصف الحبيب وأخلاقه عن أصحابه المباركين، لنزن أنفسنا بها، فهذا ميزان ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، حيث تقول:

{ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَلا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ }[٤٦٩]

وأخرج الزبيدي في اتحاف السادة المتقين والمتقي الهندي في كنز العمال عنه ﷺ: "كان ﷺ يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتى كأن مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه، ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران)

وكان ﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه".

إذا كان معي شيء من الفظاظة لا بد أن أعالجها لأنه لم يكن ﷺ فظاً، ولا غليظ القلب، ولا صخاب في الأسواق، فلم يكن صوته عال بل هادىء ورزين، فمن كان صوته عال لا بد أن يراجع نفسه، هل صوتك العالي مثل رسول الله أم حسب هواك؟ راجع نفسك، وكان ﷺ لا يجزي بالسيئة السيئة، وهذا دليل على الكمال ولكنه ﷺ يعفو ويصفح.

فإن الإنسان إذا لم يصل إلى درجات الكمال يحمل ضغائن من هذا، ويحمل حقداً على هذا، ويريد أن يُفعِّل ذلك بأن يخرجه من حيز النفس إلى حيز الفعل.

---

٤٦٩ أخرجه الترمذي في الشمائل وصحيحه الجامع وأحمد في الزهد وابن أبي شيبه في مصنفه وابن حبان

لكن النبي ﷺ لم يكن يَخزُن في نفسه إلا الخير كل الخير، لا يسمح للشر ولا من اقترب منه أو لاذ به أن يدخل إلى صدره أو إلى قلبه، لأن الله جعل قلبه قلب سليم، فلا يدخله سوء الظن بأحد من الخلق، فإذا كان عندي سوء ظن أراجع هذه الخصلة، ممن ورثتها؟ وبمن أتأسى في فعلها؟.

ولم يكن ﷺ يتغيظ أو يغتاظ لنفسه قط، حتى أن هذه الأوصاف والنعوت جاء نعته بها في الكتب السماوية السابقة، فقد قيل لسيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكان قد اطلع على التوراة والإنجيل والكتب السماوية السابقة: بم وُصف رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل؟ فقال رضي الله عنه:

{ أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَسْتَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، وَلا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[470]

موازين العارفين

موازين العارفين والصادقين وطالبي القرب من حضرة رب العالمين، هي الموازين الإلهية التي يقول الله ﷻ فيها لنا:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب)

وهذا جهاد أهل المشاهدات.

٤٧٠ صحيح البخاري ومسند أحمد

أهل المكابدات يجاهدون للحصول على الحسنات والدرجات في الجنات، لكن أهل المشاهدات يجاهدون في التخلق بأخلاق حضرته ليصلوا إلى كمال القرب من رب العالمين في أعلى المواجهات، وفي أسنى التجليات، وفي أعظم المكاشفات ميراثاً لسيد المرسلين ﷺ، ولذلك ينبغي على طلاب أهل هذا المقام أن يعيشوا بالكلية في أحوال حضرة النبي في هذا الباب، ويتشبهوا به كمال التشبه في كل أحواله مع الخلق، عسى الله ﷻ أن ينقلهم للتشبه به في باطنه مع الحق ﷻ، وسنذكر هنا نماذج من هذه الكمالات الإلهية:

أولاً: كريم معاشرته ﷺ

كان ﷺ كريم المعاشرة لكل من حوله، إن كان لنساءه أو لأولاده أو لجيرانه أو للخلق أجمعين، فقد كان ﷺ حلو المعاشرة، حتى أن من جالسه وخالطه ورآه ولو من أول وهلة أحبه:

{ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ }[٤٧١]

أحبه لكريم معاشرته، ولجمال أخلاقه ﷺ، فمن كريم معاشرته ﷺ أنه كان يتألف كل من حوله بالقول اللطيف العظيم الرحيم، وبالفعل الكريم الذي يدل على رأفته ورحمته التي وسعت كل شيء في السماوات وفي الأرض، فكان ﷺ إذا جلس مع أحد يحدثه لا يُنهي الحديث حتى يأخذ هذا الشخص حظه، ويحس بأنه ﷺ عنده مهام غيره فيستأذنه، عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت كيف كان رسول ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت:

{ أَلْيَنَ النَّاسِ، بَسَّامًا، ضَحَّاكًا }[٤٧٢]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

{ مَا رُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ }[٤٧٣]

كان أهل الصفة من فقراء المسلمين، وكانوا يجلسون في مسجد الرسول ﷺ لحفظ

---

٤٧١ جامع الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٤٧٢ مسند اسحق لابن راهوية وتاريخ دمشق لابن عساكر
٤٧٣ حلية الأولياء لأبي نعيم

القرآن وتلقي العلم، وكانوا يجلسون أحياناً يتوارون في بعضهم من شدة عري بعضهم ليستروا عورات بعضهم، وانشغلوا بالكلية بكتاب الله، وبدعوة الله، وبتحصيل العلم من رسول الله ﷺ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

{ جَلَسْتُ فِي عِصَابَةٍ –أي جماعة – **مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ مِنَ الْعُرْيِ، وَقَارِئٌ يَقْرَأُ عَلَيْنَا إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ – أي وقف مشرفاً علينا – سَكَتَ الْقَارِئُ فَسَلَّمَ رسول الله، ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَ قَارِئٌ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ، قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسْطَنَا لِيَعْدِلَ نَفْسَهُ فِينَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ: هَكَذَا – أي أشار إليهم – فَتَحَلَّقُوا وبرزَتْ وُجُوهُهُمْ لَهُ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَفَ مِنْهُمْ أَحَدًا غَيْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ – أي فقراء – الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ النَّاسِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَذَاكَ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ }**[٤٧٤]

وكان ﷺ إذا جلس معهم لا يقوم حتى يأذنوا له لأداء مصالحه، وكان ﷺ إذا مشى في الطريق وطلب منه أحد أن يجالسه قال: اجلس في أي ناحية من الطريق أجلس معك، حتى رُوي أن امرأة كان عقلها فيه شيء أي غير سوية العقل، جاءت إليه وقالت: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ:

{ يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا }[٤٧٥]

وهذا من كريم معاشرته، ومن جميل أدبه صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان إذا

---

٤٧٤ سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٤٧٥ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه

جاءه جليس يُظهر الترحاب له ولكل من يأتي إليه، ويُرحب به، فقد ورد أنه ﷺ:

{ كَانَ جَالِسًا، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَامَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ }[٤٧٦]

وعن علي كرَّم الله وجهه قال:

{ جَاءَ عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " ائْذَنُوا لَهُ مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ }[٤٧٧]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ }[٤٧٨]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

{ مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَى }[٤٧٩]

وقال ﷺ لعكرمة بن أبي جهل عندما جاء مهاجراً:

{ مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ }[٤٨٠]

وقالت أم هانئ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ

---

٤٧٦ سنن بي داود ودلائل النبوة للبيهقي
٤٧٧ جامع الترمذي وابن ماجة
٤٧٨ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٧٩ صحيح ابن خزيمة
٤٨٠ جامع الترمذي والحاكم في المستدرك

تَسْتُرُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

{ مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ }[481]

حتى روي عن أبي هريرة ﷺ:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُهُ، وَلَمْ يَكُنْ تَرَى رُكْبَتَيْهِ أَوْ رُكْبَتَهُ خَارِجًا عَنْ رُكْبَةِ جَلِيسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُصَافِحُهُ إِلا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ لَمْ يَصْرِفْهُ عَنْهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ كَلامِهِ }[482]

كان ﷺ يرحب بكل من يأتيه ترحيباً يجعله يفرح بمجالسة حضرة النبي ويأنس به حتى قيل: كان ﷺ من خصوصياته يخص كل الحاضرين بأنسه ولطفه حتى يظن كل رجل منهم أنه أحب الجالسين عنده، لما يرى من إقباله ولطفه به صلوات ربي وتسليماته عليه، حتى أن عمرو بن العاص والذي أسلم متأخراً قبل فتح مكة قال:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَى أَشَرِّ الْقَوْمِ، يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ فَكَانَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَيَّ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي خَيْرُ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا خَيْرٌ أَوْ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا خَيْرٌ أَوْ عُمَرُ؟ فَقَالَ: عُمَرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا خَيْرٌ أَوْ عُثْمَانُ؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ، فَلَمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَصَدَقَنِي فَلَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ }[483]

ظنَّ أن من لطف النبي ﷺ وقربه وأنسه أنه صار خيراً من هؤلاء الأوائل الذين أول من صدَّقوا بحضرة النبي وأعانوه على إبلاغ رسالة الله، وعلى تبليغ دعوة الله ﷻ

---

٤٨١ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٨٢ المعجم الأوسط للطبراني وكشف الأستار
٤٨٣ الشمائل المحمدية للترمذي

وكان ﷺ إذا بعث بعثاً قال: { تَألَّفُوا النَّاسَ }[484] وكان ﷺ لا يترفع في مجلسه، حتى أنه كان يأتي الرجل من البادية فلا يعرفه من جملة الحاضرين، فيسأل عنه: أين رسول الله؟ فيقولون: هذا ويشيرون إلى حضرة النبي، فلما كثرت الوفود طلب أصحابه منه أن يجلس مجلساً رفيعاً ليعرفه الغريب فقال:

{ افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُم, فَبَنوا لَهُ دُكاناً مِن طِين يَجْلِس عَلَيها }[485]

والدكان أي الدكة وهي المكان المرتفع يُجلس عليه، وهو المصطبة، فلا يريد ﷺ أن يتميز على إخوانه بشيءٍ أبداً من كمال لطفه صلوات ربي وتسليماته عليه.

كريم معاشرته لأهل بيته ﷺ

من كمال لطفه ﷺ وكريم معاشرته أنه كان يجالس نساءه ويحادثهن ويلاطفهن ويمازحهن ويعاملهن بالود والإحسان، قال ﷺ:

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ, وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي }[486]

وزاد ابن عساكر في روايته:

{ وَمَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إلا كَرِيمٌ وَلا أَهَانَهُنَّ إلا لَئِيمٌ }

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ }[487]

وعن ابن ﷺ قال: قال ﷺ: { خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِلنِّسَاءِ }[488]، وعن أبي

---

٤٨٤ المطالب العالية لابن حجر ومجمع الزوائد.

٤٨٥ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين وابن حجر في فتح الباري والعراقى في المغني عن حمل الأسفار، وفي الرواية الأخرى من سنن أبي داود والنسائي عن أبي ذر قال: {كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكانا من طين فجلس عليه وكنا نجلس بجنبتيه}.

٤٨٦ جامع الترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها.

٤٨٧ جامع الترمذي ومسند أحمد.

٤٨٨ الحاكم في المستدرك.

هريرة ﷺ أنه ﷺ :(**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ**)[489]

حتى حكت السيدة عائشة رضي الله عنها: أنه جلس معهم ذات ليلة وحدثهم عن جماعة من النساء اجتمعوا في العصر الأول، واتفقوا على أن تتحدث كل امرأة عن زوجها وتصفه كما تراه ولا تكذب في ذلك، وحدَّثهم حديث عشر نساء تصف كل واحدة زوجها بما رأته وعاينته، وفي الختام حكى لهن عن أفضلهن وكانت امرأة إسمها أم زرع، فأخذت تصف زوجها بصفات كلها محبة، عكس السابقات كلهن يُعبن أزواجهن ويُظهرن ما فيهم من العيوب إلا هذه، فأخذت تتحدث عن محاسنه، وعن أوصافه الكريمة، وعن خلاله العظيمة، فقال ﷺ:

(**كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ**)[490] وجاء في رواية الهيثم بن علي: (**كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ، فِي الأُلْفَةِ والوَفاءِ لاَ فِي الفُرْقَةِ والجَفَاءِ**) وزاد الطبراني في روايته: (**إِلاَّ أَنَّه طلَّقَهَا وإِني لاَ أُطَلِّقُكِ**) وزاد النسائي والطبراني: قالت عائشة ﷺ: (**يَا رَسُولَ اللهِ بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرْعٍ**).

فكان ﷺ يُحدث نساءه، وكان في مترله يشاركهن في أعمال المترل، وهذا من تواضعه الجم، روى البخارى عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها:

(**مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ**)[491]

وفي هذا تنبيه للأمة أن يسيروا على هذا الكمال، ولا يكونوا من جبابرة الرجال خاصة مع الأهل والعيال. ولقد أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيراً في مناسبات متعددة، وفي مجتمعات خاصة وعامة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:(**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**)، وفي سنن الترمذي وابن ماجة أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم

---

٤٨٩ جامع الترمذي ومسند أحمد
٤٩٠ الصحيحين البخاري ومسلم
٤٩١ صحيح البخاري وجامع الترمذي

حجة الوداع: { اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا }، فإن مثله في موضعه يكون عنده شيء من الأنفة، وشيء من الكبر، يتكبر عن الخدمة، وعن فعل الأشياء الدنية، وعن المشاركة في الأعمال الصغيرة، لكنه ﷺ عندما سُئلت السيدة عائشة: كيف كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته، قالت:{ مَا يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ }[٤٩٢]، وغيرها من الأعمال المترلية التي كان يشاركهم فيها تطييباً لخواطرهم، وإذهاباً لنخوة الكبر من نفسه، وإحساساً لهم بأنه ﷺ يشعر بهم ويحس بهم ويشاركهم في كل أحوالهم،

فكان ﷺ كريم المعاشرة لنساءه.

كريم معاشرته ﷺ مع الناس كلهم

عن أنس ﷺ قال: { خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ }[٤٩٣]، وفي رواية أحمد: "في السفر والحضر"، وفي رواية مسلم: "تسع سنين"، وفي رواية أبي نعيم: قال أنس ﷺ: { خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سِنِينَ فَمَا سَبَّنِي سُبَّةً قَطُّ، وَلا ضَرَبَنِي ضَرْبَةً، وَلا انْتَهَرَنِي، وَلا عَبَسَ فِي وَجْهِي، وَلا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ فِيهِ فَعَاتَبَنِي عَلَيْهِ، فَإِنْ عَاتَبَنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، قَالَ: دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ لَكَانَ }.

وكان رسول الله ﷺ لا يواجه أحدا بمكروه ولا يتعرض في وعظه لأحد معين بل يتكلم خطاباً عاماً، وكان ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: مال بال أقوام يقولون كذا وكذا، وكانت معاتبته ﷺ تعريضاً: { مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ }[٤٩٤] ونحو ذلك.

---

٤٩٢ صحيح ابن حبان
٤٩٣ جامع الترمذي
٤٩٤ صحيح البخاري وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

وكان ﷺ إذا رأى إنساناً يفعل ما لا يليق لم يدع أحداً يبادر إلى الإنكار عليه حتى يتثبت في أمره، ويعلمه الأدب برفق، وكان ﷺ لا يَأْخُذُ بِالْقَرَفِ (التهمة) وَلا يَقْبَلُ قَوْلَ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ[٤٩٥]، وكان ﷺ كثيراً ما يقول:

{ لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ }[٤٩٦]

وكان ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: { بَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا }[٤٩٧]

وكان ﷺ إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ لَمْ يُصَافِحْهُمْ حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ[٤٩٨] وكان ﷺ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَخَذَ بِيَدِهِ فَشَابَكَهُ، ثُمَّ شَدَّ قَبْضَتَهُ[٤٩٩] وكان ﷺ إِذَا لَقِيَهُ وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَامَ مَعَهُ فَلَمْ يَنْصَرِفْ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْصَرِفُ عَنْهُ، وَإِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَنَاوَلَ يَدَهُ، نَاوَلَهَا إِيَّاهُ، فَلَمْ يَنْزِعْ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ عَنْهُ، وَإِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَنَاوَلَ أُذُنَهُ – أي ليكلمه سراً – نَاوَلَهَا إِيَّاهُ، فَلَمْ يَنْزِعْهَا عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا مِنْهُ[٥٠٠]، أي لا ينحي أذنه عن فمه حتى يفرغ الرجل من حديثه.وكان ﷺ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، مَسَحَهُ وَدَعَا لَهُ[٥٠١]، وكان ﷺ لا يدعوه أحد من أصحابه أو غيرهم إلا قال ﷺ لبيك.وكان ﷺ يكني أصحابه[٥٠٢]، ويدعوهم بالكنى باحب أسمائهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم، ويكني من لم يكن له كنية، ويكني

٤٩٥ حلية الأولياء لأبي نعيم
٤٩٦ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٤٩٧ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن أبي موسى رضي الله عنه
٤٩٨ المعجم الكبير للطبراني
٤٩٩ الجامع في الحديث لابن وهب
٥٠٠ أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني
٥٠١ صحيح ابن حبان
٥٠٢ الفقيه والمتفقه للخطيب

النساء اللاتي لهن الأولاد، واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن بالكنى، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم.

وكان ﷺ يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالإحسان إليهم، وكان يكرم ذوي رحمه ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وكان ﷺ يكرم بني هاشم، وكان ﷺ من أشد الناس لطفاً بالعباس، فكان ﷺ يُجل العباس إجلال الولد للوالد.

وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام، وإذا أخذ بيده سايره حتى يكون ذلك هو المنصرف، وكان ﷺ: { **إِذَا وَدَّعَ رَجُلا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ: اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ** }[٥٠٣].

وكان ﷺ لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته.

وكان ﷺ يكرم كل داخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه، وكان ﷺ يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبل.

وكان ﷺ ليناً هيناً ليس بفظ ولا غليظ، وكان ﷺ لا يجفو على أحد ولو فعل معه ما يوجب الجفاء، وكان ﷺ يقبل معذرة المعتذر إليه ولو فعل ما فعل، فكان ﷺ إذا آذاه أحد يعرض عنه ويقول:

{ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ }[٥٠٤]

وكان ﷺ يرى اللعب المباح فلا ينكره، وترفع عليه الأصوات بالكلام الجافي فيحتمله ولا يؤاخذه، وكان ﷺ إذا سئل أن يدعوا على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعا

---

٥٠٣ جامع الترمذي

٥٠٤ الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ

له، وما ضرب ﷺ بيده امرأة ولا خادماً قط ولا غيرهما إلا أن يكون في الجهاد، قالت أم سلمة رضي الله عنها: وكان الخادم إذا أغضبه يقول ﷺ:

{ لَوْلا مَخَافَةُ الْقِصَاصِ، لأَوْجَعْتُكَ بِهَذَا السِّوَاكِ }[505]

ولما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديداً وقالوا: لو دعوت عليهم فقال:

{ إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون}[506]

وهكذا نجد أن رسول الله ﷺ كان كما قال البراء بن عازب ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا }[507]

وما أجمل الوصف الذي أورده له الحافظ بن كثير في تفسيره وعزاه لابن أبي حاتم، وأورده القسطلاني في المواهب وعزاه لابن اسحاق وهو عن وهب بن المنبه قال: " أوحى الله تعالى إلى نبي من بني اسرائيل يقال له شعياء، أن قم في بني اسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحي فقام فقال: يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن الله تعالى يريد أن يقضي شأناً ويدبر أمراً وهو منفذه، إنه يريد أن يبعث أمياً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، لو يمر على السراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب واليابس لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه بشيراً ونذيراً لا يقول الخنا – الفحش في القول – أفتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً وأسدده بكل أمر جميل، وأهب له كل خُلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خُلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، وأُعرِّف به بعد النكرة، وأُكثِّر به بعد القلة، وأغني به بعد العَيلة، وأُجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة وأهواء مشتتة،

٥٠٥ المطالب العالية لابن حجر والطبقات الكبرى لابن سعد
٥٠٦ أخرجه مسلم
٥٠٧ الصحيحين البخاري ومسلم وصحيح ابن حبان عن البراء بن عازب ﷺ

وأستنقذ به فئاماً من الناس عظيماً من الهلكة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل ".

كريم ملاطفته ﷺ للصبيان

وكان ﷺ كريم المعاشرة لكل صبيان المسلمين، إذا رأى الصبيان يقبلهم، ويقول:

{ إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ }[508]

يسرع في الصلاة ولا يطيل فيها من أجل بكاء طفل صغير!! وجاء أعرابي فقال: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فقال ﷺ:

{ أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ }[509]

جعل من عجز عن تقبيل الصبيان متروع الرحمة في باطنه لأنها دليل على رحمة الله، وعلى نزول الرحمة في قلب هذا العبد من مولاه جل في علاه.

فكان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال، وكان ﷺ يؤتى بالصبيان فيبارك عليهم ويحنكهم ويدعوا لهم، وكان ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم، فعن يوسف بن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما قال:

{ سَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوسُفَ، وَأَقْعَدَنِي فِي حِجْرِهِ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِي }[510]

وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول:

{ يَا زُوَيْنِبُ، يَا زُوَيْنِبُ " مِرَارًا " }[511]

---

٥٠٨ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن أبي قتادة ﷺ

٥٠٩ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٥١٠ مسند أحمد والمعجم الكبير للطبراني

٥١١ الأحاديث المختارة، والمتقي الهندي في كنز العمال عن أنس ﷺ

وكان ﷺ يركب الحسن والحسين على ظهره ويمشي على يديه ورجليه ويقول:

﴿ نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعْمَ الْعِدْلانِ أَنْتُمَا ﴾[512]

ودخل الحسن وهو ﷺ قد سجد، فركب على ظهره فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن، فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَيْ الصَّلَاةِ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ؟ قَالَ:

﴿ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ ﴾[513]

﴿ وكان رسول الله ﷺ إذا أوتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال: اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَرِنَا آخِرَهُ، ثُمَّ يُعْطِيهَا مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصِّبْيَانِ ﴾[514]

يخص بها الصبيان دون الكبار عطفاً عليهم وحنواً بهم، وشفقة بهم، وكان ﷺ إذا سار في الطريق كما قيل في شأنه: يسلم على الصبيان، وكان يحمل معه دائماً تمراً أو حلوى يوزعها على هؤلاء الصبيان لتنشرح صدورهم للإيمان، ويُنَشَّئوا على حب النبي العدنان ﷺ.

فكان ﷺ على أكمل اللطف في التعامل مع خلق الله أجمعين، حتى على غير المسلمين، فكان له جار يسارع في خدمة النبي من حبه للنبي، وعندما مرض الغلام ذهب النبي ﷺ لزيارته، فقال ﷺ للصبي وهو في سكرات الموت:

﴿ أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ ﴾[515]

مات على الإسلام بحسن تعامل رسول الله ﷺ وكمال لطفه مع الأنام.

---

512 مسند أحمد والمعجم الكبير للطبراني عن جابر بن عبد الله
513 مسند أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك عن شداد رضي الله عنه
514 الدعوات الكبير للبيهقي والمتقي الهندي في كنز العمال عن أبي هريرة رضي الله عنه
515 صحيح البخاري وسنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه

ثانياً: جمال تواضعه ﷺ

كان ﷺ شديد التواضع لكل خلق الله مع علو مقامه وشرف جنابه، ويتجلى تواضعه ﷺ في سائر أحواله الخاصة والعامة، وأموره الخارجية والداخلية، فقد قيل في شأنه في ذلك: كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً، وأسكنهم من غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء من أمر الدنيا[٥١٦].

وكان ﷺ متواضعاً في غير مذلة، له هيبة فوق هيبة الملوك لأن هيبته خلعة له من ملك الملوك ﷻ، لكنه كان يكسر هذه الهيبة بحسن تواضعه، رَأَتِ امرأة النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدَتْ مِنَ الْفَرَقِ، فَقَالَ لَهُ جَلِيسُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرْعِدَتِ الْمِسْكِينَةُ، تقول المرأة: وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ وَأَنَا عِنْدَ ظَهْرِهِ، فقال ﷺ:

{ يَا مِسْكِينَةُ عَلَيْكِ السَّكِينَةُ، فَلَمَّا قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَى، مَا كَانَ دَخَلَ قَلْبِي مِنَ الرُّعْبِ }[٥١٧]

وأَتَى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ:

{ هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ من قريش كانت تَأْكُلُ الْقَدِيدَ }[٥١٨]

والقديد هو اللحم المجفف، وكان يأكله الفقراء، لكن الأغنياء يأكلون اللحم الطازج، وكان هذا حاله وشأنه مع أصحابه ﷺ.

فمن شدة تواضعه أنه ﷺ لم يخص له كالملوك جياداً معينة يركبها، فكان تارة يركب الحمار، وتارة يركب البغل، والبغل فوق الحمار ودون الفرس، وأحياناً يركب الفرس، وهذا من شدة تواضعه ﷺ، بل كان أحياناً يركب الفرس بدون سرج، وهذا لا يفعله

٥١٦ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين
٥١٧ المعجم الكبير للطبراني عن فيلة بنت مخرمة العنبرية رضي الله عنها
٥١٨ سنن ابن ماجة والبيهقي عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ

الأكابر أنفة، فهؤلاء لهم جياد معينة، وحظائر معينة، ينتقون أنواع معينة من هذه الجياد، لكنه ﷺ كما ورد: كان يأكل ما وجد ويركب ما وجد، لأنه لا يريد إلا رضاء الواحد الاحد ﷻ، قال أنس رضي الله عنه:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ – بردعة – مِنْ لِيفٍ }[519]

فكان ﷺ من تمام تواضعه يركب كل ما ذكرناه، ويجلس على أي موضع كان، فكان يجلس على الأرض، وكان له ﷺ وعاء يوضع فيه الثريد لفقراء المسلمين، وصُنع له قصعة خصيصاً كان يحملها أربعة رجال، فكان يجمع المسلمين الفقراء ليأكلوا من هذه القصعة، فعن عبد الله بسر رضي الله عنه قال:

{ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ – إناء كبير يوضع فيه الثريد ليأكله الجماعة – **يُقَالُ لَهَا: الْغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا** – دخلوا في وقت الضحى بعد طلوع الشمس – **وَسَجَدُوا الضُّحَى** – أي صلوا الضحى – **أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ يَعْنِي وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا** – أي وُضع فيها الثريد – **فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ اللَّهِ** – أي جلس على ركبتيه – **فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا وَدَعُوا** – أي اتركوا – **ذِرْوَتَهَا** – أعلاها – **يُبَارَكْ فِيهَا }**[520]

فكان بعدُ لا يأكل متكئاً ويقول ﷺ:

{ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ }[521]

قال المناوي: والمراد هنا بالعبد الإنسان المتذلل المتواضع لربه تعالى.

---

٥١٩ جامع الترمذي وسنن ابن ماجة

٥٢٠ سنن أبي داود والسنن الكبرى للبيهقي

٥٢١ رواه أبويعلى وابن حبان وابن سعد، ورواه البيهقي وزاد " فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ "

لا عظمة ولا صوجان ولا بهرجة ولا سلطان، وذكر الطبري أنه ﷺ كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال رجل: " يا رسول الله علي ذبحها، وقال آخر يا رسول الله علي سلخها، وقال آخر يا رسول الله علي طبخها، فقال رسول الله ﷺ: وعلي جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل، فقال ﷺ: قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم، فإن الله ﷻ يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه "

وعن أنس ﷺ قال: **{ كان رسول اللهّ ﷺ أوسع الناس خُلقاً، وكان إذا دخل بيته يكون أكثر عمله فيه الخياطة، وكان يصنع كما تصنع أحاد الناس يشيل هذا ويحط هذا ويقمّ البيت ويقطع اللحم ويعين الخادم }**[٥٢٢]

وكان ﷺ يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص، ويلبس الصوف، ويقول:

{ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[٥٢٣]

وكان ﷺ يعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن معه، ويحمل بضاعته من السوق[٥٢٤]

وكان ﷺ إذا صلى بالناس الغداة أقبل عليهم بوجهه وقال: هل فيكم مريض أعوده؟ فإن قالوا: لا، قال: هل فيكم جنازة أتبعها؟ فإن قالوا: لا، قال: من رأى منكم رؤيا يقصها علينا[٥٢٥].

وكان ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير[٥٢٦].وكان ﷺ يعود مرضى المساكين الذين لا يؤبه لهم، ويخدمهم بنفسه، وكان ﷺ يجيب من دعاه من غني أو فقير أو شريف، ولا يحتقر أحداً، وكان ﷺ يجيب إلى الوليمة ويشهد الجنائز.

---

٥٢٢ أخرجه في مناهل الصفا
٥٢٣ صحيح ابن خزيمة، والزبيدي في اتحاف السادة المتقين عن عبد الله بن عمرو ﷺ
٥٢٤ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين. والناضح: أي البعير.
٥٢٥ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال
٥٢٦ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين والمتقي الهندي في كنز العمال

وكان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم[٥٢٧].

وكان ﷺ يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين، وكان له ﷺ عبيد وإماء، وكان لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس[٥٢٨]، وكان ﷺ يأكل مع خادمه[٥٢٩].

وكان ﷺ يجلس مع الفقراء، وكان ﷺ يواكل الفقراء والمساكين ويفلي ثيابهم، وكان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمله الرجال في بيوتهم[٥٣٠].

وكان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه[٥٣١]، وكان مجلسه ﷺ مجلس حلم وحياء وأمانة وصيانة وصبر وسكينة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، يتعاطفون فيه بالتقوى، ويتوارعون، ويوقر الكبار ويرحم الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويحفظون الغريب، ويخرجون أدلة على الخير[٥٣٢].

ما هذا التواضع العظيم الذي كان عليه صلوات ربي وتسليماته عليه؟ وما سره؟ سره أنه جعل نفسه عبداً لله، وحافظ على مقام العبودية دائماً في كل أنفاسه في هذه الحياة، ولذلك عندما مدحه الله في كتاب الله لم يمدحه على الرسالة لأنها منحة من الله، ولم يمدحه على النبوة لأنها عطاء من الله، وإنما مدحه على العبودية لأنها أدب أدَّب نفسه به مع مولاه ومع خلق الله، فقال الله تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (١الإسراء)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (١الكهف)

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (الفرقان)

---

٥٢٧ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن سهل بن حنيف رضي الله عنه
٥٢٨ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال
٥٢٩ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين
٥٣٠ أخرجه أحمد في المسند وابن سعد في الطبقات
٥٣١ أخرجه في مناهل الصفا عن خارجة بن زيد،
٥٣٢ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين

فمقام العبودية يقتضي أن يخدم نفسه، وأن يكون في معونة أهله تواضعاً منه ﷺ ،ويقتضي العفو والصفح عمن آذاه في نفسه ﷺ، أما إذا انتهكت حرمات الله تعالى فينتقم لله تعالى، فالعبودية هي سر هذا الأمر، وحثنا رسول الله ﷺ، وحث الأمة على ذلك فقال لنا أجمعين:

{ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ }[٥٣٣]

فكان ﷺ صورة مجملة بجمال العبودية لله ﷻ، عبداً في كل أحواله، وفي كل حركاته وسكناته لله ﷻ.

ثالثاً: سعة كرمه وجوده ﷺ

كان ﷺ كما قيل في شأنه: كان أجود الناس كفاً.

تعود بسط الكف حتى لو أنه ... طواها لبسطٍ لم تطعه أنامله

قال أنس رضي الله عنه: {كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس}[٥٣٤]

لم يُخلق مثله في الجود، لأن الله ﷻ جعل غناه في قلبه، وأغناه الله ﷻ عن الأولين والآخرين وأهل عالين وأهل الأدنين.

ولم يجعل الله له حاجة إلى خلق الله أجمعين.

وكان ﷺ يعلم علم اليقين – وهو أستاذ علم اليقين – أن الدنيا بما فيها ومن فيها إنما هي مرحلة نُقلة، وأن الآخرة هي دار المقر، فكان ﷺ يجود جوداً لا يستطيعه أحد من خلق الله، فكان يجود بكل ما عنده حتى لا يبقى في بيته لزوجاته شيء، ويبيت طاوياً هو وزوجاته.

---

٥٣٣ سنن أبي داود وابن ماجة عن عياض بن حمار رضي الله عنه

٥٣٤ رواه الشيخان.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: **{ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال:لا}**[535] أخرجه البخارى والترمذي وابن حبان والدارني، وكان ﷺ **{لا يسأل شيئاً إلا أعطاه}** أخرجه الحاكم في المستدرك وأحمد في المسند، **{ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء}**،**{وكان ﷺ لا يكاد يُسأل شيئاً إلا فعله}** المتقي الهندي في كنز العمال وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق.

وكان ﷺ: {إذا جاءه مال لم يبيته ولم يقيله – أي إذا جاء آخر النهار لم يمسكه إلى الليل، أو أول النهار لم يمسكه إلى وقت القيلولة بل يعجل قسمته – وكان ﷺ أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يجد من لم يعطه له وفجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه}[536]

ويزيد على ذلك، فربما يأتي رجل فقير، ويقول يا رسول الله: اعطني مما أعطاك الله، فيقول : ابتع علي، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه فقال النبي ﷺ:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ. ثُمَّ قَالَ: " بِهَذَا أُمِرْتُ }[537]

وكان يُدرب كل من معه على هذا، فأمر بذبح شاة وأمر عائشة رضي الله عنها أن توزعها وخرج ثم رجع، فقال:

---

535 أخرجه البخارى والترمذي وابن حبان والدارنى.
536 الزبيدي في اتحاف السادة المتقين.
537 الترمذي في الشمائل والبزار في مسنده وأبوالشيخ في أخلاق النبوة والهيثمي في مجمع الزوائد.

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلا كَتِفُهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا }[538] .... ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦النحل)

تدريب عملي على الجود والإنفاق، وكان ﷺ يجود جوداً يُحوِّل المبغض الشانيء لحضرته إلى محب شديد الحب والتعلق بحضرته، فقد فطن إلى أن ما يُؤلف القلوب إلى حضرة علام الغيوب هو عطاء الدنيا الفانية، فكان يتألف القلوب النافرة بهذا العطاء، فعن صفوان بن أمية أنه قال:

{لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي}[539]

وذلك أنه جاء صفوان بن أمية بعد عام فتح مكة وأسلم، وكثير من أهل مكة أسلموا عند فتح مكة ظاهراً خوفاً من القتل، لكنه في نفسه شيء، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ هَوَازِنَ وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ بن أمية، وَاسْتَعَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِلاحًا فَأَعَارَهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا، وَشَهِدَ مَعَهُ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ وَهُوَ كَافِرٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْجِعْرَانَةِ فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي الْغَنَائِمِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَجَعَلَ صَفْوَانُ يَنْظُرُ إِلَى شِعْبٍ مُلِئَ: نَعَمٌ وَشَاءٌ وَرِعَاءٌ فَأَدَامَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُهُ، فَقَالَ:

{ أَبَا وَهْبٍ، يُعْجِبُكَ هَذَا الشِّعْبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ، فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ: مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلا نَفْسَ نَبِيٍّ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، وَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا مَعَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ خَمْسِينَ بَعِيرًا }[540]

فانظر إلى هذا الطبيب الرفيق الذي يداوي القلوب بما يُقربها إلى حضرة علام الغيوب.

---

٥٣٨ جامع الترمذي ومسند أحمد
٥٣٩ رواه الترمذي
٥٤٠ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

كان ﷺ يجود بما عنده، ولكن جوده لا يتعدَّى ثلاثة أشياء: إما أن يجود بما عنده في سبيل الله لتزويد جيوش المسلمين وتجهيزها، وإمَّا أن يجود بما عنده للفقراء والمساكين المحتاجين فعلاً، وإمَّا أن يجود بما عنده للمؤلفة قلوبهم. لكنه لم ينفق شيئاً من ذلك بذخاً ولا ترفاً ولا رياءاً ولا سمعةً ولا شهوةً نفسية، ولا لأمر دنيوي، ولا لمصلحة فانية، وإنما للأمور الباقية التي ذكرناها لأنه ﷺ كان على خُلق الله ﷻ.

وكان من جوده ﷺ أيضاً وكريم أخلاقه أنه كان يكرم السائل بنفسه ولا يأنف أن يقوم للسائل ويعطيه الصدقة بل كان لا يكل صدقته إلى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل، فقد روى ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ ما رأيت رسول الله ﷺ يكل صدقته إلى غير نفسه؛ حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل }.

ومن ثم كان ﷺ أجود الناس كلهم حقاً كما وصفه ابن عباس بقوله:

{ كان رسول الله ﷺ أجود الناس }[٥٤١]

رابعاً: عظيم عفوه وحلمه ﷺ

أما الخُلق الذي لا يبارى فيه ﷺ والذي ندعوا أنفسنا إليه أجمعين هو العفو والصفح والحلم، تارة يقول له ربه:

﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الحجر)

وتارة يقول له:

﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ (١٥٩آل عمران)

وتارة يقول:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف)

---

٥٤١ الصحيحين.

تأكيد القرآن على هذه الأخلاق الكريمة، وتخلق النبي بهذه الأخلاق الكريمة في كل أحواله يدل على أن هذه الأخلاق هي صاحبة القدح المُعلَّى في القرب من الله، والوصول إلى أعلى مراتب رضوان الله جل في علاه.

فجعل ﷺ لنفسه ميزاناً، تقول فيه السيدة عائشة:

{ما خير رسول اللهّ ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما غضب رسول اللهّ ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة اللهّ فينتقم للهّ}[542]

ومن مظاهر حلمه وعظيم عفوه قصة زيد بن سعنة وهو أحد أحبار اليهود الذين أسلموا لرؤية تلك الآيات المحمدية والعلامات النبوية الجلية، فقد ورد عن زيد بن سعنة أنه قال:

{ مَا مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا ، فَكُنْتُ أَلْطَفُ لَهُ ، لأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ . قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ بُصْرَى بِقُرْبِي ، قَرْيَةَ بَنِي فُلانٍ ، قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا ، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسلامِ طَمَعًا ، كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ ،

542 رواه الشيخان وأبوداود.

فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلانٍ إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : لا يَا يَهُودِيُّ ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا وَلا تُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلانٍ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، فَبَايَعَنِي ، فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي ، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ ، وَقَالَ : " اعْجَلِ اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأَعِنْهُمْ بِهَا " ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ وَدَنَا مِنْ جِدَارٍ لِيَجْلِسَ أَتَيْتُهُ ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِمَطْلٍ ، وَلَقَدْ كَانَ لِي لِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ ، فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ وَتَبَسُّمٍ ، ثُمَّ قَالَ : " يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ ، اذْهَبْ يَا عُمَرُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ " ، قَالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ ، فَأَعْطَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ ، قَالَ : وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : لا ، فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلْتَ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ ؟ قُلْتُ : يَا عُمَرُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ

الْجَهْلِ عَلَيْهِ إلا حِلْمًا ، فَقَدِ اخْتَبَرَ بِهِمَا ، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالا صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ عُمَرُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ ، قُلْتُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ }[٥٤٣]

ومن مظاهر عفوه ﷺ أيضاً :

عندما كان في إحدى الغزوات ومطرت السماء في وقت الظهيرة، ونزل الجيش في وادي بين جبلين، ورأى النبي ﷺ شجرة فوقف تحتها وخلع رداءه بعد انتهاء المطر ونشره عليها، وعلَّق سيفه في فرع من فروعها ونام تحتها، ورأى رجل من الكافرين على أعلى الجبل الناس وقد انشغلوا بأنفسهم والنبي نائم تحت الشجرة، ولا حارس له، ولا أحد حوله، فانتهز الفرصة ونزل، وأمسك بسيف النبي من الشجرة، وكان النبي نائماً، وكان العرب رغم جاهليتهم إلا أنهم كان عندهم خصال جميلة ليتها تعود الآن، كانوا لا يقتلون غيلة، أى من ظهره أو بدون إنذار، فمن يَقتل غيلة كان يُعاب عندهم ويُذم على ذلك، فأيقظه وقال: يا محمد من يمنعك مني الآن؟ فقال ﷺ:" الله " كلمة الله من رسول الله رجت جسم الرجل ويبست ذراعه فشُلَّ في الحال وسقط السيف من يده، فأمسك النبي ﷺ بالسيف، وقال: من يمنعك مني الآن؟ قال: حلمك وكرمك، قال: عفوت عنك، فذهب الرجل إلى قبيلته وقال: يا قوم لقد جئتكم من عند خير الناس.

رجل يُمسك بقاتله ويعفو عنه!

هذه هي أخلاق النبي الكريم التي رباه عليها الله ﷻ.

٥٤٣ سنن البيهقي الكبرى.

خامساً: غضبه لله

فكان ﷺ يغضب لله تعالى ويرضى لرضاه لم يكن تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ولم يكن يغضب لنفسه، بل كان يغضب لربه تعالى، وقد جاء في حديث هند بن أبي هالة الذي رواه الترمذي وغيره يصف النبي ﷺ:

{ لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تُعرض للحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها}

وإذا رجعنا إلى الأسباب التى كان يغضب من أجلها نجدها كلها ترجع إلى أن ذلك كله كان لله تعالى، ومن أمر الله تعالى وانتصارا لدين الله تعالى، وانتصارا للحق الذي شرعه الله تعالى، فمن ذلك: غضبه من العمل الذي ينفر المؤمن كما في الصحيحين عن أبي مسعود ﷺ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال أبو مسعود:

{فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، فقال ﷺ: يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز (أي فليخفف) فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة}

ومن ذلك غضبه ﷺ لما رأى النخامة في قبلة المسجد.، ومن مظاهر غضبه ﷺ لله أيضا عندما منعوه عن صلاة العصر فغضب لله وقال :

{ شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاةِ الْوُسْطَى، صَلاةِ الْعَصْرِ، مَلأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارًا }[٥٤٤]

ومع أن النبي ﷺ كان يغضب لله إلا أن شدة غضبه ﷺ لم تخرجه عن الحق ولا عن كمال الإعتدال بل والصواب في جميع أموره القولية والعملية، وقد روى أبوداود عن عبدالله بن عمرو قال:

---

٥٤٤ رواه البخارى ومسلم عن على بن أبي طالب.

{ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ }، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ : { فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ ، وَقَالَ : اكْتُبْ كُلَّ شَيْءٍ يَخْرُجُ مِنْهُ فَإِنَّهُ لا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلا حَقٌّ }[545]

سادساً: جمال حيائه ﷺ

أما الخُلق الذي يُظهر حقيقة الإيمان في أي إنسان، وكان عليه وله فيه المقام الأكرم فهو الحياء،

فكان ﷺ أعظم الناس حياءاً، لأنه أعظمهم إيماناً فقد قال ﷺ:

{ الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ }[546]

وهذه علامة للمؤمنين، فإذا رأيت من لا يستحي فاعلم أن الإيمان في قلبه ضعيف يحتاج إلى مقويات، وإذا رأيت رجلاً شديد الحياء من الخلق فاعلم أنه شديد الحياء من الحق، قديماً كان النساء يستحين في المجتمعات لشدة الإيمان، وفي هذا العصر قل الحياء من النساء لضعف الإيمان، فالحياء دليل على الإيمان، وكان ﷺ كما قيل في شأنه:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا }[547]

والذي وصف هذا الوصف وصفه بحسب زمنه، لكنه لم ير الزمن الذي نحن فيه، والعذراء أي البنت التي لم تتزوج، وخدرها أي سترها، فكانت شديدة الحياء أن يراها أو يطلع عليها أحد.

حتى كان ﷺ من شدة حياءه أنه لا يستطيع أن يثبت عينيه في وجه أحد وهو يحادثه، ولا يستطيع أن ينظر إلى السماء أثناء المشي حياءاً من ربه ﷻ، فكان جل نظره

---

٥٤٥ سنن أبي داود والدارمي عن عبدالله بن عمرو.
٥٤٦ الصحيحين البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر العدوي ﷺ
٥٤٧ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

إلى الأرض، وكان ﷺ لشدة حياءه لا يستطيع أن يواجه الناس بعيوبهم وأخطاءهم، فإما أن يقول على الملأ: ما بال أقوام لا ينتهون عن كذا، أو: ما بال أقوام يفعلون كذا، وكان آونة يقول لأصحابه: نبهوا أخاكم هذا

وعنْ أنس: أَنَّ رجُلا، دَخلَ علَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَصْحابُهُ وعَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ لِرجُلٍ مِنْ أَصْحابِهِ: { لَوْ أَمرتُمْ هَذا أَنْ يَدعَ هَذا "، قَالَ: وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يُواجِهُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ}[548].

ومن ذلك حياؤه ﷺ من القوم الذين أطالوا الجلوس عنده بعد الأكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا حتى نزلت الآية في ذلك وهي قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ (٥٣ الأحزاب)

ومن ذلك أن النبي ﷺ كان إذا أراد الحاجة أبعد – أي قصد مكانا بعيد – رواه ابن ماجة عن بلال بن الحارث.

وأنه ﷺ كان: { إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الْأَرْضِ }[549]

ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

{ مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ }[550]

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

٥٤٨ سنن أبو داود ومسند الإمام أحمد.
٥٤٩ رواه الترمذي وأبوداود.
٥٥٠ رواه الترمذي

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يَغْتَسِلُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ، فَمَا رَأَى عَوْرَتَهُ أَحَدٌ قَطُّ ﴾[551]

وبهذا يعلم العاقل يقينا ان الرسول ﷺ قد نال أكمل مراتب الحياء وأعلاها.

سابعاً: الرحمة العظمى لجميع العالم

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء)

فهو ﷺ رحمة عظمى لجميع العالم: رحمة للمؤمنين، ورحمة للكافرين، ورحمة للمنافقين، ورحمة لجميع بني الإنسان: الرجال والنساء والصبيان، ورحمة للطير والحيوان، فهو رحمة عامة لجميع خلق الله تعالى.

أما رحمته للمؤمنين: فبهدايتهم إلى سعادة الدنيا والآخرة وباهتمامه بما يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم وتحذيره إياهم مما يفسد عليهم أمر الدنيا والآخرة رأفة ورحمة بهم كما قال الله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (١٢٨ التوبة)

والرأفة تقتضي إبعاد كل شر وفساد وضرر، والرحمة تقتضي جلب كل خير وصلاح ونفع.ولقد أقامه الله في رأفته ورحمته للمؤمنين: أنه أولى بهم من أنفسهم، قال ﷻ:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ (٦ الأحزاب)

ولذا كان ﷺ يعلي هذه الأولوية في خطبه ومجتمعاته، كما روى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه النبي ﷺ قال:

﴿ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ (٦ الأحزاب) فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ

551 رواه البزار.

مَنْ كَانُوا ، فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ ﴾

وفي رواية أحمد عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ **أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأيما رجل مات وترك ديناً فإلي، ومن ترك مالاً فهو لورثته** ﴾

وأما رحمته بالمنافقين: فالأمان من القتل والسبي نظراً لظاهر إسلامهم في الدنيا

وأما رحمته للكفار: فبرفع عذاب الإستئصال عنهم في الدنيا وذلك أن الأمم السابقة كانت إذا أرسل الله فيهم رسولا فكذبوه وكفروا به جاءهم العذاب فعمّهم كما قصّ الله تعالى من أخبار الأمم السابقة، وأما كفار هذه الأمة المحمدية: فقد رفع الله عنهم العذاب العام الذي يستأصلهم كما استأصل وعمّ الكفار من الأمم السابقة، وذلك تكرمة لهذا الرسول الكريم ﷺ الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

﴿ **﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء)، من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم من عاجل العذاب في الدنيا من المسخ والخسف والقذف**﴾[٥٥٢]

فهو ﷺ رسول الرحمة ونبي الرحمة كما في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال:

﴿ أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ، وَالْحَاشِرُ ، وَالْمُقَفَّى (أي آخر الأنبياء وخاتمهم) وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ أوِ الْمَلاحِمِ ﴾

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: ﴿ **قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً "** ﴾

بل هو ﷺ الرحمة المهداة التى أهداها الله تعالى للعالم كما روى الطبراني والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ **إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ** ﴾ وعند الطبراني

٥٥٢ رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل وغيرهم.

{ بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً }

رحمته ﷺ بالأهل والعيال:

روى مسلم في صحيحه عن أنس ﵁ قال: { مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ ، وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ (يعلو منه الدخان)، وَكَانَ ظِئْرُهُ (زوج مرضعته) قَيْنًا (حداد)، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ }

ومن رحمته بأهله ﷺ أنه كان يعاونهم في أعمال المترل كما قالت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ وقالت: { كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ }، وفي مسند أحمد وغيره عن عائشة ﵂ قالت: {كان النبي ﷺ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ }

رحمته ﷺ بالصبيان:

روى الشيخان وغيرهما عن أنس ﵁ ان النبي ﷺ قال: { إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ }

ومن رحمته ﷺ بالصبيان أنه كان يمسح رؤوسهم ويقبلهم كما جاء بالصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: { قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ،

فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ "مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ" }، وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: { **جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ** }.

ومن رحمته بالصبيان وحبه لإدخال السرور عليهم أنه ﷺ كان إذا أوتي بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان.

كما روى الطبراني عن ابن عباس ﵄ ان النبي ﷺ { **إِذَا أُتِيَ بِبَاكُورَةِ الْفَاكِهَةِ ، وَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ عَلَى شَفَتَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَرِنَا آخِرَهُ " ، ثُمَّ يُعْطِيهِ مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصِّبْيَانِ** }

ومن رحمته دمع عينيه ﷺ لفراق ولده إبراهيم ، ومن رحمته ﷺ بكاؤه لثقل مرض بعض أصحابه كسعد بن عباده عند عيادته له، ومن رحمته ﷺ بكاؤه لموت بعض أصحابه كعثمان بن مظعون، ومن رحمته ﷺ بالمساكين والضعفاء أنه ﷺ كان لا يأنف (لا يتكبر) أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهم الحاجة، وعن سهل بن حنيف ﵁:

{أن النبي ﷺ كان يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ }[٥٥٣]

رحمته ﷺ باليتيم:

قال الله تعالى: **﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾** (٩الضحى)

فكان ﷺ يحسن إلى اليتامى ويبرهم ويوصي بكفالتهم والإحسان إليهم وبيّن الفضائل المترتبة على ذلك، وروى البخارى عن سهل بن سعد ﵁ قال:

{قال رسول الله ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا}

---

٥٥٣ رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم.

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: { خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ ، بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ ، بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ }

وذكر ﷺ فضل المرأة التى مات زوجها فحبست نفسها على تربية أولادها ولم تتزوج فقال: { أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَابَةِ ، امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا }[٥٥٤]، وعن أبى هريرة ﷺ { أَنَّ رَجُلا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ ، فَقَالَ : امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ ، وَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ }[٥٥٥]، وروى أنس أنه ﷺ قال: { السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وكَالْقَائِمِ لا يَفْتُرُ وكَالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ }[٥٥٦]

رحمته ﷺ بالحيوان

كان ﷺ يوصي بالرحمة بالحيوان وينهى صاحبه أن يجيعه أو يودئبه ويتعبه بإدامة الحمل عليه أو إثقاله، فعن سهل بن الحنظلية ﷺ قال:

{ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ (أي ضمر من شدة الجوع) فَقَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا وَكُلُوهَا صَالِحَةً }[٥٥٧]

كما كان ﷺ ينهى عن إرهاق الحيوان بإيقافه وبإطالة الجلوس عليه من غير ضرورة إلى ذلك فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل

---

٥٥٤ رواه أبوداود.
٥٥٥ رواه الإمام أحمد.
٥٥٦ رواه الشيخان.
٥٥٧ رواه أبوداود وابن خزامة.

فقال لهم:﴿ ارْكَبُوهَا سَالِمَةً وَدَعُوهَا سَالِمَةً ، وَلا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالأَسْوَاقِ ، فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا ، وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ ﴾[٥٥٨]، قال العلامة المناوى: والمنهي عنه الوقوف الطويل لغير حاجة فيجوز حال القتال والوقوف بعرفة ونحو ذلك، وفيه إشعار بطلب الذكر للراكب وقد ذكر أهل الحقيقة أنه يخفف الثقل عن الدابة.

وعن ابن ﷺ قال :﴿ قال ﷺ دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا ، فَلا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ ﴾[٥٥٩]

ونهى ﷺ عن تسليط الحيوانات بعضها على بعض بالأذى فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ ﴾[٥٦٠]

رحمته ﷺ بالطيور

كان رسول الله ﷺ يحذر من فجيعة الطيور بأولادها على يد الإنسان وذلك من باب الرحمة فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال:

﴿ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ غَيْضَةً ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَيْضَ حُمَّرَةٍ (طائر صغير كالعصفور) ، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ تَرِفُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أي ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها) ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَهَا ، فَقَالَ : رُدَّهُ ؛ رَحْمَةً لَهَا ﴾[٥٦١]

ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: ﴿ من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: لا

---

٥٥٨ رواه أبويعلى والطبراني والحاكم في المستدرك.
٥٥٩ رواه الامام البخارى.
٥٦٠ رواه أبو داود والترمذي.
٥٦١ سنن أبو داود.

تُعَذِّبُوا بِالنَّارِ، فَإِنَّهُ لا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إلا رَبُّنَا)[562]

حذر ﷺ من قتل الطير عبثاً لا لمنفعة كأكل ونحوه وقال ﷺ:(**مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا ، عَجَّ** (أي شكا بصوت عالي) **إِلَى اللَّهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلانًا قَتَلَنِي عَبَثًا ، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ)**[563]

وأوصى ﷺ بالرفق في ذبح الحيوان والإحسان إليه فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاة وهو يحد شفرته (سكينا) فقال له النبي ﷺ:(**أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ، هَلا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا)**[564].

وحذَّر ﷺ من اتخاذ الحيوان وكل ذي روح هدفاً للرمي، فعن ابن عمر ﷺ أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا أو دجاجة يترامونها وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر:(**من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)**[565].

وأما رحمته ﷺ للجن فبإعتبار ﷺ رسول إلى الجنِّ أيضا رسالة تكليف، وقد بلغهم، وأمرهم، ونهاهم، كما أنهم توافدوا عليه واستمعوا إليه في عدة مناسبات.

وأما شمول رحمته ﷺ بعالم الملائكة: فهو ما ذهب إليه جمهور العلماء وذلك إما باعتبار أنه ﷺ مرسل إليهم برسالة فيها تكليف لهم بأوامر ونواهي وإما باعتبار أنه ﷺ مرسل إليهم رسالة تشريف فقد شملهم عموم رحمته ونالوا بواسطته علوما جمة كثيرة وأسرارا عظيمة مما أودع الله تعالى في كتابه الذي أنزل عليه ﷺ.

---

٥٦٢ رواه أبو داود.
٥٦٣ رواه النسائي وابن حبان.
٥٦٤ رواه الطبراني والحاكم.
٥٦٥ رواه الشيخان.

وهكذا يتضح لنا جلياً أن جميع ما جاءت به الرسالة المحمدية وما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق وحقوق وواجبات كل ذلك مبني على أساس الرحمة للعباد.

ثامنا: تفقده ﷺ لأصحابه

كان ﷺ يسأل عن أصحابه حال غيبتهم عنه، لما روى عن هند بن أبي هالة في حديثه يصف النبي ﷺ: {كان ﷺ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ مَا فِي النَّاسِ }، وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ:{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَقَدَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ غَائِبًا دَعَا لَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَاهِدًا (حاضرا في البلد) زَارَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ }[٥٦٦]، فكان ﷺ يزور أصحابه ليكرمهم بذلك وليدخل السرور عليهم ولينفعهم بارشاداته وتعاليمه، عن عبدالله بن قيس ﷺ: { كَانَ يُكْثِرُ زِيَارَةَ الأَنْصَارِ خَاصَّةً وَعَامَّةً ، فَكَانَ إِذَا زَارَ خَاصَّةً ، أَتَى الرَّجُلَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَإِذَا زَارَ عَامَّةً ، أَتَى الْمَسْجِدَ }[٥٦٧]

وروى البخارى عن أنس بن مالك ﷺ: { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُمْ }.

والأمر في هذا الباب واسع لأنه ﷺ كان يزور ضعفاء المسلمين ويلاطفهم ويؤانسهم ويجلس معهم ويعود مرضاهم ويحضر جنائزهم وكان أيضاً ﷺ يتفقد أصحابه في الليل ويستمع إلى قراءهم للقرآن فعن أبي موسى ﷺ قال:

{ قال رسول الله ﷺ إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ

٥٦٦ الجامع الصغير ومجمع الزوائد وأبويعلى.
٥٦٧ رواه الإمام أحمد.

مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ)[٥٦٨]

وروى أبوداود والترمذي عن أبي قتادة أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر ﷺ يصلي يخفض من صوته ومرَّ بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعا صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال ﷺ: { يَا أَبَا بَكْرٍ! مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ، قَالَ : قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ، وَمَرَرْتُ بِكَ يَا عُمَرُ وَأَنْت تَرْفَعُ صَوْتَكَ، قَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ احْتَسَبْتُ بِهِ أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَاحْتَسِبُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لأَبِي بَكْرٍ : ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا، وَقَالَ لِعُمَرَ : اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ}، وعند أبي داود قال ﷺ: { وَسَمِعْتُكَ يَا بِلالُ تَأْخُذُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، قَالَ: كَلامٌ طَيِّبٌ، يَجْمَعُ اللَّهُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: كُلٌّ قَدْ أَصَابَ }

تاسعاً: صدقه ﷺ الوعد وحفظه للعهد

كان ﷺ صادق الوعد يفي بوعده وإن شق ذلك عليه فقد روى أبوداود عن عبدالله بن أبي الحمساء قال:

{ بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ ، فَنَسِيتُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ . فَقَالَ : يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ }

وكان ﷺ يحسن العهد ويحفظ الود فقد روى أبوداود:

{ كَانَ جَالِسًا ، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، فَقَامَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

٥٦٨ رواه الشيخان.

فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ }

وأورد البخارى في صحيحه باب حسن العهد من الإيمان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: { **مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلاثِ سِنِينَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِهَا مِنْهَا }** (أي صديقات خديجة).

وقال في امرأة عجوز كان يقبل عليها حين قالت له عائشة:{ **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الإِقْبَالِ ؟ ! قَالَ : إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ }**[٥٦٩]

عاشراً: شجاعته ﷺ الخارقة

قال الإمام علي رضي الله عنه في وصفه للنبي ﷺ :

{ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا ، وَأَجْرَأَ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَوْفَاهُمْ بِذِمَّةٍ ، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْرَمَهُمْ عَشِيرَةً }[٥٧٠]

فكان ﷺ إذا ألمت بأصحابه الملمات وأحاطت بهم المخاوف لاذوا بجنابه الرفيع واحتموا بحماه المنيع، قال الإمام علي رضي الله عنه:

{كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول اللّه ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا على الأعداء }[٥٧١]

٥٦٩ المستدرك على الصحيحين ومسند الشهاب.
٥٧٠ رواه الترمذي.
٥٧١ رواه مسلم.

وفي صحيح مسلم أيضاً أن البراء بن عازب كان يقول: { **الشجاع هو الذي يقرب من النبي ﷺ إذا دنا العدو** }، ولقد ثبت ﷺ يوم حنين وثبّت قلوب الصحابة وتقدم نحو صفوف العدو وهو على بغلته غير مبال ولا هياب ويقول بكل جرأة وثبات:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما : { **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَجْوَدَ ، وَلا أَنْجَدَ ، وَلا أَشْجَعَ ، وَلا أَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** }.

حادي عشر: صدقه وأمانته ﷺ

ومن أعظم صفاته ﷺ التى اتصف بها في الجاهلية قبل الإسلام الصدق والأمانة فكان ﷺ أأمن الناس وأصدقهم لهجة فهو كما قال فيه الله تعالى: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (٢١ التكوير)، وكانت تسميه قريش قبل نبوته الأمين ولما اختلفوا عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي ﷺ داخل وذلك قبل نبوته فقالوا:

{ **هذا محمد هَذَا الأَمِينُ رَضِينَا بِهِ . فَبَسَطَ رِدَاءَهُ ثُمَّ وَضَعَ الرُّكْنَ فِيهِ** }[٥٧٢]

وقال ﷺ: { وَاللَّهِ إِنِّي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ وَأَمِينٌ فِي الأَرْضِ }[٥٧٣]

وورد أن أبا جهل قال للنبي ﷺ : { **إنا لا نكذّبك ولا أنت فينا بمكذَّب ولكن نكذب بما جئت به** }[٥٧٤]، وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فخبرني عن محمد صادق أم كاذب؟ فقال أبوجهل: والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط.

وسأل هرقل عنه ﷺ أبا سفيان، فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما

---

٥٧٢ أخرجه أحمد في المسند.
٥٧٣ أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين والمتقي الهندي في كنز العمال
٥٧٤ رواه الترمذي.

قال؟ قال: لا، فقال هرقل: **{ ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله ﷻ }**[٥٧٥]، وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر.

ومن أبلغ ما روى عنه ﷺ في الأمانة وشهد له به الأعداء قبل الأصدقاء أنه ﷺ : ما كان عند أحد في قريش أمانة يخشى عليها إلا وذهب إلى الرسول ﷺ ووضعها عنده فلما كان يوم هجرته أمر ابن عمه علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه – مع تعرضه للقتل – ليؤدي الأمانات إلى أهلها، مع أن أهل مكة ظلموا أصحابه عند هجرتهم واستولوا على دورهم وأموالهم، ولكن الأمانة هي سمته الكريم الذي يقول فيه ﷺ:

{ أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ }[٥٧٦]

ثاني عشر: عدله ﷺ في سيرته وعدالته في أمته[٥٧٧]

كان ﷺ عادلاً أولاً مع نفسه، عادلاً مع أهل بيته، عادلاً مع جيرانه وأهل عمله، عادلاً مع أهل مجتمعه أجمعين، لا يرجو من وراء ذلك إلا رضا الله، ولا يخاف ظلم أحد من العباد إلا خوفاً من محاسبة الله، والله ﷻ سيحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه لأنه يعلم أن الله سيحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه.

وبدأ النبي ﷺ بنفسه أولاً حتى يُسمع لقوله، وإذا حكم يُنفَّذ حكمه، ها هو رضيعاً عند السيدة حليمة السعدية مرضعته، فأعطته ثديها فرضع ولم يشبع، فأعطته الثاني فرفض أن يضع فمه عليه ويتناول شيئاً، ألهمه الله ﷻ أن له شريكٌ في الرضاعة فحفظ نفسه أن يجور عليه أو يظلمه ويأخذ من نصيبه، ومشى على هذا العهد طوال حياته.

---

٥٧٥ أخرجه البخارى ومسلم.
٥٧٦ سنن الترمذي وأبوداود والدارمي.
٥٧٧ خطبة الجمعة – مسجد النور – المعادى - الجمعة ٢٠١٤/٤/٤ موافق ٤ جمادى الثاني ١٤٣٥

عدله في مشاعره:

انظر إلى مواقفه السديدة وأحواله الرشيدة لتعلم سرَّ حب هذه الأمة لنبيها صلوات ربي وتسليماته عليه. يأخذ رجلٌ من اليهود بمجامع ثيابه أمام أصحابه ويشدُّه بعنف حتى كاد ان يختنق، وكان له دينٌ عليه ويقول له مجاهراً: يا بني عبد المطلب إنكم قومٌ مُطلٌ وأنا عليمٌ بكم، ومن شدة جذبته لردائه أثَّر في عُنقه الشريف، فانتصر رجلٌ من أصحابه وهو عمر وأمسك سيفه وقال: يا رسول دعني أقطع عُنق هذا المنافق، لكن الذي ربَّاه مولاه على العدل يأبى أن ينصره بالظلم، فقال له:

{ يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ ، اذْهَبْ يَا عُمَرُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ }[٥٧٨]

لم يفرح لأن أخيه ينصره على عدوه، لأنه يريد العدل، فهو الرسول الحكم العدل ﷺ، ثم نراه ﷺ يقسم بين الناس فقال رجل: **{ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْدِلْ ! ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ ! لَقَدْ خِبْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ }**[٥٧٩]

انظر إلى عدله بين أهل بيته، جعل لكل زوجة من زوجاته التسعة بيتاً، وكان يُعطيهُنَّ جميعاً رزق عام من الأقوات يكفيهن لمدة عام، ولكل امرأة ليلتها، ويعدل في القسمة بينهن، حتى أنه عندما مرض مرض موته كان يأمر بأن يُحمل لأنه لا يستطيع المشي إلى الزوجة التي نوبتها أن يبيت عندها في هذه الليلة، فلما رأين شدته وما يقاسيه في سبيل ذلك، قُلن يا رسول الله إنا رضينا جميعاً أن تُمرَّض في بيت عائشة، قال: أحقاً رضيتم؟ قلن: نعم، قال: لا بأس، وإذا مرَّ بواحدة منهن في غير يومها لا بد أن يُمرَّ في تلك الساعة على جميعهن ويقول للأمة: **{ مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لإِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ }**[٥٨٠] ليتبين للخلق جميعاً أن هذا ظالم،

---

٥٧٨ سنن البيهقي الكبرى.
٥٧٩ صحيح البخارى ومسلم.
٥٨٠ سنن النسائي الصغرى.

وكان يميل قلبه إلى السيدة عائشة ﵂ فخشي أن يكون ذلك ظلما فخاطب في ذلك ربه فقال: "**يارب هذه قدرتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**" ويعني محبة القلب" فخشي أن يكون ظالماً في مشاعره وفي حبه، إنه الحريص أن يكون عادلا في حق نفسه أولا حتى إذا أمر به بحق وأقره بين العباد بصدق فلا يعترض أحد.

عدله مع أصحابه:

كان ﷺ حريص على العدل في كل أحواله، حتى مع أصحابه:

{ وكان ﷺ فـي سفر فأمر بإصلاح شاةٍ فقال رجل يا رسول اللّه علـيّ ذبحها وقال آخر علـيّ سلـخها وقال آخر علـيّ طبخها فقال رسول اللّه ﷺ :وعلـيّ جمع الـحطب، فقالوا يا رسول اللّه نـحن نكفـيك فقال: قد علـمتُ أنكم تكفوننـي ولكنـي أكره أن أتميّز علـيكم فإن اللـه يكره من عبده أن يراه متميّزاً بـين أصحابه، وقام فجمع الـحطب }[581] وعندبناء مسجده الشريف روى الْحَسَن فقَالَ: **{ لَمّا قَدِمَ النّبِيّ ﷺ المَدِينَةَ قَالَ: ابْنُوا لَنَا مَسْجِداً، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ: عَرْشٌ كَعَرْش مُوسىٰ، ابْنُوا لَنَا بِلَبِنٍ** (الطوب النيىء)، **فَجَعَلُوا يَبْنُونَ وَرسولُ اللّهِ يُعَاطِيهُمُ اللّبَنَ عَلَىٰ مَا دُونَهُ ثَوْبٌ وَهُوَ يَقُولُ: اللّهُمّ إنّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة:::: فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَة }**[582] **{ وورد أنهم ردوا عليه ﷺ إرجازا وقالوا : لئن قعدنا والنبى يعمل:::: فذاك منا العمل المضلل }**[583]

ثم يأتي حفر الخندق ويشترك معهم في الحفر، ويقول: إذا استعصت عليكم صخرة فأنا لها، يقوم بشق الصخر الذي يتعثَّر على أصحابه، ويتعفَّر جبينه من التراب، ويقولون: يا رسول الله هلاَّ جلست ونحن نكفيك، يقول: قد علمت ولكني أكره أن أتميز عليكم، ويقول له رجلٌ منهم: يا رسول الله ما ذقت طعاماً من الأمس، فيقول ﷺ:

---

٥٨١ الوافى بالوفيات وكشف الخفاء.
٥٨٢ (كر) عن الحسن رضى الله عنه.
٥٨٣ السيرة الحلبية وسيرة إبن هشام والرحيق المختوم.

{ وأنا ما ذقت طعاماً منذ ثلاث }[٥٨٤]

يشاركهم في أعمالهم ويشاركهم في أكلهم، ويشاركهم في أحوالهم حتى عند الجلوس كان يجلس معهم كأحدهم، فيأتي البدوي فيسأل عنه لأنه ليس له جلسة مخصوصة، فيشيرون إليه ويقولون: هذا هو الرجل الأبيض الذي تراه. ويقولون: يا رسول الله ألا نجعل لك مجلساً عالياً حتى يراك القادمون؟ فيقول: إني أكره أن أتميز عليكم.

عدلاً في كل أحواله، عدلاً في كل أفعاله، عدلاً في كل أحكامه، ولذلك كان إذا قال سارعوا إلى التنفيذ، لأنه ﷺ أولهم أخذاً بذلك لأنه يخشي الله ويراقب الله ويتقي الله جلَّ في عُلاه فيخشى أن يظلم أحداً من خلق الله.

جاءته ﷺ أموال فى مرض موته فوزعها على الفقراء ولم يبقَ إلا سبعة دنانير، وأمسى الليل واشتد عليه الوجع فقال لنسائه في الصباح كما تروى عائشة ﵂:

{ اشْتَدَّ وَجَعُ رَسُولِ اللَّهِ، وَعِنْدَهُ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ أَوْ تِسْعَة، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، مَا فَعَلَتْ تِلْكَ الذَّهَبُ؟ فَقُلْتُ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: تَصَدَّقِي بِهَا. قَالَتْ: فَشُغِلْتُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، مَا فَعَلَتْ تِلْكَ الذَّهَبُ؟ فَقُلْتُ: هِيَ عِنْدِي. فَقَالَ: ائْتِنِي بِهَا. قَالَتْ: فَجِئْتُ بِهَا، فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟ مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وهذِهِ عِنْدَهُ؟}[٥٨٥]

قيل وأنفقها كلها فى بيوت الأنصار ومات من يومه ﷺ..فلذلك لم يحرم واحد في عهده ولم يعترض واحد في جوع أصابه ولا في فقر انتابه وإنما كان هو الأمل وهو الرجاء في تحقيق عدل حرم منه الناس.وهكذا كان ﷺ في كل تصرفاته وأحواله إماماً لهم ولنا أجمعين لنتأسى بهديه ونسير على دربه فنكون كما قال:

{ المسلمون عدول بعضهم على بعض إلاّ محدوداً في قذف }[٥٨٦]

أى يعدلون في كل أحوالهم وفي كل كلماتهم وفي كل شيء لهم، قال ﷺ:

---

٥٨٤ إحياء علوم الدين.
٥٨٥ صحيح ابن حبان عن عائشة
٥٨٦ عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عمدة القاري

﴿ يومٌ من إمامٍ عادلٍ أفضلُ من عِبادةِ ستينَ سَنَةً ﴾[٥٨٧]

تربيته الأصحابه على العدل:

وضع النبي ﷺ نُصب عينيه تربية المؤمنين على العدل في كل أحوالهم فأمر كل رجل أن يعدل بين أولاده حتى في البسمة، والكلمة الطيبة، و في إقباله بوجهه عليهم، وقال قولته المشهورة: ﴿ سَوُّوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ ﴾[٥٨٨]، حتى لا يشعر واحدٌ منهم بأى أثر للظلم من جهة أبيه أو تمييز أخواته أو أحدهم عليه، وأمر ﷺ أصحابه أن يكونوا عُدولاً مع بعضهم، فلا يرى أحداً ظالماً إلا ويحّذره وينذره بعقاب الله وحساب الله، حتى يكون قد أدَّى ما عليه لله ﷻ، فقال ﷺ: ﴿ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ ﴾[٥٨٩].

إذا رأيت من يظلم لابد أن تكون حكماً عدلاً، تعالوا معي إلى حضرته وهو في حجرة السيدة عائشة، وذُكرت إحدى زوجاته وهي السيدة صفية، فقالت: يا رسول الله وما يعجبك منها؟ إنها قصيرة – وهي فعلاً كانت قصيرة ــ لكنه لا بد وأن ينتصر ويمنع الظلم، فقال:

﴿ يا عائشة لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ – أي عكَّرَتْهُ – ﴾[٥٩٠]

يمنعها أن تتكلم في حق زوجته الثانية لأنه كان يمرنهم ويجهزهم على العدالة صلوات ربي وتسليماته عليه، ومازال ﷺ يدربهم على ذلك حتى كانوا قمة في العدالة بين الخلق أجمعين، لا يرضى أحدهم أن يميزه القاضي على خصمه، ولا يظهر عليه الجزع أو الفزع إذا قُدِّم للقضاء وهو غنيٌّ وخصمه رجلٌ فقيرٌ أو على غير دين الإسلام.

اشتكى رجلٌ علياً بن أبي طالب كرَّم الله وجهه إلى عمر بن الخطاب فاستدعاهما عمر، فلما وقفا بين يديه قال لعلي وأشار: أن اجلس هاهنا – أى بجوارى – يا أبا الحسن، فظهر الغضب في وجه علي، فلما انتهت القضية وحكم القاضي عمر بالحكم،

---

٥٨٧ عن ابن عباس السنن الكبرى للبيهقي.
٥٨٨ سنن البيهقي الكبرى.عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.
٥٨٩ صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
٥٩٠ جامع الترمذي وسنن أبوداود

قال له: يا عليّ لم تغيرت عندما قلت لك: تعالى هنا يا أبا الحسن؟ قال: لأنك ناديت خصمي بإسمه وكنيتني وقلت: يا أبا الحسن، ولم يظهر الحق لي بعد، فلم ميزتني عليه؟! وطلبت مني أن أجلس وتركت خصمي واقفاً ولم يظهر الحق بعد.

هذه هي العدالة التي يرضى عنها رب الأرض والسماء، والتي ربى عليها النبي ﷺ صحبه البررة الكرام، وتمر الأيام ويكون علياً خليفة للمسلمين ويخرج لصلاة الفجر فيسقط منه درعه الذي يتحصَّن به في الحروب، فيذهب إلى السوق فيجد درعه، فيسأل البائع لمن هذا الدرع؟ ومن الذي باعه لك؟ فأشار إلى فلان اليهودي، فأخذ الدرع وذهب إلى القاضي وهو خليفة المسلمين، وجيء باليهودى، فقال اليهودى: إنها درعي، فقال القاضي: من يشهد لك يا أمير المؤمنين، قال: لا أحد، قال القاضى: الدرع درعك يا يهودى، فقال اليهودى: ما رأيت كاليوم قاضي المسلمين يحكم على أمير المؤمنين ويجعل الدرع لي، إن هذه هي العدالة التي قامت بها السماوات والأرض، أشهدكم أن هذه الدرع هي درعك يا أمير المؤمنين وقد سقطت منك وأنت ذاهبٌ لصلاة الفجر، فأخذها، فقال رضى الله عنه: ما دمت قد شهدت بذلك فهي هدية لك، ونطق الرجل بالشهادتين لما رأى من عدالة المؤمنين، ومن عدم الجور والظلم بين المسلمين، بل الأكثر من هذا عندما انطلق جيشٌ في عصر عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى مدينة سمرقند الآن وهي في جنوب روسيا، ودخل الجيش البلدة ولم يؤذِن أهلها، ولم يدعوهم ــ كما يعلمون هم ــ إلى الجزية أو الإسلام أو الإحتكام بالسيف، فاشتكوا إلى قاضي في صحبة الجيش، فاستدعى القاضي قائد الجيش قتيبة بن مسلم رحمة الله عليه، قال: هل آذنتهم بدخول المدينة؟ قال: لا، قال: هل أعلمتهم بشروط الإسلام التي حدَّدها الإسلام لدخول البلدان إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف؟ قال: لا، قال: فإن قاضي المسلمين يأمر أن يخرج جيش المسلمين من المدينة وتُردُّ المدينة إلى أهلها لأنه دخل المدينة على غير الشروط التي وضعها نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وخرج الجيش، وتعجَّب أهل البلدة من هذه العدالة التي لم يروا لها مثيلاً في التاريخ وقالوا: والله ما رأينا عدالة كهذه قط، وكانت سرُّ إسلامهم ودخلوا في دين الله ﷻ أفواجا.

نصيحة لطلاب القرب من الله عز وجل

هناك طلاب الجنة، وهناك طلاب المنة، وهناك طلاب النعيم، وهناك طلاب ذات الكريم عز وجل، هؤلاء لهم مقصد وهؤلاء لهم مقصد، الذين يريدون المطلب الأعلى هؤلاء جهادهم في التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ، وهذا أشد الجهاد.

سهل على النفس أن تُحيي الليل في صلاة أو في تسبيح أو في تلاوة قرآن، لكن الأصعب عليها لو اعتدى عليها إنسان بلفظ كيف تصبر؟! كيف تحلَم؟! كيف تصفح؟! كيف تعفو؟! لأن اللفظ يثير حفيظة الإنسان من الداخل، ويريد الرد والزيادة: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ هذه درجة، والأعلى منها: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ والأعلى منها: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾ (آل عمران) يعني أحسن إلى من أساء إليك.

من الذي يستطيع هذه الدرجة؟ الذي يريد أن يكون مع النبي الكريم وأصحابه العظماء، فهذا الجهاد الأعظم، وهذا الذي كان يربي عليه النبي ﷺ أصحابه الكرماء، فكل ملاحظته لهم في هذه الأمور.

سار مع سيدنا أبوبكر رضي الله عنه في طريقهم إلى الحج، وسيدنا أبوبكر قال: يا رسول الله: أنا علي الزاد لك ولي، وحمل زاده وزاد رسول الله على جمل، وأتى على صبي عنده وقال له مهمتك الوحيدة هذا الجمل ليس لك عمل غير ذلك، فساروا وسهى الصبي وتاه الجمل، فغضب سيدنا أبوبكر غضباً شديداً، فقال للصبي: أجمل واحد ولا تستطيع حفظه وصيانته؟! وأراد أن يزيد، فإذا بالنبي ﷺ أمامه، فقال: **{ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَصِدِّيقِينَ ، وَلَعَّانِينَ، لا يكون }**[٥٩١]، كيف يكون صديقاً ويلعن، لا يكون ... تدريب ... نحتاج تدريباً شديداً على هذا الخلق، تريد أن تصبح صديق فلا تلعن أحد.، ومرة أخرى والنبي ﷺ جالس في المجلس وسيدنا أبو بكر معه: **{ جَعَلَ رجلٌ يَشْتِمُ أَبَا بكرٍ رضي الله عنه، ورسولُ اللهِ جالسٌ، فَجَعَلَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فلمَّا أَكْثَرَ ذلكَ رَدَّ عليهِ أبو بكرٍ بعضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ رسولُ اللهِ، وقامَ، فَلَحِقَهُ أبو بكرٍ رضي الله عنه فقالَ: يا رسولَ اللهِ كانَ يَشْتِمُنِي وأنتَ جالسٌ، فلمَّا رَدَدْتُ عليهِ بَعْضَ قولِهِ غَضِبْتَ وقُمْتَ، قالَ: فَإِنَّهُ كانَ مَعَكَ مَنْ يَرُدُّ عنكَ، فلمَّا رَدَدْتَ عليهِ**

---
٥٩١ الأدب المفرد للبخارى وشعب الايمان للبيهقي عن عائشة رضي الله عنها.

قَعَدَ الشيطانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ معَ الشيطانِ، ثم قالَ رسولُ الله: يا أَبا بكرٍ، مَا مِنْ عبدٍ ظُلِمَ مَظْلِمَةً فَيُغْضِي عَنْهَا لِلّهِ ﷻ، إِلاَّ أَعَزَّ الله ﷻ بِهَا نَصْرَهُ)[592]

كثير من أحباب الصالحين يكون مع الناس في العمل، ومع الناس في المسجد أو الشارع كأنه ملك من الملائكة، ويمدحوا فيه ما شاء الله في ألفاظه وعباراته ومروءته وشهامته، وعندما يصل للبيت يخلع هذا الوجه ويصبح له وجه آخر مختلف، كأن هذا غير ذلك، السبُّ والشتم و اللعن والغضب والفظاظة والغلظة، ما هذا وما ذاك؟! ألم تسمع حضرة النبي وهو يقول: **(إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ)**[593]

لماذا يكون لك وجهان، كن بوجه واحد هنا وهناك، فيأتي الناس يمدحوه أمام ابنه أو ابنته أو زوجته، فيقولوا: أنتم لا تعلمون عنه شيئاً، كثير من أحبابنا بناهم رفضت الزواج من الرجال الصادقين معنا لأنها قاسته على أبيها، ظنا منها أنه سيكون مثل أبيها، فرفضت، وهذا حدث كثيراً لأن هذا وجه وهذا وجه.

ومثال آخر: يكون الأخ معنا في قمة التواضع، وعندما يذهب مع الأقربين من الأحباب في بلد يتبدل حاله لصورة أخرى مختلفة، فهنا مريد منكسر طيب بشوش لطيف، ووقتما يرجع يتحول لشيخ كبير، فظ وغليظ ويشد عليهم، ما هذا؟! هل هذا هو الإسلام؟! لا يا أحباب، هذا لا علاقة له بنبي الإسلام ﷺ

فكان ﷺ في الجملة هو مكارم الأخلاق، وهذا ما نريد أن نفعله عملياً في حياتنا، فنزن أنفسنا بأخلاق رسول الله، وننظر أين هو وأين نحن؟ وننظر كيف نعامل زوجاتنا وكيف كان ﷺ يعامل زوجاته؟ ونزن، وكيف نعامل جيراننا وكيف كان ﷺ يعامل جيرانه؟ ونزن، وننظر كيف نتكلم مع خلق الله، هل باللين والرحمة والشفقة أم بالسب والشتم واللعن؟ ونزن، لن تصل إلى ما تريد إلا إذا طبقت أخلاق هذا السيد الكامل ﷺ، وصرت عبداً من العبيد للحميد ﷻ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٥٩٢ رواهُ اللَّيْثُ بنُ سعدٍ عن سعيدٍ المَقْبُرِيّ عن بشيرٍ عن سعيدِ بن المُسَيِّبِ عن النبيّ في قِصّةِ أبي بكرٍ ﵁ مرسلاً، دونَ مَا في آخِرِهِ من الترغيبِ في الإِغْضَاءِ، سنن الكبرى للبيهقي.

٥٩٣ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁

الباب العاشر

جمالاته القلبية ﷺ

طهارة قلبه ﷺ

جمال العبودية

جمالات القلب

الباب العاشر

جمالاته ﷺ القلبيه[594]

الحديث عن جمالات رسول الله ﷺ هو حديث كل قلب له مطمع في فتح الله، وإكرام الله، ونفحات الله ﷻ، لأن النفحات الإلهية والعطاءات الربانية والتنزلات القدسية لا تتنزل إلا على أهل القلوب التقية النقية سر قوله ﷻ:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء).

ووصف الله ﷻ خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وقال في ذاته بعد أن تخللت محبة الله جميع جوانحه: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الصافات) فالذي يريد فتح الله وإكرامات الله وعطاءات الله يُركِّز على القلب السليم، ويتأسى في ذلك بالسيد السند العظيم الرءوف الرحيم ﷺ.

طهارة قلبه ﷺ

ما طريقه الذي يجب وينبغي أن نسلكه في ذلك؟ بدأ ﷺ أولاً بمعونة من الله، وتوفيق من الله، ورعاية من الله بتطهير قلبه بالكلية من جميع الأهواء والدناءات والمشاغل الدنيوية، ولذلك لا يُفلح سالك مهما أدَّى من أنواع العبادات، ومهما كابد من أفدح المجاهدات إلا إذا رأى كل ذلك لا يُغني عنه شيئاً عند ربه إلا إذا استمد من فضل الله وقوة الله وحول الله وتوفيق الله الذي يعينه على تحقيق مناه.

[594] المعادي – الخميس ١٣ من محرم ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/١١/٦م

فأرشدنا الله ﷻ على ذلك وإلى ذلك في شخص حبيبه ومصطفاه، فقد ورد في صحيح السيرة النبوية أن الله ﷻ طهره على يد السفرة البررة الكرام من الملائكة أربع مرات.

المرة الأولى وكان عنده أربع سنوات عندما كان يسرح بالغنم مع أخواته في الرضاعة عند أمِّه من الرضاعة السيدة حليمة السعيدية رضي الله عنها، ويحكي هو هذا الخبر، أنهم أخذوه وانتبذوه جانباً، وأرقدوه على ظهره، وتقدم أحدهم فشق من صدره إلى منتهى عانته، وتقدم الآخر فأخرج قلبه ووضعه في طست، وأخرج منه شيئاً وألقاه وقالوا: هذا حظ الشيطان، ثم تقدم آخر ورده إلى حالته، وقال له يا حبيب لا تُرع (أي لا تخف).

والسالك في هذا المقام أول ما يُخرج من قلبه حظ الشيطان من الوساوس، والهواجس، والمكر، والدهاء، والشهوة في حب الظهور، والرغبة في الرياء ... وغيرها من البضاعة الشيطانية التي أمرنا أن نتخلص منها رب البرية ﷻ، وهذا في مبتدأ الطريق.

إذاً أهل البداية عليهم أولاً التخلص من وساوس الشيطان، وهلاوس الشيطان، وهي سر كل المصائب بين الصغار والكبار، تمر المصائب هذه إلى سوء الظن، وسوء الظن يؤدي إلى الغيبة، وبعدها إلى النميمة، وبعدها إلى القيل والقال، وبعدها إلى السب والشتم، وبعدها إلى القطيعة، وبعدها إلى الهجر والخصام، كل ذلك سببه الأول وساوس الشيطان.

فلا بد للسالك أن يقضي على وساوس الشيطان، ويستعين على ذلك بربه، يجاهد نفسه ثم يطلب من الله أن يعينه على ذلك، حتى يجتبيه مولاه فيدخله في قوله:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر)

فيكون من أهل هذا المقام، وصاحب هذا المقام يفر منه الشيطان، فقد قال ﷺ في شأن رجل من هؤلاء وهو السيد عمر بن الخطاب ﷺ:

{ مَا سَلَكَ عُمَرُ وَادِيًا قَطُّ فَسَلَكَهُ الشَّيْطَانُ }[595]

يفر حتى من الشارع الذي فيه عمر خوفاً من أن تحرقه أنوار الله التي تحصن قلب عمر ﷺ.

والمرة الثانية كانت وعنده عشر سنوات، ويحكي عنها ﷺ أنهم أرقدوه، وأخرجوا من قلبه الغل والحقد وملأوا قلبه بالشفقة والرحمة والألفة لجميع خلق الله، وهذه المرحلة الثانية في الجهاد: (الحجر)

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

العجب ممن يدق على باب مولاه، ويطلب منه ﷻ تحقيق مناه وقلبه إسْوَدَّ من الحقد والحسد لعباد الله، أيحدث ذلك في مُلك الله ﷻ؟! وأشد أنواع الحسد؛ الحسد على فضل الله وإكرام الله، فالحسد على الدنيا والمال والأولاد أمره سهل، لكن هذا النوع يقول الله فيه معاتباً على صانعيه:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٥٤النساء)

لم يقل: (ما آتاهم الله من خيره) ولكن: (من فضله) ففى (٤الجمعة):

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

ولذلك قال سيدي جعفر الصادق ﷺ: نحن المعنيون بهذه الآية، فنحن الذين عندنا فضل الله الذي يستوجب الحسد في الآية التي ذكرها الله في كتاب الله، كأن يحسد إنساناً على الفتح الغيبي أو الفتح الوهبي، أو يحسده على الاستقامة التي عليها هذا الرجل، والإكرامات التي يتترل بها الله ﷻ لهذا العبد، هذا أشنع أنواع الحسد التي حذر منها الله ﷻ في كتاب الله ﷺ، لأنه بيَّن أن من حسد على ذلك باء بغضب الله وسخطه:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

٥٩٥ تاريخ دمشق لابن عساكر، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل عن أنس ﷺ

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٣١-٣٢الزخرف)

لكن الأشياء الأخرى من فضل الله وإكرام الله خالصة بيد الله جل في علاه.

والمرة الثالثة كانت عندما تنزَّل الوحي عليه بعد أن مكث في غار حراء شهوراً يشرف فيها على تطهير قلبه، وعلى صفاء فكره، وعلى تسليم نفسه لله ﷻ، فلما وصل للمراد تنزل الله ﷻ عليه بالوحي الإلهي، ولأنه كان في هذا الوقت في مقام العبودية الكاملة لله، فقد كان يرى نفسه غير أهل لهذا العطاء، وغير جدير بهذا الفضل، وهذه سيما أهل العبودية لله على الدوام، فنزل الملائكة وشقوا صدره ليُثبِّتوا قلبه وجنانه لكلام الله ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (٣٢فرقان).

والمرة الرابعة عندما أهَّله الله لفيض فضل الله، ونيل درجات القرب كلها في ملكوت الله وفي قدس الله، وهي مقامات لا يستطيع أحد من السابقين ولا اللاحقين عدها ولا حصرها، فقد رأى كل ما في عالم البرزخ، ورأى كل ما في عالم الملكوت، ورأى كل ما في عالم الجنان والنيران، واطَّلع على كل ما في اللوح المحفوظ، وعلى الغيوب الإلهية التي لا ينبغي أن يطلع عليها أحد سواه، لا من البشر ولا حتى من ملائكة الله أو أنبياء الله، وشهد المشاهد التي يقول فيها الله في كتاب الله:

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (النجم)

فكان سراً من سره لا يطلع عليه ملكٌ مقرب أو نبي مرسل، فشقوا صدره وأخرجوا قلبه وغسلوه بماء زمزم ثم ملأوه إيماناً وحكمة.

هذه هي مراحل الوصول إلى الله ﷻ التي مر بها رسول الله ﷺ، وعن هذه الطهارة الكلية لقلبه يحدثنا الشيخ عبد الرحيم القنائي ﷺ، وهو من أهل البيت الطاهرين، وكان أهله هاجروا إلى بلاد المغرب، وبعد أن حصَّل العلم في شبابه كان يشتد شوقه لزيارة البيت الحرام، فجاء مع نفر من المغاربة لحج بيت الله الحرام، ثم ذهب إلى المدينة لزيارة سيدنا رسول الله ﷺ، وهناك حلا له المقام، ولذ له الجوار، فجاور رسول الله، ومنَّ عليه

حبيب الله ومصطفاه – لأنه كريم للضيفان – فكان يأتيه كل أسبوع مرتين في المنام، يقول فيهما ﷺ: لي ليلتان مع رسول الله ﷺ؛ ليلة الإثنين وليلة الجمعة يأتيني فأعرض عليه ما استشكل عليَّ من الأسئلة فيجيبني عنها جميعاً، وكان من جملة هذه الأسئلة التي حكاها: ما سبب شق الصدر؟ حديث عظيم نقلناه في كتابنا ((حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق)) صفحة ١٣٥ وهو:

يقول سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ: " عندما كنت بالمدينة المنورة مقيماً فيها سألت رسول الله ﷺ مناماً، وكان ذلك في رؤيا ذات ليلة فسألت فيها رسول الله ﷺ عن: كيف حدث شق الصدر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لقد شُقَّ صدري وأنا في اليقظة ما شعرت فيه بشيء من ألم، وأتاني الله بقلب سليم ليتحمل نزول كلام الله على هذا القلب، لأن القلب الذي خلقت به طفلاً، لا يتحمل هذا النزول، وأنت يا عبد الرحيم تقرأ كتاب الله الذي قال جلَّ شأنه: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢١الحشر)

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء)

فمن رحمة الله بي أن هذا القلب الذي ارتضاه ربي فيه قوة ونورانية ونقاء وصفاء، وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعثراتها، تجري فيه آيات الرحمن التي نزلت عليه، لم يخالطها شيء من قوة أخرى، حيث كان كلام الله هو القوة والحياة، وقد حفظه الله من الزيغ والنسيان، وليس للشيطان سلطان عليه، ومتى جرى قول الله في مكان، أصبح هذا المكان بعيداً عن الهوى، وهذا معنى قوله تعالى عني:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)

وهذا هو المعنى في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ

وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى)

ولقد كان الكتاب والإيمان نوراً في قلبي، وعلى قلبي، وكان قلبي نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده، وأرسلني جلَّ شأنه لهدى الناس إلى صراط الله المستقيم، وهذا هو قلبي يا عبد الرحيم "، بعد أن روى سيدي عبد الرحيم ذلك، يقول في مستمعيه: "يا عباد الله هذا هو ما وصل إليَّ في وصف قلب رسول الله ﷺ من رسول الله، وأنا هناك بالأرض الطيبة بالمدينة المنورة أُنعَّم برضاء الله وحب رسوله العظيم".

إذاً هذه هي المرحلة الأولى لمن أراد الفتح، سمِّها التخلية، أو سمَّها الطهارة، سمَّها ما شئت؛ المهم أن يطهر القلب من كل شيء سوى مولاه، لا تستطيع أن تفعل ذلك بنفسك، استعن بالله ولا تعجز، المهم أن تبدأ، لا تتقاعس وتقول لو أراد الله هدايتي لفعل، فإن هذا كلام المجادلين، لا تتحجج وتقول كيف أخلي قلبي من الدنيا ومشاغلها ومشاكلها وهمِّ الأولاد وهم الرزق؟

انظر إلى حجج الله القائمة على الخلق وهم الصالحون الصادقون، فإنهم حجج الله على خلقه، كيف قاموا بما عليهم من واجبات نحو أجسادهم ونحو أولادهم ونحو زوجاتهم ونحو الخلق أجمعين؟! ومع ذلك لم يلوثوا القلب بالدنيا طرفة عين، بل كان القلب لمقلبه ﷺ، واسمع الله وهو يقول عنهم:

﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (٣٧النور)

وأنت تريد أن تكون مثل هؤلاء الرجال:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

تريد أن تكون مريداً لفضل الله لا بد أن يكون لك إرادة وعزيمة تدفعك للعمل خلف رسول الله ﷺ.

جمال العبودية

إذا طهر القلب بالكلية يبدأ الإنسان كما فعل الحبيب يتجمل بجمال العبودية في قلبه لرب البرية، أنت تُجمل ظاهرك للخلق من ملابس نقية، ومن روائح عطرية زكية، ومن عناية بالشعر، ومن عناية بالمظهر، لكن الله لا ينظر إلى هذا منك:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ } [٥٩٦]

أين الجمال الذي وضعته في قلبك ليراه ربك فيرضى عنك؟ فيقول عنك كما قال عن السابقين أمثالنا: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وتكون من جملة هؤلاء المؤمنين الذين رضي عنهم الله ﷻ.

فتُجمل قلبك بما يحبه الله، وما الذي يحبه الله ﷻ؟ يحب العبودية، والعبودية هي الأوصاف التي تدل على الإفتقار، وعلى الحاجة، وعلى المسكنة، وعلى الخشوع، وعلى الخشية، وعلى الإخبات لله ﷻ، هذا ليس في الظاهر، لكن في القلب لله، وليس لخلق الله، قال سيدي أبو اليزيد البسطامي ﵁ وأرضاه في حوار شفاف نوراني دار بينه وبين حضرة الله جل في علاه في حالة المناجاة: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والمسكنة والتواضع والفقر والإفتقار والخشية.

إذاً أنا أحتاج إلى تطهير آخر من الصفات الكبريائية التي يشارك فيها العبد الذات العلية، وهي أشد الحجب التي تحجب العبد عن فضل الله، يقول الله ﷻ في حديثه القدسي:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ } [٥٩٧]

إذاً ينبغي أن أطهر قلبي من صفة الكبر على أي خلق من خلق الله، وصفة الإحساس بالعظمة، والشعور بالعظمة، والشعور بالخيرية والأفضلية بين خلق الله؛ لأن

---

٥٩٦ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﵁

٥٩٧ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة ﵁

الإنسان لو تخلى عنه مولاه ولو كان أعز الناس في الدنيا جاهاً ومنصباً لا يساوي قليلاً ولا كثيراً في نظر الله يوم لقاء الله ﷻ، وهذا ما يفطن له أكابر الأولياء، ويُحجب به ويوحل فيه الجهال الذين يظنون في أنفسهم أهم أولياء، وهم أولياء لأنفسهم وللشيطان وليس للرحمن ﷻ.

إن أشر الناس مترلة عند الله أن يظن أنه خير من خلق الله، لأنه لا يعلم الخير إلا الله، والخير في القلوب ولا يطلع عليه إلا حضرة علام الغيوب ﷻ، فيخلع الصفات التي تنازع الحضرة الإلهية من ادعاء العلم والمعرفة وأنه لا ينازعه أحد في علمه ولا يساويه أحد في معرفته، فقد كان الصالحون قبلنا يؤدبون المريدين على حسب زمانهم – وهذا ليس مقرراً في زماننا – بصغار الحشرات، فكانوا عندما يجدون شخصاً يظن أنه من كُمَّل العلماء ومن أكابر العارفين يسلطون عليه حشرة من دواب الأرض تجعله لا يساوي قليلاً ولا كثيراً مع علمه الذي يظن أنه به شيء، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

أتظـــن أنـــك بـــالعلوم تقـــرب   وبفهـــم أسرار بهـــا تتحجـــب
خانتـــك نفســـك فانتبـــه مـــن غيهـــا   واعلـــم يقينـــاً أن علمـــك منصـــب
فـــإذا أضـــاء القلـــب لاح جمالـــه   بجميـــع أعضـــائي وتلـــك مواهـــب

هذا هو المهم، إضاءة القلب، ألا تعلمون أن نبي الله سليمان الذي آتاه الله ﷻ علم منطق الطير، وسخر له الريح والجن، وقال عن نفسه: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١٦النمل) عندما رأى ذلك، وهو في هذا القدر العظيم عند مولاه، سلط الله عليه الهدهد ليقول له: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النمل) أي أنك جاهل في هذا الباب: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴿٧٦﴾﴾ (يوسف) إذاً لماذا العلم؟

العلـــــم يهتـــــف بالعمـــــل   فاعمـــــل تنـــــل كـــــلَّ الأمـــــل

العلم نعمل به، حتى تأخذ بعد ذلك علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين:

علـــــم يقـــــين بعـــــده   عـــــين اليقـــــين لمـــــن وصـــــل

علوم إلهية لا يفوز بها إلا من تخلصوا من هذه الترعات الدنية، وهذه الشهوات

النفسية، ولذلك تجد دائماً وأبداً سيما العارفين والصالحين التواضع والذل والإنكسار لله، والخشية من الله، والخوف من الله، وإخلاص العمل في كل الأحوال لحضرة الله، لا يعمل عملاً صغيراً أو كبيراً لنفسه أو لزوجه أو لولده أو لغيره إلا إذا تمكن من إخلاص القصد فيه، وصحة النية فيه لوجه الله ﷻ.

وهذا هو الجهاد في هذا المقام لأن الخلق أجمعين لو اجتمعوا لا يستطيعون أن يثيبوك على تسبيحة واحدة لله ﷻ، من الذي يملك في الكونين ثمن تسبيحة واحدة؟! لا يوجد، والله ﷻ عندما ضمن الأجر قال: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾ (الكهف) لم يقل (أجر من عمل) لكن العمل لا بد أن يكون فيه إحسان، وإحسان العمل يعني إخلاص القصد فيه لله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف)

والشرك هنا الرياء والشهرة والسمعة والمقابل الدنيوي، ويريد مقابل العمل أن يعظموه أو يكرموه أو يتحفوه بما عندهم من الخيرات والمبرات والمسرات، لكن الصادق لا يطلب إلا من الله، ولا يرجوا أن تمد له يد إلا يد حضرة الله، ومن جاءه ومدَّ يده له ونفسه معه ردها لأنه لا يقبل إلا من الله جل في علاه، وهذا هو الجهاد الأعظم في تخليص القلب وتجميله.

جمالات القلب

إذاً يجمل القلب بالإخلاص وبالخشية وبالمراقبة وبالرحمة وبالحنان وبالشفقة وباللطف وبالمودة وبالذكر وبالحضور وبالاستحضار وبالخشوع لله وبالإخبات لله وبالتبتل لله، والزهد والورع والثقة بالله والرضا عن الله والأنس بالله والرجاء والخوف والرغبة والرعاية والحرمة والتوكل والتفويض والتسليم لله والشكر الدائم لله على كل نعماه ... كل هذه تدور في أفق القلب، فعندما ينظر إليه مولاه يجده مزيناً بالزينة التي يحبها الله من الصالحين من عباد الله. لكن عندما ينظر الله إلى قلب صاحبه مجتهدٌ اجتهاداً شديداً في العبادات بكل أنواعها، ولكنه ينظر إلى قلبه فيجد فيه بغضاً لفلان، أو حسداً لفلان، أوحقداً على فلان، أو كبراً على فلان، أو استعظاماً على فلان، هل هذا القلب يصلح

لعطاء حضرة الرحمن ﷻ؟! لا:

نفس بقلب سليم رفعة ورضا | وألف عام بلا قلب كلحظات
العبد بالقلب يترقى إلى رتب | والجسم من غير قلب في الضلالات

إذاً إذا أردت الفتح، لا بد أن تزين القلب لله، بأن تخليه مما لا يحبه الله، وتزينه كحبيب الله ومصطفاه، فتجمل نفسك بجمال العبودية يمنحك الله ﷻ عطاءاته القدسية. فإذا نظر الله ﷻ إلى قلب فوجد صاحبه يرى أنه جاهلاً يعلمه العليم، وإذا نظر الله إلى قلب صاحبه يجد أنه فقير بين يدي الله، يفتح له كل كنوز الغني جل وعلا الظاهرة والباطنة، يفتح كنوز فضله وكنوز خيره وبره ووصله لمن تجمل بمقام العبودية والعبدية لله ﷻ.

يأتي بعد ذلك التجليات والمكاشفات والعطاءات والهبات والمؤانسات وغيرها من أنواع الإتحافات االربانية لأن صاحب هذا القلب مشى على نهج خير البرية سيدنا رسول الله ﷺ.

في سبيل الوصول إلى ذلك نحتاج – لمن أراد أن يسلك هذا الطريق – أن يعرف جيداً من أفواه الصالحين معاني الكلمات التي تحدثنا عنها، لا يقرأها من كتاب، ولا يسمعها من واعظ، وإنما يسمعها من أفواه الصالحين، يعرف الإخلاص كيف هو؟، ويعرف الخشية التي يحبها الله ما هيئتها؟، ويعرف المراقبة وسبيلها، ويعرف الحب لله الذي يدخل به على الله، ويعرف الرعاية، ويعرف الحنان والشفقة والمودة، كل هذه الأوصاف، لكن هذه تحتاج إلى أوقات طويلة لا يسعنا الوقت فيها خوفاً من إطالة الكتاب، ولعلنا نُعرِّج عليها بعد الإنتهاء من كتابنا وتكون كتاباً آخر إن شاء الله.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا برضاه، وأن يجعلنا من أهل مقام العبودية، وأن يخلص أنفسنا بالكلية، ويطهر قلوبنا من كل الشهوات والدنيا الدنية، وأن يجعلنا صالحين للمواجهات العلية، مصلحين لمن حولنا من البرية، وألا يتخلى عنا بعطفه ولطفه وكرمه وجوده طرفة عين ولا أقل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي عشر

حب النبي ﷺ

باب القرب

حقيقة الحب

حب الصحابة للنبي ﷺ

الداء والدواء

علامات المحب الصادق

العلامة الأولى: حسن الإتباع

العلامة الثانية التسليم لشرع الله

العلامة الثالثة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ

العلامة الرابعة تعظيمه وتوقيره ﷺ

العلامة الخامسة الفرح برسول الله ﷺ

من ثمرات محبته ﷺ

أولاً: يحشر معه يوم القيامة

ثانياً: مرافقته ﷺ في الجنة

ثالثاً: رؤيته ﷺ مناماً

الغاية من رؤية سيدنا رسول الله

تربية النبي البرزخية

رابعاً: رؤيته ﷺ يقظة

الاجتهاد لرؤية رسول الله ﷺ

همم الرجال

نية الصلاة على النبي ﷺ وتكريم أهلها

التأهل لرؤيته ﷺ

الباب الحادي عشر

حب النبي ﷺ

أريد أن أقف معكم أحبابي على باب عظيم لنا جميعاً مع هذا النبي الكريم ﷺ : فقد جعله الله ﷻ باب القرب لكل الرجال ومفتاح الوصل لجميع أهل الكمال فلا يدخل عبد إلى الله ﷻ إلا عن طريق حضرته ولا يصل واصل إلى فضل الله وعطاء الله وكمال الله إلا بواسطة سدرته ولا يسمح الله ﷻ لعبد بوصاله ونواله إلا إذا كان ذلك عن طريق خير بريته ﷺ.

هذه الحقيقة عرفها الصالحون وتحقق منها المقربون فأقبلوا بالكلية بقلوبهم وأسرارهم وأرواحهم على هذه الذات المحمدية وعكفوا عليها بالكلية لأنهم علموا أنه هو السبيل الوحيد لإرضاء الله ﷻ وفى هذا المجال يقول سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه :

وأنــــت بـــــــــاب الله أي امــــرئ أتــــــــاه مـــن غـــيرك لا يـــدخل

باب القرب

هو ﷺ باب القرب لحضرة الله ﷻ وباب أي فضل وأي عطاء وأي نوال لمن يريد ذلك من أهل الوصال وأهل الجمال وأهل الكمال الطالبين القرب من الواحد المتعال ﷻ.

كيف يكون ذلك؟

قال الأئمة العارفون والسادة المحققون في ذلك:

إن في القلب طاقة لا يسدها إلا حب الله ﷻ و حب رسوله ﷺ.

القلب جعل الله ﷻ فيه طاقة نورانية، فيها شفافية روحانية، وفيها حياة قدسية، وفيها لوامع إلهية ....

هذه الطاقة لا تتحرك ولا تتحفز ولا تسير بالمرء إلى حضرة الله، إلا إذا ملأ هذه التجاويف بحب حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

لأن الله ﷻ أمر المرء أن يقبل على الله بهمّ واحد، فلا يترك قلبه تتشعب به الأهواء وتتفرع به الشهوات والأغراض، لكن القلب الذي يسمح الله بوصاله:

هو الذي توحدت فيه الوجهة ولم يعد له إلا الله ورسوله ﷺ.

ولا توجد أي بغية تستطيع أن توحد همة القلب وتجمع أفياء القلب على وجهة واحدة إلا حب الله وحب رسول الله ﷺ.

لكن لو أن الإنسان لم يملأ القلب بحب حضرة النبي ﷺ : فإنه يتسرب إليه شاء أم أبى حب الأشياء الدنيئة كالشهوات والأهواء والحظوظ والملذات الفانية والتي لا تغني الإنسان ولا تسمن من جوع في قربه من الله.

فلا يطهر القلب من هذه الدناءات، ولا يطرد هذه الشهوات ولا يفرغه من الأغيار، لكي يصلح لتترل الأنوار وتجلى الواحد القهار إلا إذا أشرق في هذا الفؤاد وفي هذا القلب أنوار الإيمان وملك شغافه حب النبي المختار ﷺ.

وهذا هو الحب الذي بلغ برسول الله من اعتداده بشأنه ومن اهتمامه بأمرنا أن أقسم لنا وقال ﷺ :

{والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه والناس أجمعين}[٥٩٨]

سيدنا رسول الله يقسم وهو في غير حاجة إلى القسم، لأن كلامه ﷺ وحي يوحى، لكنه ليؤكد لنا هذه الحقيقة التي لا بد منها لمن أراد سلوك الطريقة، والوصول إلى هذه المناصب الرفيعة والمقامات السامية والدرجات العالية في رضاء الله وفي القرب من

٥٩٨المستدرك على الصحيحين للحاكم عن فاطمة بنت عتبة

حضرة الله جل في علاه.

حقيقة الحب

فمن أراد أن يكون مقرباً من الله لا بد أن يملأ تجاويف القلب كلَّه وشغاف الفؤاد كله بحب الحبيب ﷺ :

الحب الذي يملك عليه جميع زمام أمره .....

حتى أن هذا الحب يسيطر عليه عند مشيه .... وعند نومه ... وعند أكله ... وعند شربه .... وعند عمله :

فيجعله يستحضر الحبيب ﷺ في كل أمر من هذه الأمور:

- فإذا مشى غلب عليه حب رسول الله ... فيحاول أن يقلده ويتابعه في مشيه ... كما كان يمشي، وكما وصلت إلينا الروايات الصحيحة عن مشيه في هذه الحياة.
- وكذلك إذا أكل ..
- وإذا شرب ...
- وإذا فعل أي عمل.
- حتى إذا ضحك يحاول أن يتبسم كهيئته، وكما وصلت إليه حالته في التبسم ﷺ فقد كان جُلّ ضحكه التبسم، وكان كما قالوا يضحك أو يتبسم من غير صوت، ويظهر من فمه أسنانه الشريفة، والتى وصفوها بأنها بيضاء وناصعة، وبأنها كاللآلئ أو كالدرر من شدة جمالها وحسن تركيبها، لأن الله ﷻ ركبه على أكمل هيئة وجمله على أفضل صورة.

فهو ﷺ المثل الأعظم... والنموذج الأقوم الذي جعله الله ﷻ أسوة لمن أراد أن يصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى جلَّ في علاه.

حبُّ الصحابة للنبي ﷺ

وهذا هو الباب الذي دخل منه أصحاب رسول الله أجمعون .

فقد قال الله ﷻ في شأن الأنصار:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٩ الحشر)

والذي هاجر إليهم هو رسول الله ﷺ.

وكانوا يحبونه حباً بلغ ببعضهم مثل ثوبان إن ثَوبَان مَوْلى رسُول الله ﷺ كانَ شَديد الحُبّ لرسُولِ الله ﷺ قليل الصَّبْر عن فِراقِهِ فأتَاهُ يَوماً وقد تَغَيّر لَوْنُه، ونحلُ جسمُه، وعُرِفَ الحُزْنَ في وَجْهِه، فقال [له] رسُول الله ﷺ:

{ ما غيّر لَوْنَك؟ فقال: يا رسول اللّه مَا بِي من وَجَع غيْرَ أنّي إذا لمْ أرَكَ، استَوْحَشْتُ وحْشَةً شَديدةً حتّى ألقاك! فَذَكَرْتُ الآخِرَة فَخِفْتُ إلاّ أرَاكَ هُنَاكَ؛ لأنك تُرفعَ مع النبيّن والصِدّيقين، وإني إن أدخِلْتُ الجَنّة، كنت في مَنْزِلةٍ أدنَى من مَنْزِلَتِك، وإن لَمْ أدْخُلِ الجَنّة، فلا أرَاكَ أبَداً، فنزلَتْ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾(٥٨النساء). وقال مُقَاتل: نَزَلَتْ في رَجُلٍ من الأنْصارِ قال للنّبي ﷺ يا رسُولَ اللّه، إذا خَرَجْنَا من عِنْدِك إلى أهْلِينَا اشْتَقْنَا إليك، فما يَنْفَعُنَا شيء حتّى نَرْجع إلَيْك، ثم ذَكَرْتُ درجَتَكَ في الجَنّة، فكيف لَنَا بِرُؤْيَتك إن دَخَلْنَا الجَنّة، فنزَلتْ الآية}[٥٩٩]

أى أنك مع من أحببت يوم القيامة وبهذا بشرهم ﷺ فى مواقف عديدة.

هذا الحب الذي جعل عبد الله بن زيد رضي الله عنه الذي جاء بالآذان وحياً منامياً من عند حضرة الرحمن وكان في بستان له يعمل وجاءه ابنه وقال: يا أبت لقد انتقل سيدنا رسول

٥٩٩ تفسير اللباب فى علوم الكتاب وتفسير البغوى والطبرى.

الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى فقال: { **اللَّهُمَّ اعْمِنِي حَتَّى لا أَرَى شَيْئًا بَعْدَهُ فَعَمِيَ مِنْ سَاعَتِهِ** }[600] أخذ الله بصره في الحال!! واستجاب له دعاءه.

هذا الحب لمسه حتى الكافرون، فعندما حدث صلح الحديبية وأرسلت قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ ليتفاوض في أمر الصلح مع أهل مكة رأى عجباً:

رأى أصحاب رسول الله ﷺ عندما يتوضأ يبتدرون وضوءه فلا يتركون قطرة منه تنزل على الأرض، بل يمسحون به وجوههم وأبدانهم ورآه ﷺ عندما دعا الحلاق ليحلق شعره تنافسوا على شعره ﷺ، فمنهم من اغتنم خصلة، ومنهم من فاز بشعرة، والكل يتهافت على شعر رسول الله ﷺ ولم يتركوا شعرة تنزل على الأرض.

حتى أنه وجدهم عندما يتفل رسول الله ﷺ يتلقون ريقه الشريف ولا يتركونه يقع على الأرض.فذهب إلى قريش وقال:

يا أهل مكة لقد ذهبت إلى كسرى في ملكه، وإلى قيصر في ملكه، وإلى النجاشي في ملكه، وما رأيت أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ.

والحقيقة لو استطردنا في هذا الأمر فإننا نحتاج إلى مجلد كبير لنعبر على قدرنا عن حب أصحاب الحبيب للحبيب الأعظم ﷺ هذا الحب هو الذي نالوا به أوفر نصيب من العطايا الإلهية ومن الإكرامات الربانية وكان التنافس بينهم والدرجات فيما بينهم على قدر منازلهم في حبهم لرسول الله ﷺ

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ (١٦٥البقرة)

وصل هذا الحب حتى للنساء فالمرأة الأنصارية التي استقبلت في غزوة أحد بوفاة زوجها قالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: بخير، ثم قيل لها: مات أبوك ، قالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟، قالوا: بخير، ثم أُخبرت بموت أخيها، فقالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: بخير، قالت: أرونيه، تستقبل بهذه المصائب ولا تنشغل بها وكان كل همها وشغلها الاطمئنان على حبيب الله

600 تحفة المحتاج في شرح المنهاج وفى تفسير المحرر الوجيز حكاه الطبرى عن ابن جبير وقتادة والسدي

الأعظم ﷺ. هذا هو الحب الذي فازوا به وجازوا فأوقفوها على صخرة وقالوا: يا أمة الله انتظري هنا فإن رسول الله ﷺ سيمر من أمامك، وعندما مرَّ من أمامها أشاروا إليها وقالوا:هذا هو رسول الله فترلت وأمسكت بثوبه وقالت:

{كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ}[601]

يعني صغيرة أي لا تهم المرء ولا ينشغل بها المرء لأن رسول الله ﷺ هو الإكسير الذي به يتفضل العلي الكبير على المؤمنين في هذه الحياة، فإذا انشغلوا بحبه فإن الله ﷻ يفرج عنهم كل كرب ويكشف عنهم كل غم، ويذهب عنهم كل هم، وفي الآخرة يكون لهم ما تعلمون وما تعرفون من القدر العظيم، ومن الأجر الكريم لحبهم للبشير النذير ﷺ. ... اسمعوا إلى الله وهو يقول:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ﴾ (٣٣الأنفال)

القلب الموجود فيه حب رسول الله : لا يعذب بأمر في هذه الحياة، لا يعذب بهم ولا غم ولا كرب ولا شدة ولا بلاء ولا عناء، لأن الله يتولاه ويصرف عنه كل هم ببركة رسول الله ﷺ.إذاً الذي يحبه وقلبه معلق به بالكلية لو استجار به واستغاث إلى الله، بسببه فإن الله يكشف عنه كل همه، وقال البوصيري ﷺ:

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به ... إلا وجدت جواراً منه لم يُضم

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأُسدُ في آجامها تجم

وهذا هو الذي يستغيث بالله ويتوسل إليه بحبيب الله ومصطفاه فما بالك بالذي انعقد قلبه وامتلأ حتى طف الحب من قلبه على أعضاءه هياماً وعشقاً في ذات حبيب الله ومصطفاه يقول في ذلك الحبيب الأعظم صلوات الله وسلامه عليه :

{ما اختلط حبي بقلب عبد مؤمن فأحبني إلا حرم الله جسده على النار}[602]

ما دام امتلأ القلب بحب رسول الله يحرم الله ﷻ جسده على النار.

---

٦٠١ المغازى للواقدى وحياة الصحابة ودلائل النبوة للبيهقى

٦٠٢حلة الأولياء عن إسماعيل السدي وإسماعيل بن رجاء.

الداء والدواء

هذا الحب يا إخواني الذي نتكلم عنه:

أرقى وأعلى وأسمى من أي حب لأي شئ يتعلق به المرء في هذه الحياة، حتى ولو كان المال أو الزوجة أو الولد. ولذلك عندما تنظر للحبيب الأعظم ﷺ وهو ينظر ببصيرته النورانية لأحوالنا المعاصرة في هذا الزمن، ويشخص الداء الذي بسببه تآلب علينا الأعداء وأصبحوا يلعبون بنا كما نرى الآن، ماذا قال؟

{ يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها }[٦٠٣]

كالجماعة يجتمعون على قصعة لكي يأكلوا منها : **{ قالوا أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول اللهِّ؟ قال: لا، أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل"مثل الرغاوي التي أعلى ماء البحر" قالوا: ولم يا رسول اللهِّ؟ قال: قذف في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت }.**

بعد حب رسول الله، وحب الله، وحب الآخرة، أصبح المسلمون يحبون الدنيا، والدرهم، والدينار، والنساء، والشهوات، والأهواء ،وقال في ذلك ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام البخاري ومسلم وغيرهما كثيرون :

{ تعس عبد الدرهم، تعس عبد الزوجة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس – يعنى لا يبرأ أبداً– **وإذا شيك فلا انتقش }**[٦٠٤]

يعنى لو دخلت شوكة في رجله، دعى عليه ألا يجد ملقطاً يلقط به هذه الشوكة.... لماذا ؟ ..لأنه أحبَّ غير حبيب الله وكان حبه لحبيب الله ومصطفاه في درجة دنيا عن حبه لدنياه ... وهذا أمر لا يرضاه الله، ويغار من أجله الله :

---

٦٠٣ سنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل عن ثوبان.

٦٠٤ صحيح البخاري عن أبي هريرة.

فهذا هو الذي شخَّصَه حبيب الله ومصطفاه لما نحن فيه الآن:

- تبدلت الأحوال، وأصبحت القلوب مليئة بالعيوب.
- لعشقها الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات.
- وهذه التي حذر الله منها في محكم الآيات:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾

(٢٤ التوبة)

وهذا هو الحادث الآن... وسببه هو هذا الأمر ... إذاً الحب المطلوب؛ أن يكون حب الله ورسوله أعلى مما سواهما، في قلب العبد.

علامات الحب الصادق

ما علامات هذا الحب الذي سيوصلني إلى مقامات القرب من الله ﷻ؟ علامات هذا الحب كثيرة نكتفي بما ورد في شأنها في كتاب الله.

العلامة الأولى: حسن الإتباع

من قوله جل فى علاه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١ آل عمران)

الإتباع لرسول الله في شرعه الذي جاء به من عند الله، اتباعه في هديه، اتباعه في سمته، اتباعه في أخلاقه ومعاملاته، لا نتبعه في العبادات وفقط ونترك إتباعه في الأخلاق وفي المعاملات بيننا وبين عامة الناس لكن نتبعه . في الكل... فاتبعوني.. فيم ؟

في كل شأنه وفي كل أمره وفي كل أحواله وفي كل ما كان عليه في حياته. وهذا هو الإتباع الصادق لرسول الله ﷺ.

فلو تابعه المرء في ناحية: مثلما حدث في عصرنا هذا، توجه كثير من المعاصرين إلى اتباع ظاهر النبي المصطفى وتركوا اتباعه في المعاملات والأخلاق والصفاء والنقاء والحب لجميع الناس. وهذا الإتباع مردود ولا يوصل إلى المقصود.

ولذلك تجد من يتبع مثل هذا الإتباع لا تظهر عليه ثمرات المحبة ولا ينال شيئاً مما يناله الأحبه لأن الإتباع الصادق له ثمرات ينالها الإنسان سنتحدث عنها إن شاء الله لاحقا بفضل الرحمن ﷻ.

فمن ادّعى أنه يحب رسول الله ولا يتبعه:

ينطبق عليه قول الرجل الصالح:

تعصى الإله وأنت تزعم حبَّه   هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبُّك صادقا لأطعته   إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

هناك امرأة رآها سيدنا عمر تلبس خاتماً من ذهب فقال لها:

اخلعي هذا الخاتم فنزعته، وبعد حين من الدهر مات عمر فذهب إليها بعض جيرانها وقالوا لها: لقد مات الذي أمرك بنزع الخاتم، فالبسيه قالت:

لا والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصاه ميتاً.

تمرنوا على هذا الأمر على حسن الإتباع في كافة الأوضاع لسيدنا رسول الله ﷺ لأن الإتباع يورث محبة الله :

﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ وبعد حب الله . تأتى العطية الثانية ببركة إتباع النبى ﷺ:

﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ (٣١ آل عمران)

إذن الإتباع ثمرته محبة الله ﷻ والمغفرة منه سبحانه.

العلامة الثانية التسليم لشرع الله

قال تعالى فى محكم التنزيل فى(٦٥سورة النساء):

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

أن يجد الإنسان في صدره وفي قلبه وفي فؤاده الرضا التام عن كل أمرٍ أمرَ به النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

- فلا يجد اعتراضاً في فؤاده على شئ من شرع الله.
- ولا يجد تنازعاً في عقله على حكم قضاه وقضى به رسول الله.
- بل يسلم بكل ما جاء في شرع الله .
- ولا يسمح لعقله أن يحكم على أمر قضى به الله أو نزل به رسول الله ﷺ لأن أمور الشريعة فوق العقول.
- وإنما يقول دائما ويعتقد بكل يقين إن كان هذا الأمر جاء من الله إذاً ليس لنا دخل بهذا الأمر فلا نسمح للعقل أن يفكر في أي أمر شرعي لأن الأمور الشرعية أمور إلهية وإذا كان العقل لا يدري شيئاً عن العقل فكيف يدرك النقل الذي نزل من عند خالق العقل عزَّ وجلَّ؟

أين العقل لكي نعرفه أو لكي ندركه؟

فلا مجال هنا لتحكيم العقل فيسلم تسليماً لكل أحكام الله ولكل شرع الله ولكل ما جاء به رسول الله ﷺ ويعمل طوال حياته بقول الله:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾ (٧ الحشر)

لا يتحايل، وعلى سبيل المثال:

{ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَهَبًا بِيَمِينِهِ وَحَرِيرًا بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لإِنَاثِهَا.}[605]

لا يجتهد ويقول عيار ١٨ حلال ....طالما قال ﷺ أنه حرام يبقى حرام ولا نفتح هذا الباب.

فباب الحب الصادق والذى ينتج التسليم الكامل هو هذا الباب الذي دخل منه الأصحاب والذي دخله الصالحون إلى يوم الدين، هو باب الحب لسيد الأولين والآخرين ﷺ، ولا يوجد باب غير هذا الباب ويقول في هذا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

من لحظة في الحب تشهد وجهه ... وتفوز منه بسره والحال
تعطى العلوم وتشهدن فترجمن ... بلسان أهل القرب والأبدال
تعطى الجمال فلا يراك مصدق ... إلا ويشهد نوره المتلالي
من أين هذا العلم والنور الذي ... أعطيته من لحظة في الحال؟
من حب قلبي للحبيب محمد ... نلت المنى بل نلت كل آمالي

وبالمثال يتضح المقال: أصحاب النبي ﷺ.، منهم الرجل الذي قال له النبي:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، قَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، فَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ ، يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا حَارِثُ ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ ، ثَلاثًا وقال لمن حوله: عبد نور الله بالإيمان قلبه.}[606]

كيف وصل لهذا المقام؟

بحب المصطفى عليه افضل الصلاة وأتم السلام.

---

٦٠٥ عَنْ عَلِيٍّ مسند البزار
٦٠٦ الطبراني في الكبير وأبي نعيم في معرفة الصحابة.

الذي وصل لعلم الإلهام سيدنا الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وقد قال فيه الإمام الجنيد رضي الله عنه:

رحم الله أبا الحسن لولا الحروب لاستفدنا منه علوما كثيرة، لقد كان يقول: لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيرا " تحملوا سبعين جملا" من تفسير الفاتحة..!!!!

من أين هذا العلم؟ من أي مكتبة ؟ ومن أي مصدر ؟

من حب الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم.

كلما ترى حبا في الدنيا: من بدئها إلى ختامها، من أحد لأحد أو من أحد لعرض، حتى الذي يحب المال والجاه أو الذي يحب أي شيء في هذه الحياة فاعلم علم اليقين قول الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ (١٦٥ البقرة)

أي لا يساويهم أحد في هذا الحب، وبسر هذا الحب فازوا ونالوا كل ما يطلبون ويبتغون.

لماذا نحب رسول الله؟ لأنه السبب الذي سيوصلنا إلى حضرة الله وهو السبب في الإسلام والإيمان والهداية وجميع الخيرات التي نحن فيها..

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً فصرنا بطه رجالا فحولا

أصبح لنا قيمة ومكانة عند الله وبين جميع الأمم التي خلقها الله ببركة وبسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بسببنا نحن. فيجب أن يكون هذا الحب أعلى وأرقي من أي حب آخر لأي شخص أو أي عرض آخر، لأنه محبوب الله ويجب أن نحبه لكي يحبنا الله، وعلامات الحب الصادق لكي أعرفها وأقيس نفسي بها ولكي أطمئن أنني سأحصل الثمرات والخيرات والبركات والنفحات والعطاءات التي جعلها الله عز وجل للصادقين والصادقات في حبهم لخير البريات صلى الله عليه وسلم والعلامات من كتاب الله :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾

وما هو العطاء؟

﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣١ آل عمران)

فيم نتبعه ؟

في كل صغيرة وكبيرة، في كل طرفة عين، في كل كلمة تسمعها الأذن، في كل حرف ينطقه اللسان، في كل شيء تمتد إليه الأصابع واليد والبنان، في كل حركة تتحرك بها الرجل في هذه الحياة لابد أن تكون ماشية على قدم النبي العدنان:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٦٠٧]

لا ينفع أن يكون هوى لك ثم هوى إلى الله ورسوله، وسيدنا رسول الله نفسه ليس له شيء لأنه كله لله (١٦٣ الأنعام):

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

كله لله وتولاه مولاه ونحن لنا مقام في هذا الأمر:

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (الأعراف)

فالذي يسير على هذا النهج يتولاه الله بولاية تامة كاملة سابقه، كما تولى حبيب الله ومصطفاه ﷺ..:

بشرط أن يكون كله لله ولا يكون على هواه. فهو لا يعترض ظاهرا أو باطنا على أمر شرعه الله، أو أي قضاء أو حكم قضاه رسول الله.

وإياكم أن يقول أحدكم أنتم أعلم بأمور دنياكم لأن الإسلام لا يوجد فيه دنيا ودين، ولكن الإسلام الدنيا كلها دين.... فهذا الكلام الذى يفصل الدنيا عن الدين ، هو في الأديان الأخرى لكن عندنا ليس عندنا فصام بين الدين والدنيا، دنيا المؤمن كلها دين.

لأن المؤمن إذا جعل قبل كل عمل نية، كان العمل مكافئ عليه من رب البرية ﷻ،

---

٦٠٧ رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو.

حتى ولو كان شهوة دنيه لأنه لو نوى قبلها نية لله يصبح عمل صالح لله، لو أنه سيأكل ويشرب وينوي بهذا العمل التقوى على طاعة الله أو أي نية صالحة يصبح هذا العمل عبادة لله.

فالمؤمن يستطيع أن يجعل حياته كلها عبادة لله فلا يقول: أنتم أعلم بأمور دنياكم، ولا يقول أن هذا الموضوع ليس له دخل بالدين ولا العلماء يفتوا بشأنها لأن الإسلام كله كل حياة الإنسان.

فالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها: لما ذهب لها رسول الله وقال لها: تزوجي زيدا، وهذا أمر دنيوي كما يتصور البعض فقالت:يا رسول الله: أنا لا أحبه، فقال لها ثانية: تزوجي زيدا، فترل قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(٣٦ الأحزاب)، والذي لا يسلِّم لهذا الكلام، يكون عاصياً: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

والعصيان هنا مخالفة الأمر :

مع أننا متوقعين انه شيء دنيوي: لكن رسول الله ينظر بعين الله ونظرته يجب أن نعلم علم اليقين أن فيها النفع في الدنيا وفيها السعادة يوم لقاء الله، ولو شككنا في هذا الأمر واعتقد الإنسان فينا أن نظرته أتم وأشمل من شرع الله ومن نظرة رسول الله.، بماذا نقول في ذلك؟

نقص في الإيمان ونفاق في القلب والجنان.

لكن لازم أعتقد وأعلم علم اليقين، أن نظرة رسول الله ﷺ فيها الصلاح للدنيا وفيها السعادة للإنسان يوم الدين لأنها: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨ يوسف)

ينظر على بصيرة ...لأنها أنوار إلهية في ذاتها منيرة ...ترى غيب السريرة، وترى كل شيء بنور الله ﷻ، الذي أشرق على ذات الحبيب، وعلى بصيرته ﷺ.

فيلزم للإنسان أن يسلم تسليما تاما لرسول الله ﷺ، وهذه هى العلامة الثانية من علامات الحب الصادق لجنابه العظيم ﷺ .

العلامة الثالثة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ

من قوله تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

العلامة الثالثة يقول فيها الحبيب:

(من أحب شيئا أكثر من ذكره)[٦٠٨]

فالذي يحب رسول الله.. يذكره على الدوام... وكيف يذكره؟ يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ... وإذا كان معك كمبيوتر نوراني فاصدر له الأمر أن يبحث في ملفات الصالحين ويرى ما سر قربهم؟ تجد انهم كلهم كانوا مشغولين بالصلاة على حبيب الله ﷺ، وما مقدار هذه الصلاة؟ على الدوام، ويكفي قول سيدنا أُبيّ بن كعب لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات عندما قال له:

(يا رسول الله كَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي ؟ قَالَ : " مَا شِئْتَ " ، قَالَ : الثُّلُثُ ؟ قَالَ : " مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ أَفْضَلُ " ، قَالَ : النِّصْفُ ؟ قَالَ : " مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ أَفْضَلُ " ، قَالَ : أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا ؟ قَالَ : " إِذًا يَكْفِيكَ اللَّهُ هَمَّكَ ، وَيَغْفِرُ لَكَ ذَنْبَك)[٦٠٩]

أين نحن من هذا الحديث؟!

ودائما نشتكي من الهموم والغموم والمحن ونشتكي من الإحن، أليس هذا الشفاء والدواء؟!أيوجد أحد يكثر من الصلاة على رسول الله وبناله ضيم ويصيبه فتنة! مستحيل لكننا للأسف مشغولين ويعاتبنا الله في كتابه الكريم:﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (١١ الفتح) ... حتى أنهم ليس لديهم وقت للاستغفار، وهذا هو الحاصل الآن وربنا قال في القرآن: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

٦٠٨ شعب الإيمان للبيهقي عن قول أبو عبد الرحمن ومالك بن دينار والحليمي رحمه الله.
٦٠٩عن أبي بن كعب، رواه الألباني في صحيح الترغيب ومشكاة المصابيح.

يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنفال)

ونحن طبعاً لا نريد هذا الدواء، بل نريد من يشرب بالنيابة عنا الدواء ويتحقق لنا الشفاء.أيجوز أن أشرب دواء لمريض عندي في البيت لكي يشفى؟ وكذلك نحن نريد من غيرنا أن يستغفر لنا !! وأن يصلي على حضرة النبي لنا بدلاً عنا !!! وذلك لكي تذهب عنا الهموم والغموم والمشاكل .. هل يصح ذلك ؟

والرجل الذي ذهب لرسول الله وقال يا رسول الله:

{ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ ، بِكَثْرَةِ السُّجُودِ }[٦١٠]

أي لابد حتماً أن تعمل أنت، لكن أنت تريد الجنة بدون عمل! لا يجوز! فعلاج مشاكلنا وهمومنا: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .. فلا بد للإنسان أن يكثر من الصلاة على حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وهذا هو قوت الصالحين :

- منهم من كان يصلي على حضرة النبي في الصباح ألف مرة.وبالليل ألف مرة.
- ومنهم من كان يصلي على حضرة النبي كل يوم وليلة عشرة آلاف مرة.
- ومنهم من كان يصلي على حضرة النبي كل يوم وليلة أربعين ألف مرة.
- وهكذا أمثلة كثيرة ... ومن جدَّ وجد!.

وماذا وجد ؟

وجد الأنوار ... ووجه النبي المختار ... والمعاملة بالملاطفة .... والأسرار ... ،وكلها بالصلاة على حضرة النبي بالليل وبالنهار، لأنها الدليل الأعظم على محبة النبي الأكرم ﷺ، حتى أن الشيخ أبو طالب المكي ﷺ قال في كتابه "قوت القلوب":

---

٦١٠ عن ربيعة بن كعب الأسلمى ، الألبانى ، صحيح أبى داوود

اصطلح العارفون أنه ينبغي لمن أراد طريق القوم ألا يقل في كل ليلة عن ثلاثمائة مرة في الصلاة على رسول الله ﷺ، واتفقوا على ذلك:

لأن الذي يريد الفضل الكبير لا بد أن يبذل الخير الكثير.

ومن طلب الحسناء لم يغله المهر.

العلامة الرابعة تعظيمه وتوقيره ﷺ

وكتاب الله نجد فيه ما الدليل على وجود الحب؟

الدليل هو .. ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٩ الفتح)

تعظيم رسول الله، فعند سماع اسمه يختلج صدره، ويهتز قلبه، يتحرك جسمه لماذا؟ لأنه سمع اسم رسول الله ﷺ، بمجرد أن يسمع سيرة رسول الله يؤخذ بالكلية، وعندما يكون في أي أمر ويحضر من يذكره برسول الله ﷺ تجد أن حاله تغير، وفكره استدار، لأن رسول الله ﷺ هو قرة عين المحبين، وهو إنسان العين للمحبوبين فلا يرون إلا به ﷺ في كل فتح وفي كل كشف وفي كل تمكين.

وهذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ :

حتى إن الواحد منهم عندما كان يذكر أمامه رسول الله ﷺ كان بعضهم يمكث ساعات لا ينتفع به من شدة الوجد الذي حدث له لتذكره لرسول الله الأعظم ﷺ.

سيدنا بلال رضي الله عنه: بعد انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى لم يطق أن يظل في المدينة المنورة بدون ضيائها وبهائها وشمسها وجمالها وكمالها، فاستأذن سيدنا أبا بكر ليذهب إلى الشام وبعد حين إذا به يرى النبي ﷺ في المنام ويقول له :

{ يا بلال ما هذه الجفوة؟ أما آن لك أن تزورنا ؟ }

فذهب فوراً لمدينة رسول الله، وكان معه مقتنياته، وكان لا يملك من الدنيا إلا العصا وماعزا يحلبها وقصعة يأكل فيها ويتوضأ فيها ويغسل ملابسه فيها،

{ ووصل لرسول الله ﷺ قبل الظهر بقليل فارتمى على الروضة الشريفة وأخذ يبكي وإذا بالحسن والحسين يرّبتان على كتفه ويحتضنانه ويقبلونه ويتوسلان له ليؤذّن.

وقالوا له أذن لنا كما كنت تؤذن لرسول الله ﷺ، وعندما قال: الله أكبر؛ إذا بالمدينة كلها تخرج كأنها في يوم النشور وعندما قال: أشهد أن لا إله إلا الله إذا بالبكارى تخرج من عواتقها، والنساء تخرج من خدورها، وطرق المدينة تمتلئ من دموع أهلها لأنهم تذكروا حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وقال الحاضرون: فلم ير باكياً أكثر من هذا اليوم.}

لماذا؟

لأنهم تذكروا رسول الله ﷺ.

لازم الإنسان يوقر ويعظم رسول الله عند ذكره ...

ساعة أن يسمع اسمه صلى الله عليه وسلم

فكيف بالناس الآن :

عند أي شئ يقولون والنبي تعمل كذا والنبي هات كذا! ..

هذا كلام يستوجب التأديب لمن يفعل ذلك من الأنام ...الحبيب الذي أقسم به مولاه، فكيف نقسم به على شئ تافه في هذه الحياة !!، قال له مولاه:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾(الحجر)

فبعد قسم الله به ...أأقسم به لكي يعطيني أحد مالاً! أو زاداً! أو ملبساً! أو خلافه!..

لا يجوز أن أقسم بحبيب الله إلا إلى ذات الله في أمر مهم لا أجد له مخرجاً إلا من حضرة الله.

وهذا هو الذي اصطلح عليه الصالحون والعارفون :

مثلاً وقعت في ضيق وفي شدة لا أجد لها مخرجاً إلا عند الله، فأتوسل به إلى حضرة الله ،....

لكن أجعل رسول الله عرضة لكل شئ...!! فهذا كلام يستوجب التأديب والتهذيب لأنه عرض حضرة النبي ﷺ لما لا يليق.

العلامة الخامسة الفرح برسول الله ﷺ

أيضاً من العلامات التي تدل على حب رسول الله ﷺ :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس)

إن الإنسان يفرح برسول الله، يفرح بميلاده، يفرح بزيارته، يفرح بسماع سيرته، يفرح بمتابعته، يفرح أعظم الفرح إذا أكرمه الله برؤياه أو إذا تعطف عليه ولمعت سواطع أنوار وجهه في هذه الحياة لأنه يعلم علم اليقين أنه من المعنيين بقول الله فى سورة الأحزاب :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٤٧﴾

لابد أن يفرح برسول الله ﷺ أكثر من فرحه بأي أمر في هذه الحياة بلا جدال ولا نزاع ... لابد ...علامات كثيرة ذكرناها من كتاب الله تعالى تدلِّل على محبة الإنسان لرسول الله ﷺ نكتفي بهذا القدر منها...

وهي مبثوثة في كتاب الله جلَّ وعلا!!

وموجودة في أحوال الصحابة الكرام...

وظاهرة على أحوال السلف الصالح من بعدهم إلى يومنا هذا.

من ثمرات محبته ﷺ

أولاً: يحشر معه يوم القيامة

هذه العلامات تستوجب للإنسان عطاءات وإكرامات ونفحات لا عد لها ولا حد لها يكفي أن الإنسان إذا امتلأ قلبه بحب النبي العدنان ضمن الأمان يوم القيامة فعندما سأله سيدنا أنس:

{ أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ ، قَالَ : " وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ " قَالَ : لا شَيْءَ إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ، فَقَالَ : " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }، وفي رواية أخرى {يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة}(.قال أنس: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ " ، قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ }[٦١١]

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٦٩ النساء)

هذه درجة، لكن الدرجة الأعلى منها:

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩ الفتح)

النبيون والصديقون والشهداء والصالحون..

كلهم في درجة مع بعضهم، لكن محمد رسول الله والذين معه ... فهذه درجة خاصة.

٦١١ رواه البخاري ومسلم

ولذلك فإن سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه يحكي ويقول:

ذهبت ليلة إلى المسجد الأقصى ونمت:

فوجدت الأنبياء والمرسلين والصالحين كلهم يتدافعون:

فسألت، فقيل لي جاءوا ليشــفعوا في الحلاج!!

ثم رأيت رسول الله ﷺ منفرداً على كرسي عالٍ من النور، والكل ينظر إليه فتعجبت من هذا المشهد، وإذا بخادم المسجد يوقظني ويقولً لي:

لا تعجب !! فالكلُّ من نوره عليه الصلاة والسلام

قال: وانتبهت وإذا بآذان الفجر فصليت الفجر.

ثم بحثت عن الخادم فلم أجده:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء)

وهذه خاصة لسيدنا رسول الله ﷺ .. ومن؟

والذين معه:

﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ ﴾ (٨ التحريم)

أيضاً معه هناك :

فالذي يكون مع رسول الله هناك ... يا هناه !!!!... ويا مناه !!!!.

ولذلك سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ... يحكي أن واحداً من أمته أُمر به إلى النار، فنادى نبى الله سيدنا آدم عليه السلام على رسول الله ﷺ ،وقال:

يا محمد يا محمد أدرك هذا الرجل من أمتك.قال: فأُمْسِكُ بالملائكة فيقولون:

نحن الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون!

فأقول: يا رب ألم تعدني أنك لن تخزني في أمتي!!

فيأتي النداء من الله ﷻ للملائكة اسمعوا ما يأمركم به حبيبي محمد ﷺ.

لـو تـــرد أطفـأت نـاري — أو تـــرد يمحـــى الوعيـــد
يـــا حبيبـــي قـــرَّ عـــيناً — فأنـــا الـــبرُّ الرشـــيد
قـــم إلى النـــار وطأهـــا — وانـهِ وأمـر يـا سـعيـد
فلظـــى بالعـــدل تـــولى — والنعـــيم لمـــن تريـــد

ثانياً: مرافقته ﷺ في الجنة

فيكفي أن الذي سيحبُّ رسول الله سيكون معه ﷺ يوم الدين، بل ومعه في جنات النعيم، وهذا مقام ثانٍ أعلى ... لأنه ﷺ قال: من أحبني كان معي في الجنة؛ وذلك عندما قال عليه الصلاة والسلام لسيدنا أنس:

{ يا بني إن استطعت أن تبيت وليس في قلبك غلٌّ ولا غشٌّ لأحد من المسلمين فافعل، فإن ذلك من سـنتي، ومن فعل سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة}[٦١٢]

والعطـــاء الأكرم والعطـــاء الأعظم الذي سُـئِلَ فيه الشيخ الدباغ ﷺ: هل هناك نعيمٌ أكبر من نعيم الجنَّـــة؟

وكان الشيخ الدباغ رجل أمياً، ولكنه كان يرى رسول الله على الدوام ليس مناماً ولكن يقظة، فقال رداً على السؤال:

نعم رؤية رسول الله ﷺ أعظم من نعيم الجنة، قالوا: ولم؟ قال:

لأن الإنسان إذا دخل الجنة يتمتع بكل نعيم فيها على انفراد وعلى حدة لكنه إذا رأى رسول الله ﷺ فإن الله يسقيه من كل أنواع نعيم الجنة.

كيف؟ ... هذا الكلام بلا كيف !!!

٦١٢ المعجم الصغير للطبراني عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

ولكن فيه ذق تعـــــــرف!!!

وهذا أشهى شـــــــئ عند العارفين !!!

ولذلك كانوا يقولون:

فنظرة منك يا ســـــؤلي ويا أملي أشـــــهى علي من الدنيا وما فيها

ثالثاً: رؤيته ﷺ مناماً

نظرة واحدة من رسول الله أشهى من كل أنواع النعيم.

ويكفينا قوله ﷺ في الروايات المتعددة:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي }[٦١٣]

ولم يقل رآني خلقاً.

لأن الخلق انتهى بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

لكن رآني حقاً أي رأى الصورة الحقية أو الصورة النورانية أو الصورة الإلهية أو الصورة القدسية ، وبشر هؤلاء وقال:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ }[٦١٤]

على حسب درجته ومنزلته :

- إما أن يراه في اليقظة وهو في هذه الحياة.
- وهذا إذا تمكن حب رسول الله من كل ذرات كيانه وأصبح ﷺ هو المهيمن على ظاهره وباطنه.
- وإما أن يراه عند خروجه من الدنيا يبشره بحاله عند الله.

٦١٣ رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه الطبراني عن أبي بكر ورواه الدارمى عن أبي قتاده.
٦١٤ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

- لكن الجماعة الذين يقولون: سيراه في الآخرة فكلنا سنراه في الآخرة فهذا ليس فيه فضل، لأن الكل سيراه في الآخرة.

لكن أين الفضل؟ إذا رآه في هذه الحياة، والحديث الذي يقول فيه ﷺ:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَأى الْحَقَّ }[615].

أي بصفاته العليا ..وأنواره القدسية...وعطاءاته وتجلياته الوهبية ...وهى عطاءات وتجليات لا يستطيع أحد إحصائها ولا عدها.

فالذي يرى رسول الله .. أي سيحظى بعطاء، لأن ربنا قال له:

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ كله معك أنت ﴿ فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ (ص)

واحظ بعين قلبك إلى كتاب ربك :هذا اسم إشارة ومن المشار إليه؟ ﷺ، والكلام لنا نحن : هذا عطاؤنا، ثم التفت إلى حضرته وقال له: فامنن أو أمسك بغير حساب، ليس عليك حساب، اعمل ما تريد – لأنه لا يعمل إلا ما يريده مولاه ﷻ.

فأعظم العطاءات وأكبر النفحات وأكرم التجليات: إذا وُوجه المرء بالنبي المختار، لكن هذا لا يكون إلا بصفاء القلب من جميع الأكدار ... من كان في قلبه مثقال خردلة من حب الدنيا أو الشهوات أو مثقال ذرة من كبر أو حقد على أحد من المؤمنين أو كره أو بغض أو نفاق فليس له في هذا التجلي نصيب لأنه معيب:

﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ (الشعراء)

من يريد أن يحظى بهذا المقام العظيم :

لا بد أن يكون كل همه أن يصفي قلبه ويطهر سره وينور لبه ويجعله صالحاً كالشاشة الجاهزة لاستقبال الأثير النوراني والإرسال المحمدي والتجلي القدسي، وهذا لمن يريد أن يحظى بهذا العطاء ويقول في ذلك مولانا أبو العزائم ﷺ :

مـن رام يعرفنـي تجـرد عـن سـوى ... نـص الشـريعة إن أراد فـلاح

٦١٥ مسند أحمد بن حنبل وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة.

النـور محظـور عـلى أهـل الهـوى والحـظ بـادر نعطـك الأقـداح

بادر وتخلص من هذه الأشياء...
وبعد ذلك كل شئ موجود على المائدة المحمدية !!
جاهزة ومعمورة بكل ألوان الحبور والمسرات !!!
ومملوءة بكل أصناف الخيرات والبركات !!!
وعليها كل ما تشتهيه الأرواح وليس الأنفس !!!
وكل ما تشتاق إليه الأسرار !!!
لكنها تريد قلوباً !!!
صفت ووفت وسمت ورقت!!!
فرأت بعين الروح لا عين العقول
هذه الأنوار وهذه الخيرات وهذه الفيوضات
التي خص بها النبي ﷺ.

الغاية من رؤية سيدنا رسول الله

قد يتساءل البعض ويقول ما غاية رؤية سيدنا رسول الله للصالحين والعارفين؟ نحن تكلمنا في المقام الأول أنها بشرى للإنسان بأنه كمل إيمانه وسيدخل الجنة إن شاء الله.

لكن كمل الصالحين وأكابر العارفين وأهل التمكين سيدنا رسول الله ﷺ رؤيته لهم: تبدأ مناماً، ثم يقظة لتوجيههم وتلقينهم، ويقوم ﷺ في هذه الأحوال بإمدادهم وإجابة طلباتهم، ويقومون باستشارته في كل أمر، ولا يفعلون شيئاً إلا عن إذنه بعد استشارته صلوات ربي وسلامه عليه.

وهذه هي الحالة التي تحصل مع هؤلاء القوم والإنسان إذا كان لا يفعل أمراً ولا يقوم بشأن إلا بعد إذن من رسول الله: معنى ذلك أن يكون ذلك الأمر مبارك وموفق إن شاء الله لأن أمر رسول الله ﷺ هو أمر الله ولذلك يقول لنا فيه الله:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠ النساء).

والذي يريد أن يرضي ربنا، ماذا يعمل؟ نسأل الله ...:

﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ (٦٢ التوبة)

فالله واحد، ورسوله اثنان..: كان سياق اللغة يقتضي أن يقول أحق أن يرضوهما، لكن قال أحق أن يرضوه، والضمير يعود على أقرب مذكور، يرضوا من هنا؟..... رسول الله ﷺ، فالله ورسوله أحق أن يرضوه أي أن الذي يرضي رسول الله يكون أرضى الله، ولذلك فالذين أرضوا رسول الله وأخذ عليهم البيعة ماذا قال الله لهم؟

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وفوراً:

﴿.وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ ﴾ (الفتح)

طبعاً لم يكن فتحاً لمكة، ولكن أعطاهم فتح قريب من القريب فتحاً نورانياً وفتحاً إلهياً وفتحاً قدسياً في قلوبهم، لم؟ لأنهم بايعوا رسول الله وأرضوا رسول الله فلما أرضوا رسول الله رضي عنهم الله جل في علاه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ .. نعم يارب!.

﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ طبعاً: الله ثم الرسول، وقال ثانية:

﴿ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ (٢٤ الأنفال)

من الذي سيدعي هنا؟

واحد، إذاً الاستجابة لرسول الله هي الاستجابة لحضرة الله جل في علاه، وإياكم أن تفرقوا بين هذا وذاك. ... حتى أن ربنا سبحانه وتعالى تترل من ذاته ومن على سمائه ومن جلاله وكبريائه، وقال للذين يبايعون رسول الله، ووضعوا أيديهم في يد رسول الله

:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾.

ولم يقل كأنما بكاف التشبيه، ولكن قال إنما، ثم لكي يؤكد الكلام طبعاً أيديهم موضوعة، وفوق أيديهم يد رسول الله..:﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (١٠ الفتح).، لو قال: فوق أيديكم تصبح يد الله فوق الكل، بما فيهم يد رسول الله، لكن يد الله فوق أيديهم.

واليد التي فوق أيديهم يد رسول الله!!

فيد رسول الله في هذا المقام كأنها يد الله جل في علاه كما قال الله في قرآنه، وهذا هو قرآنه الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار.

إذن المدار على رسول الله ﷺ :

فالذي اعتقد أن سيدنا رسول الله ﷺ أدى الرسالة وانتهت مهمته مسكين وليس له شأن في مقام التقوى عند رب العالمين ﷻ .. لأن سيدنا رسول الله قائم بمهام الرسالة، ومهام النبوة، ومهام الفتوة، بروحانيته وبشفافيته وبنور بصيرته، وبتصريف الله ﷻ له في الأكوان، وإن كان لا يراه الإنسان لأنه لا يرى إلا البشرية ولا تراه إلا الأعين المضية التي إما انسلخت من البشرية، فترى الحضرة المحمدية أو تنزلت لها الحضرة المحمدية فرأتها على حقيقتها النورانية !!! تراها بهذه الهيئة عندما يتجلى الله على العبد ويكرم بقول الله :

{ مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ }[٦١٦]

تربية النبي البرزخية

ولو أعطينا أمرا للكمبيوتر الرباني ليجول في أحوال الصالحين، كيف كان يربيهم

٦١٦ صحيح البخارى عن عبدالرحمن بن صخر.

سيد الأولين والآخرين : سنجد أشياء لا عد لها ولا حصر لها :

مثلاً الإمام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه :

طلب منه إخوانه أن يحدثهم بما فتح الله عليه فخشي الفتنة، لأن القول والكلام إن لم يكن عن إذن فهو فتنة لكن صاحب الإذن مؤيد بالحفظ من الله عز وجل، فذهبوا إلى شيخه السرى السقطى وطلبوا منه أن يأذن له فقال له :حدث إخوانك بما فتح الله عليك لينتفعوا بك، قال: فقلت في نفسي لا أتحدث إلا إذا جاءني الإذن الصريح من رسول الله ﷺ قال: فبتُّ ليلة الجمعة، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال: يا جنيد حدث الناس بما فتح الله عز وجل به عليك لينتفعوا بعلمك، فاستيقظ قبل الفجر بساعة، فأسرع إلى شيخه وإلى داره ليزفَّ له البشرى فدقَّ عليه الباب، وإذا بشيخه السرى يقول له: جئت تبشرني بأن النبي ﷺ أذن لك!، فذهب إلى المسـجد وإذا بالمسـجد غاصٌ بأهله، وأجلسـوه على الكرسـي وقالوا حدثنا، وعندما بدأ الكلام، وإذا برجل نصراني وكانت العرب تلبس العمائم وغير العرب لا يلبسون العمائم، وكان هذا الرجل يلبس عمامة فقال الرجل النصراني: يا جنيد ! ما معنى قول رسول الله ﷺ :

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[617]؟

فنظر إليه وقال: معناه أنه قد آن أوان إسلامك يا نصراني!قال: لقد امتحنت بهذا الحديث قبلك جمعاً كبيراً من العارفين!، ولم يصلوا إلى ما وصلت إليه !! فهنيئاً لك المقام يا تاج العارفين، وأسلم الرجل في الوقت والحال لأنه دعا إلى الله بإذن من رسول الله.﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾!وما السلاح الذي معه؟

﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب)

الذي يعطيه الإذن بالبيان لازم يعطيه لمبة العيان لكي يكشف ما في صدور الناس والإخوان ويحدثهم بما يريده الرحمن عز وجل.

سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال: كنت جالساً فرأيت رسول الله يقظة وقال: يا ولدي يا عبد القادر حدث الناس لينتفعوا بما فتح الله عليك، قال: فقلت يا سيدي يا

٦١٧ رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري.

رسول الله أنا رجل أعجمي فكيف أتحدث مع فصحاء بغداد، قال: افتح فاك ففتح فاه فتفل فيه سبع مرات، وبعد صلاة الظهر إذا بالناس يجتمعون حوله ويجلسونه على الكرسي ويقولون له: حدثنا والجامع يمتلئ عن آخره، قال: فارتج عليَّ وإذا بي أرى الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه فقال: لم لا تتحدث؟ فقلت: يا سيدي ارتج عليَّ، وأنا رجل أعجمي، وكيف أتحدث مع فصحاء بغداد؟! قال: افتح فاك قال: فتفل فيه ست مرات، فقلت: ولَمِ لَمْ تتفل السابعة؟ قال: تأدبا مع رسول الله ﷺ.

وهذا الباب واسع وشاسع لا حصر له ولا عد له، رسول الله ﷺ يحتضن الصالحين ويربي العارفين يجيب على أسئلتهم إذا سألوه.

وقد كان سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ يقول في كتابه المنن الكبرى :ومما منّ الله ﷻ به عليَّ أنه لم يجعل مسافة بيني وبين رسول الله، فأحياناً أضع يدي وأنا في مكاني على شباكه في المدينة المنورة !!وأسأله عما أريد فيجيبني.

وهذه الأحوال كثيرة !! وإياك أن تكذب فإن من كذب بهذه الأحوال لا يصل إليها أبد الدهر والذي يعترض ينطرد ولكنها أحوال الرجال، فهذا توجيه رسول الله وكلاءة رسول الله وعناية رسول الله لأهل الله والصالحين من عباد الله هكذا الحال معهم في كل وقت وشأن.

سيدي عبد العزيز الدريني ﷺ، عقدوا له المشيخة في بلدته درين فاعترض بعض السادة الأشراف وقالوا نحن أولى بك من المشيخة : ولما طال الجدل تدخل أهل الصلاح، وقالوا يجتمع الجميع بعد صلاة الجمعة وينادون على رسول الله، فمن يجيبه رسول الله يكون أهلاً للخلافة، فاجتمع الأشراف واجتمع معهم الشيخ عبد العزيز الدريني، فقالوا تقدم، فقال لهم: تقدموا أنتم أولا فأنتم الأشراف.فتقدموا واحداً وراء واحد، يقولون: يا سيدي يا رسول الله، فلا يسمعوا جوابا، فلما انتهوا قال سيدي عبد العزيز الدريني: يا سيدي يا رسول الله قال: لبيك يا عبد العزيز.وسمعه الجميع. فقال من في الخلف: بهتاناً، لم يسمع إلا الصفوف الأولى. فأعاد النداء ثلاث مرات وفي كل مرة يقول: يا سيدي يا رسول الله فيسمعون النداء: لبيك يا عبد العزيز.

وأحوال العارفين والصالحين في هذا الأمر فوق الوصف.

إنكم تعلمون جميعاً أن الصالحين لا يتحرك واحد منهم إلى الدعوة إلى الله وجمع الخلق على الله إلا بإذن صريح من رسول الله.

بل إنهم لا ينتقلون من مكان إلى مكان إلا إذا جاء الأمر انتقل إلى بلدة كذا، ويعطيه الكشف فانك ستربي هناك فلان وفلان وفلانأمور أجمع عليها الصالحون ومن أراد أن يكون منهم أو يكون معهم فعليه بحبيب الله ومصطفاه.

نريد يا إخواني أن نشكر الله على هذه النعمة التي أرسلها لنا الله وخصنا بها دون خلق الله وجعلنا ببركته وبسببه خير أمة أخرجت للناس.

رابعاً: رؤيته ﷺ يقظة

اعلم أن أفراد الأولياء وأكابر الأصفياء الذين كانوا يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة، هم قليلون جداً في كل زمان، قال ابن أبي جمرة في كتابه بهجة النفوس شرح مختصره لصحيح البخاري عند قوله ﷺ:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي }[٦١٨]

((وقد ذُكرت رؤيته ﷺ عند السلف والخلف وهلم جرا عن جماعة ممن كانوا رأوه ﷺ في النوم وكانوا يحملون هذا الحديث على ظاهره فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأخبرهم بتفريجها، ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص)).

وقال أحمد بن المبارك في كتاب الإبريز الذي تلقاه عن شيخه غوث زمانه سيدي عبد العزيز الدباغ ﷺ ، قال في الباب التاسع بعد كلام طويل:

٦١٨ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

((وأما صاحب الفتح، فيشاهد الأولياء العارفين بالله تعالى ويتكلم معهم ويناجيهم على بعد المسافة مناجاة الجليس لجليسه، وكذا يشاهد أرواح المؤمنين فوق القبور والكرام الكاتبين والملائكة والبرزخ وأرواح الموتى فيه، ويشاهد قبر النبي ﷺ وعمود النور الممتد منه إلى قبة البرزخ فإذا حصلت له مشاهدة ذات النبي ﷺ في اليقظة: حصل له الأمان من تلاعب الشيطان لاجتماعه مع رحمة الله تعالى، وهي سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ)).

وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي:

((أجمع المتكلمون المحققون من أصحابنا على أن نبينا ﷺ حيٌّ بعد وفاته، وأنه يُسر بطاعة أمته، ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته، وقال الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى.وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وقال ﷺ :{ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ }[٦١٩].وهذا صحيح في إثبات الحياة لموسى.فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائماً، ومثل هذا لا توصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد)).

وقد قال السيوطي في كتابه"تنوير الحلك في رؤية النبي والملك":

((فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في

٦١٩رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن انس رضى الله عنه .

الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء، وأنه مُغيّب عن الأبصار، كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم))

((فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التشخيص برؤية المثال)).

وقال الإمام الشعراني في مقدمة كتابه "المنن الكبرى" :

((كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول:

أخذت طريقي هذه عن سيدي إبراهيم المتبولي عن رسول الله ﷺ، وصورة أخذ الأولياء عن رسول الله ﷺ أن أرواحهم تجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم، فليس اجتماعهم به ﷺ كاجتماع الصحابة فافهم، وكان سيدي أبو العباس المرسي يقول: لا يكمل مقام فقير، إلا أن صار يجتمع برسول الله ﷺ يقظة، ويراجعه في أموره كما يراجع التلميذ شيخه، وقد بلغنا أن سيدي محمد الغمري لما عمَّر جامعه بمصر استأذن رسول الله ﷺ بواسطة فقال له: عمّر وتوكل على الله، فلا أدري أكان ذلك قبل الكمال أو استأذن بالواسطة حياء من رسول الله ﷺ، وهذا هو اللائق بمقامه فإنه كان مشهورا بالكمال.))

((وكان سيدي ياقوت العرشي يقول:

من ادعى أنه يأخذ عن رسول الله ﷺ الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له، فإن قال رأيت نورا ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلا يقول لي: من ذلك النور في ظاهري وباطني، لا يختص بجهة من الجهات

اسمع لما يأمرك به نبيي ورسولي فصدقوه، وإلا فهو مفتر كذاب)).

وقال الشعراني أيضا في كتابه العهود المحمدية في عهد طلب الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ:

((أن صحبة النبي ﷺ البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح العبد لمجالسته ﷺ، وأن من كان له سريرة سيئه يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة، لا يصلح له صحبة مع رسول الله ﷺ ولو كان على عبادة الثقلين)).

وقال محمد بن علان في رسالته:

((أما الاجتماع بحضرة النبي ﷺ يقظة في كل زمان ومكان: لا يكون إلا لمن فاز من الله تعالي بخصوصيات المواهب، وحاز في الدين أثنى المناصب وأعلى المراتب، وعمل عملاً يصح أن يكون وسيلة إلى ذلك)).

وممن روي عنه أنه اجتمع به ﷺ يقظة ومناماً الشيخ محمد أبوالمواهب الشاذلي رضي الله عنه، قال الشعراني في طبقاته :

((وكان كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة، فوضع يده على قلبي وقال: يا ولدي الغيبة حرام.ألم تسمع قول الله تعالي:﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ (١٢ الحجرات)، **وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس، ثم قال لي ﷺ: فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس فاقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين واهدِ ثوابهم للمغتاب، فإن الغيبة والثواب يتوارثان ويتوافقان إن شاء الله تعالي))**

وكان يقول:

((قال لي رسول الله ﷺ :أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس ولا يقوم منها)).

ويقول:

((رأيت رسول الله ﷺ فقال لي: يا محمد ما هذه الغفلة ؟ وما هذه الرقد ة؟ وما هذا الإعراض ؟ مالك تركت تلاوة القرآن وما هذه الوريدات في جانب تلاوة القرآن؟ لا تفعل ذلك أصلا، بل اتلُ كل يوم ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم.))

ومنهم عبد الله الدهلوي قدس الله سره قال :

((نمت ليلة قبل صلاة العشاء، فإذا به عليه الصلاة والسلام قد حضر ونهاني عن ذلك وتوعدني، وزارني ﷺ مرة ثم ذهب، فحزنت لفراقه وجعلت أحثو التراب على وجهي، فوجدت ظلمة من هذا الفعل المنكر، ورأيته مرة في المنام فقلت: يا رسول الله أنت قلت من رآني فقد رأى الحق، قال: نعم.وكنت مثابرا على قراءة الأذكار وأهدي ثوابها لمقامه المقدس فتركتها مرة فرأيته ﷺ بالهيئة التي وردت في شمائل الترمذي فعاتبني ﷺ، واعتراني مرة خوف شديد من النار فرأيته ﷺ قد شرف منزلي، وقال لي: من يحبنا لا يدخل النار)).

ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه :

نقل السيوطي في كتابه تنوير الحلك عن عبد الله بن سلام، قال :

((أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور، فقال: مرحبا بأخي،

رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة، فقال ﷺ : عثمان..حصروك؟ قلت: نعم.قال: عطشوك؟ قلت: نعم، قال عثمان: ناولني ﷺ دلوا فيه ماء، فشربت حتى رويت وإني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، ثم قال: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده ﷺ.فقتل ذلك اليوم))

قال جلال الدين السيوطي:

((وقد فهم المصنف أنها رؤية يقظة، وإلا لم يصح عدها في الكرامات، لأن رؤيا المنام يستوي فيها كل أحد.))

- ومنهم القطب الشهير سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه :

نقل الشيخ جلال الدين السيوطي في كتاب "الشرف المحتم" :

((عن عز الدين عمر أبي الفرج الواسطي قال: كنت مع شيخنا وسيدنا أبي العباس القطب الغوث السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه عام خمس وخمسين وخمسمائة العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصل مدينة الرسول ﷺ وقف تجاه حجرة النبي ﷺ وقال على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي، فقال له عليه الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من كان بالمسجد النبوي، فتواجد سيدي أحمد وأرعد، وأصفر لونه، وجثا على ركبتيه، ثم قام وبكى وأنَّ طويلاً وقال يا جداه :

في البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة، من القبر الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون اليد الشريفة.وكان في المسجد مع الحجاج: الشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر وغيرهم نفعنا الله بعلومهم وتشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية.))

ولما حجَّ ثانيا في العام الذي توفي فيه، وزار القبر الطاهر قال وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

إن قيل زرتم بما رجعتم   يا أكرم الرسل فما نقول

فظهر صوت من القبر سمعه كل من في المسجد:

قولوا رجعنا بكل خير   واجتمع الفرع والأصول

ومنهم خليفة بن موسى النهر ملكي رضي الله عنه :حكى السيوطي في كتابه "تنوير الحلك":

قال ابن الملقن في طبقات الأولياء في ترجمة الشيخ المذكور :

((أنه كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناما، فكان يقول أن أكثر أفعاله متلقاة بأمر منه ﷺ إما يقظة وإما مناما، رآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، قال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجر، كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي،.يا خليفة ألا أعلمك استغفاراً تدعو به فعلمه: اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك، فجد بما أنعمت علي ما قضيت وأمح ذلك بذلك، جلّيت إن تطاع إلا بإذنك أو تعصى إلا بعلمك، اللهم ما عصيتك حين عصيتك استخفافا بحقك ولا استهانة بعذابك، لكن لسابقة سبق بها علمك، فالتوبة إليك والمغفرة لديك.))

وقال محمد بن يحي التاذفي في كتابه "قلائد الجواهر":

((لما حضرت خليفة بن موسى الوفاة: وهو توفي سنة ٦٠٤هـ تشهد وتهلل وجهه بالسرور والبشر وقال: هذا محمد رسول الله ﷺ وأصحابه ﭫ يبشروني برضوان من الله تعالي وصلاته، ثم قال: هذه الملائكة عليهم السلام يستعجلونى بالقدوم على رب كريم ثم ضحك وتوفى))

نسأل الله أن يفتح لنا أبواب شهود الحضرة المحمدية
وينظمنا جميعاً في عقد هذه المعية،
ويسقينا من يده الشريفة شربة مريئة هنية لا نظمأ بعدها أبداً،
ويتوجنا بيده بتاج السعود،
ويجعلنا ببركته ﷺ من أهل الوفود على حضرة الله
ويجمعنا عليه جمعية كبريائية، لا نغيب عنه بعدها طرفة عين ولا أقل
ويحشرنا يوم الدين تحت لواء شفاعته،
ويجعلنا في الجنة في جواره ومن أهل قربه ومعيته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاجتهاد لرؤية رسول الله ﷺ([620])

سؤال : كيفية الاجتهاد لرؤية سيدنا رسول الله في الحياة قبل الممات وإذا اجتهد ولم يراه؟

جـــواب :

إذا اجتهد لا بد أن يراه ولو حتى لحظة خروج الروح وذلك لكي يثبّته: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (٢٧ إبراهيم)

سؤال : هل يراه بشخصه؟

جواب : نعم يراه بذاته، لكن الذي يجتهد وهذا الاجتهاد يكون له ضوابط: بمعنى أنني لا أصلي على حضرة النبي ﷺ لكي أرى حضرة النبي، وإذا لم أره أتوقف!! لأن هذه الصلاة تكون معلولة، ويقع فيها كثير من الناس!!

أنه يصلي لكي يرى الرسول !!! ... إنتبهوا إخواني:

المفروض أصلاً أن أصلي:

- شكراً لله على بعثة سيدنا رسول الله.
- ولا أربط بين الصلاة عليه ﷺ وبين تحقيق الرؤية!
- وهل إن لم أرَ الرؤيا، لا أصلي.!
- وهذا ما يجعل عزائم الكثير من الناس يعتريها الفتور، لماذا؟ مثلاً سيصلي على حضرة النبي لمدة سنة أو سنتين!! ويمكن أنه يكون على وشك أن يراه . ثم ينتابه الكسل!! ويتوقف مرة واحدة بعد أن كان على وشك أن يبلغ الأمل!! وتضحك عليه نفسه!! ويحرم من بلوغ الأمل.

---

٦٢٠ كان هذا الدرس في احتفالات المولد النبوي بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين قبل صلاة الجمعة ٢٢ من أبريل ٢٠٠٥م الموافق ١٣ من ربيع أول ١٤٢٦هـ



همم الرجال

لكن الذي يعمل لله:"**ما كان لله دام واتصل**".

إذا صليت على حضرة النبي: فيجب أن أديم الصلاة على حضرة النبي، لأنني متأكد أن العطاء المخصص لي مدخر لي عند الله وإذا صرفوا لي جزء منه كبشرى في هذه الحياة فبها ونعمت، وإذا لم يكن فأنا متأكد ومتيقن أن الآخرة خير وأبقى، وما عند الله خير للأبرار.

لكن هناك بعض المريدين يكون منتظراً نتيجة اجتهاده وصلاحه وأعماله وتوجهاته، أن يكون له مبشرات في الدنيا...!!! كرامات !!! أو آيات !!! أو بعض الحاجات الظاهرات. وإن لم يظهر عليه أو له مثل هذه الأشياء يتعب جداً، وتنتابه قلاقل نفسية !!! وأمراض عصبية !!!..قال الصالحون في مثل هذا:((**المريد الذي ينتظر الكرامة كالمرأة التي تنتظر المحيض**))، ولكن الرجل لا يرجو من الله، إلا الله ..ولا يطلب من الله إلا رضاه ... ولا يبتغي بأي وسيلة يتقرب بها إلى حضرة الله ... إلا أن يتعطف عليه مولاه .... ويجعله من عباده الذين يحبهم ... ويرضى عنهم ...في الدنيا ويوم لقاء الله.

وإذا ظهرت لهم مثل هذه الأشياء! فلا تطرف أعينهم، ولذلك حتى لو أظهر الله لهم -وهم الرجال- كرامات! أو آيات! وعطاءات! وهبات!!! وحتى لو فتح لهم الجنات !! وأعطاهم القوة على المشاهدات !!فإن كل هذه الأشياء لا تلفت نظرهم طرفة عين عن حضرة الذات !

وجنة الخلد لو ظهـــرت بطلعتها ... لفارقت حســـنها بالزهـد همـتهم

حتى لو ظهرت لهم الجنة: يزهدون فيها، لأنهم يريدون صاحب الجنة وصاحب المنة ﷻ، وهذه هي همم الرجال الذين يبلغون هذا المرام، وهذا العطاء وهذا النوال، همتهم لله وتوجههم لله وكل أعمالهم لحضرة الله، وإذا أكرمهم الله ﷻ بأي إكرام ظاهر أو باطن

ولو بكشف أو فتح أو نور أو غيره، كل ذلك لا يلفتهم عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقلن وهذه هي العبادة التي يقول فيها ربنا :

﴿ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥ البينة)

لكنني متأكد ومتيقن : أنه حتى المرة الواحدة التي أصلي فيها على حضرة النبي، ولو عرضاً ولو حتى سهواً !!!، وكذا التسبيحة !!! والتهليلة !!!، وأي عمل !!! فإن الله قال في كل ذلك : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝٣٠ ﴾ (الكهف)

وهذه الودائع موجودة عند الله، وهى ليست كما هي!!، لا يوجد بنك من بنوك الدنيا يعطي فوائد وأرباح مثل بنوك رب العالمين ﷻ،...أقل فائدة عندنا فى البنوك الإلهية ؟ كم ؟ ألف في المائة ١٠٠٠% .. وهذه أقل فائدة: الحسنة بعشرة أمثالها ... إلى سبعمائة ضعف (يعنى ٧٠٠٠٠%) ويزيد الله لمن يشاء.

أين إذاً من يعطي بهذه الكيفية في الأرباح الإلهية التي يعطيها لنا رب العالمين؟ لا يوجد أحد في الأولين ولا الآخرين، يعطي الفائدة التي يعطيها لنا ربنا. ولذلك قال ﷺ :

{ إنّ الرّجُلَ لَيَتَصَدّقُ بالصّدَقَةِ مِنَ الكَسْبِ الطّيّبِ، ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطّيبَ، فيتلقّها الرّحمنُ - تباركَ وتعالى - بيدِهِ فيُرَبّيها كما يُرَبّي أحَدُكُم فَلُوّهُ أو وَصِيفَهُ أو فَصِيلَهُ- وفى رواية – **حتى تصير مثل أحد }**[٦٢١].

فذلك هو الذي يجعل المؤمن:

يعمل ... ويعمل ... ويجد ... ويكد!

ويعتقد تمام الاعتقاد أن: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ (٩٦ النحل)

وياليته باقياً على حاله.. ولكنه ينفد ..أما الذى عند الله فإنه يربو ويزيد إلى مالا نهاية عند الله ﷻ.

٦٢١ عن عائشة رواه البزار ورجاله ثقات.

نية الصلاة على النبي ﷺ وتكريم أهلها

ولذلك أُصلي على حضرة النبي ﷺ، ما نيتي؟

- أنه عليه الصلاة والسلام أهلاً لهذه الصلاة.
- أو شكراً لله ﷻ على بعثته لنا ﷺ.
- أو شكراً لله على أن جعله نبينا .
- أو شكراً لله أنه جعلنا من أمته.
- أو تعبيراً على قدري عن ثنائي على قدري على حضرته.

ولكن لا يوجد أحد من الأولين أو الآخرين...

يستطيع أن يصلي على حضرة النبي الصلاة التي يستحقها !!!

أو يصفه بالنعوت التي هو أهلا لها !!!

أو يثني عليه بالثناءات التي عبَّر المولى ﷻ في القرآن عن بعضها!!!

من الذي يقدر على ذلك ؟

لأحد ....ولكنني أصلي بهذه النوايا، ولما أصلي بهذه النوايا، أو غيرها من النوايا والخبايا، فيتعطف سيدنا رسول الله كما أمره ربنا في كتابه.:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾(٨٦ النساء)

فيجئ ليحييني..يلقي عليَّ السلام ...أو يمتعني بلذيذ الخطاب ...أو جميل الكلام..أو يتعطف عليَّ بشيء من الفضل والجود والعطاء والإنعام.

ويكفي لأهل هذا المقام:

أن من رأى النبي ﷺ في مقام، فإنه من كرمه وجوده ﷺ يخلع عليه هذا المقام الذي رآه فيه، والله ﷻ يخلع عليه ﷺ مقاما أعظم منه من لدن الله ﷻ.

ولكنني عندما أصلي على حضرة النبي :أصلي على هذه الحالة، أو على الأقل تنفيذاً لأمر الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦ الأحزاب).

كم مرة نصلي؟ ترك الباب مفتوحاً، فصلاتي كلها تنفيذاً لأمر الله،....لكن لا أضع في فؤادي، ولا في سويدائي، ولا في قلبي: أنني أصلي لكي أراه فقط.

التأهل لرؤيته ﷺ

لكن ما الذي يستجلب رؤيته؟ أن الإنسان عندما يصلي عليه .. فمن الأدب :

أن أتوضأ .... وأن أتجه إلى القبلة ... وأستحضر أنني بين يديه .... وأنني جالس في حضرته الشريفة ﷺ ... وأن أستحضر أوصافه وكمالاته وجمالاته التي بلغتني وقرأت عنها أو سمعتها ..... وأستحضر أني جالس ورسول الله أمامي، كأنه رأى العين .... وإذا لم أقدر على استحضار هذا المشهد: أستحضر أنني في الروضة الشريفة ... وأنني جالس فيها أمام سيدنا رسول الله .... وأتأدب بالأدب الذي أمرني به الله حين جلوسي بين يدي رسول الله في روضته المباركة.

وهذا أيضاً يعجل بالرؤية، ويلزم هنا بالطبع الصفاء، وليس الجفاء وتحتاج إلى النقاء، وجمع الشمل، واجتماع الهم، وعكوف القلب على حضرته ﷺ.

إذا صليت عليه بهذه الكيفية فإن استحضار الصورة المحمدية، يحرق في قلبي الصدود والبعد والحجب الكثيفة، ويجعل قلبي شفافاً بلورياً نورانياً.

في هذه الحالة عندما ينام الإنسان تنطبع صورة الحبيب المصطفى ﷺ على شاشة هذا القلب، وهذا هو الوضع الذي يعجل بالرؤية ...

لكننا نقول لإخواننا صلِ على حضرة النبي مائة مرة: فطبعا يمسك بالسبحة وهو راكب الأتوبيس !!! أو ماشي في الشارع ينظر لهذا الدكان !!! أو ذاك !!! ، أو ينظر لفلانة !! وفلان !! ، ويهذي اللسان بالصلاة على حضرة النبي !!!لماذا أقول يهذي؟

لأنه يقول ! ولا يسمع ! ولا يفهم ما يقول ! هذه الصلاة بهذه الكيفية سيأخذ

عليها أجرا وثواباً .. نعم .لكن هل ستوصل إلى المراد؟ .... لا...............

ما الذي يوصل إلى المراد يا أحباب؟

أن أقعد في الليل قبل النوم، أو بين المغرب والعشاء، وأتجه للقبلة على وضوء، وأستحضر أن الحبيب أمامي. وقد قال ذلك ﷺ: **{ ما من مسلمٍ يسلّم عليّ إلا ردّ الله روحي حتى أردّ عليه السلام }**[622]، يعني موجودٌ ومشهود، وقال: **{ صلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني }**[623]، وفي رواية أخرى: **{ فإني أستمع إلى صلاة المحبين عليّ يومي الخميس والجمعة }**، فيسمع بنفسه صلاة المحبين، بمعنى انه موجود ومشهود وحاضر مع أحبابه، لا يغيب عنهم.

فعندما أستحضر هذه الصورة في أفق قلبي، وفي فؤادي، وسري، وأصلي على حضرة النبي، وأداوم على هذا الحال عدة ليالي فقط، سأنام مشغول البال بسيدنا رسول الله، وإذا انشغل البال بشيء، ونام الإنسان .. فإنه يراه فى منامه.

إذاً العبرة هنا ليست بهيئة الصلاة، ولا بكيفية الصلاة، ولا بعدد الصلاة، لكن العبرة: بالهيئة التي يستحضرها أو يكون عليها عند قيامه بالصلاة على حضرة سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا ما كان يداوم عليه العارفون لكي يروا رسول الله.

فلو داوم على هذا الحال سيراه في المنام!

فإذا دام على هذا الحال في اليقظة ..؟

يجد روحه قد انطلقت من العقال إلى عالم المثال !!فيرى النبي ﷺ في أفق الصفاء لا بالخيال ....ولكن في عالم المثال، وهو في اليقظة ... وكل هذا نتيجة عظيم الصفاء ...ورفع كل حجاب، فيرى النبي ﷺ بغير نقاب ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

---

٦٢٢ مسند أحمد بن حنبل والسنن الكبرى للبيهقي وحلة الأولياء عن أبي هريرة ﷺ.

٦٢٣ سنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة ﷺ.

مفتاح إختصار أسماء كتب تخريج الحديث النبوى الشريف
كما ورد بالجامع الصغير نقلاً عن كنز العمال

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبى داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائى، (ه) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد فى مسنده، (عم) لابنه فى زوائده، (ك) للحاكم فى مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري فى الأدب، (تخ) له فى التاريخ، (حب) لابن حبان فى صحيحه، (طب) للطبرانى فى الكبير، (طس) له فى الأوسط، (طص) له فى الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور فى سننه، (ش) لابن أبى شيبة، (عب)لعبد الرزاق فى الجامع، (ع) لأبى يعلى فى مسنده، (قط) للدارقطنى فى السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمى فى مسند الفردوس، (حل) لأبى نعيم فى الحلية، (هب) للبيهقى فى شعب الإيمان، (هق) له فى السنن، (عد) لابن عدي فى الكامل، (عق) للعقيلى في الضعفاء، (خط) للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

المراجع

١. موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية

٢. وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، يوسف بن اسماعيل النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣. سيدنا محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة، خصاله المجيدة، عبدالله سراج الدين الحسيني، مكتبة دار الفلاح، حلب– أقيول، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٤. الوسائل البهية في محبة خير البرية ﷺ، د.عبدالرحمن الكوثر، وقف البركة الخيري، المدينة المنورة – السعودية، ١٤٣٢هـ –٢٠١١م.

٥. جمع الوسائل في شرح الشمائل للقاري وبهامشة شرح المناوى للشمائل، الناشر مصطفى الحلبي، القاهرة.

٦. الصوفية في القرآن والسنة، فوزي محمد أبوزيد، دار الإيمان والحياة، المعادى – القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣م.

٧. حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق، فوزي محمد أبوزيد، دار الإيمان والحياة، المعادي – القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.

٨. شرح منازل السائرين، زين الدين المناوى، الدار الجودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٩. التمكين في شرح منازل السائرين، السيد محمود أبوالفيض المنوفي، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ١٩٦٩م.

١٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة، ١٩٩٧م.

١١. شمائل النبي ﷺ، المكتز الإسلامي، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

١٢. لطائف المنن و الاخلاق في وجوب التحدث بنعمه الله علي الاطلاق، عبد الوهاب الشعراني، المطبعه الميمنيه–مصر ، ١٩٠٣م–١٣٢١هـ

١٣. الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية – عبد الوهاب الشعراني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤. الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ، أحمد بن المبارك، دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.

١٥.لواقح الانوار القدسيه في بيان العهود المحمديه، عبد الوهاب الشعراني.

١٦.حبيب الله محمد، اسماعيل صادق العدوي، الدار العالمية للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م.

١٧.محمد فوق عظماء التاريخ، رفعت محمد طاحون، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٨.مختصر الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، عبدالمجيد الشرنوبي، المكتبة القيمة، القاهرة.

١٩.الإشراقات السنية بشرح الشمائل المحمدية للترمذي، هشام الكامل حامد، دار المنار، الحسين – القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٠.المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية، سليمان بن عمر الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٢١.المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية، سليمان بن عمر الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

٢٢.الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٣.الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، تحقيق: محمد أحمد عيسى، مكتبة الرحاب، القاهرة، ٢٠١١م.

٢٤.الأنوار في شمائل النبي المختار، البغوى الحسين بن مسعود، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٥.شمائل النبي ﷺ للإمام الترمذي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م.

٢٦.الشمائل المحمدية للإمام الترمذي ومعه شمائل الرسول لابن كثير، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٢٧.شمائل النبي ﷺ ، د.خالد فهمي، مجلة الأزهر،عددي ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٤٣٥هـ.

ترجمة المؤلف

فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعــوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة المؤلفات: خمسة وثمانون كتاباً في ست سلاسل

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية : عدد ٥ كتب:

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط). ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة. ٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى. ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط). ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى.

ثانيا : سلسلة الدين والحياة :عدد ٢٤ كتاب:

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢ج. (٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) ترجم للإندونسية وجارى للإنجليزية. ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب. ١٠- فتاوى جامعة للشباب. ١١- مفاتح الفرج (١١ط) (ترجم للأندونسية والإنجليزية)١٢-تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم للإنجليزية) ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام (٢ط). ١٤- كيف يحبُّك الله (٣ط)(يترجم للأندونيسية والإنجليزية)، ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (٢ط)(ترجم للإنجليزية على الموقع، ويترجم للأندونيسية).١٦- المؤمنات القانتات. ١٧- فتاوى جامعة للنساء(٢ط). ١٨- قضايا الشباب المعاصر. ١٩-زاد الحاج والمعتمر (٢ط). (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة. (٧١) الصيام شريعة وحقيقة. (٧٢) إكرام الله للأموات. (٧٣) جامع الأذكار والأوراد. (٧٤) الحب والجنس فى الإسلام. (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (تمَّ تنزيل سبعة عشرة ألف نسخة من الكتاب من الموقع). (٧٦) فتاوى فورية ج١. (٨٠) فتاوى فورية ج٢. (٨١) سؤالات غير المسلمين. (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر. (٨٤) فتاوى فورية ج٣.

ثالثاً: سلسلة الخطب الإلهامية: عدد ٧ كتب:

مج ١: المناسبات الدينية: طبعة مجزأة، وطبعة مجلد واحد (٢ط) ٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر. ٢٤- ج٥: الحج و عيد الأضحى. ٢٥-ج٦: الهجرة و يوم عاشوراء،

٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية (٣ط).

المجلد الثانى : الخطب الإلهامية العصرية : عدد ١ كتاب

(٧٨) الأشفية النبوية للعصر.



ثالثا :سلسلة الحقيقة المحمدية: عدد ٩كتب:

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة.٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)،ج٢. (٢٢)- الكمالات المحمدية(٢ط).٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله (٢ط) (ترجم للإنجليزية).٣٣- السـراج المنير. (٧٠) ثانى اثنين. (٨٥) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله: عدد١٣ كتاب:

٣٤- أذكار الأبرار. ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة. ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٧- رسالة الصالحين. ٣٨- مراقى الصالحين. ٣٩- طريق المحبوبين وأذواقهم .٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى.٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق). ٤٣- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط)(ترجم للأندونسية).٤٤- نوافل المقربين. (٦٤)أحسن القول (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام.

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: عدد ١٦ كتاب

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٦- الصفاء والأصفياء.٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب.،(٢٩)- الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية ومنشور على الموقع). ٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية. ٥٠- الولاية والأولياء.٥١- موازين الصادقين. ٥٢- الفتح العرفانى.٥٣- النفس وصفها وتزكيتها.٥٤- سياحة العارفين. ٥٥-منهاج الواصلين.(٦٥) نسـمات القرب.(٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء. (٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية، (٧٧) شراب أهل الوصل.، (٨٣) مقامات المقربين.

سادساً: سلسلة شـفاء الصدور: عدد ٩ كتب:

٥٥- مختصر مفاتح الفرج (٤ط). ٥٦- أذكار الأبرار (٣ط). ٥٧- أوراد الأخيار (تخريج وشرح)(٢ط). ٥٨- علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط).٥٩- بشائر المؤمن عند الموت (٣ط). ٦٠- أسـرار العبد الصالح وموسى عليه السلام(٢ط). ٦١- مختصر زاد الحـاج والمعتمر. (٦٣) بشـريات المؤمن في الآخرة. (٦٦) بشائر الفضل الإلهي.

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــــــــرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ شارع د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		الإســــــــكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول

كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـــة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقـــــــــــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩شارع سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم للحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك بالقرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا – ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا – الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار و دار الشعب والقومية ومن المكتبات الكبرى بالقاهرة والجيـــزة والأسكندرية والمحافظات. ويمكن أيضاً الإطلاع إليكترونيا على أغلب الكتب وتتريلها مجانا كما طبعـــت من على موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com، وهى منشورة أيضاً على أكبر موقع علمى للكتاب العربي على النت www.askzad.com، ويمكن طلبها من الناشر:

دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٠٢٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٠٢٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

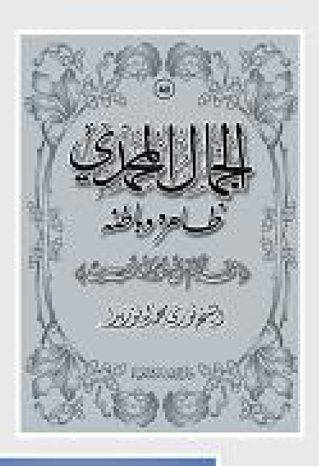
الفهرست

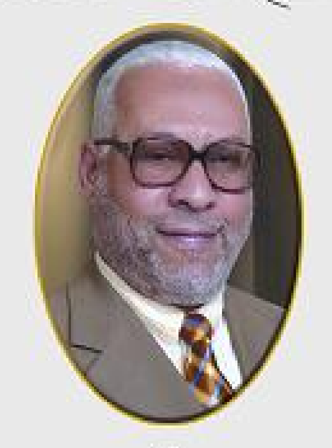
ما كان من صواب فبتوفيق الله وبركة حبيبه ﷺ، وإلى اللقاء فى مؤلف آخر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

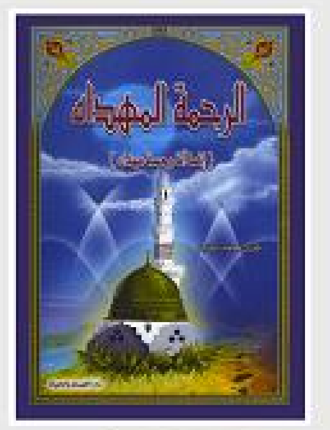
لملاحظات القارىء الكريم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الشيخ فوزي محمد أبوزيد







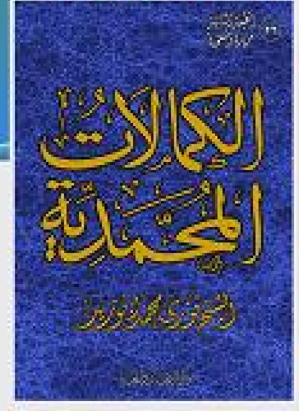
يقدم لك من

مؤلفاته المطبوعة فى

الحقيقة المحمدية

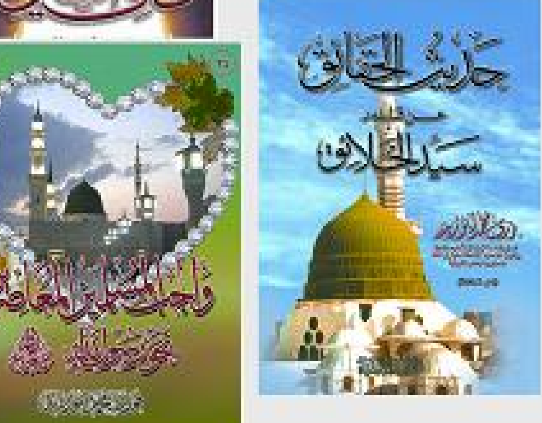














زوروا موقع الشيخ www.Fawzyabuzeid.com

تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادى - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهـرة

القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزي محمد أبوزيد بداخل الكتاب

مـع قائمـة بالمكتبـات ودور النشـر